



الإيمان والعقيدة





## حقيقة الإيمان ومقتضياته (١)

### الخطبة الأولى:

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، أحمدته تعالى وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله الأولين والآخرين، وقِيوم يوم الدين؛ وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله إمام المتقين، وسيد الخاشعين، وقدوة الناس أجمعين، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الطيبين، وصحبه الطاهرين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم يقوم الناس لرب العالمين.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى ربكم واشكروه على وافر نعمه، وأطيعوه واعبدوه، ما لكم من إله غيره، ولا رب لكم سواه؛ الزموا أمره، واحذروا نهيه، فبذلك أمركم وشرع لكم؛ ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أيها المسلمون: لقد كرم الله تعالى بني آدم، وأنعم عليهم بوافر النعم، وحبأهم من الخيرات ما يعجزون عن شكره، والقيام لله سبحانه بحقه، وإن أفضل نعمة أنعمها الله على الإنسان وكرمه بها وميزه عن سائر المخلوقات: العقل والإدراك. وإن من تمام هذه النعمة اتباع الدين الذي شرعه، والإيمان بالإسلام الذي اختاره للعالمين ديناً لا يقبل من أحد سواه.

عباد الله: القلب هو مدار صلاح الإنسان، ومعيار استقامته وتقواه، إذا صلح قلبه أفلح وفاز، وإذا فسد قلبه خاب وخسر؛ عن النعمان بن بشير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الحلال بيِّنٌ، والحرام بيِّنٌ، وبينهما مشبَّهات لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى

(١) ناصر بن محمد الغامدي.



المشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام؛ كراع يرمى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغه، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»<sup>(١)</sup>.

قال سفيان بن عيينة عليه رحمة الله: (من أصلح سريره أصلح الله علاقته، ومن أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس، ومن عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه).  
قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠].

الإيمان هو المقبول عند الله دون سواه، وهو عصمة للإنسان في الدنيا، وحفظ له في الآخرة، قال رسول الله ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ فَمَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَقَدْ عَصَمَ مَنَى مَالِهِ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ، وَحَسَابُهُ عَلَى اللَّهِ»<sup>(٢)</sup>.

إن من رضي بالله تعالى رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً فقد ذاق طعم الإيمان، وحلاوة الحياة، فعاش مطمئناً، ومات آمناً، لرحمة الله راجياً؛ وإذا تمكن الإيمان من النفوس، وخالطت بشاشته القلوب، خرج الإنسان من ظلمات الجهل والشك والخرافة إلى نور الإيمان واليقين، وشرح الله صدره، ويسر أمره، وأصلح له شأنه، فأصبح من أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

أيها المسلمون: الإيمان من أجل نعم الله تعالى على العباد، ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

ومعنى الإيمان التصديق والاعتقاد الجازم بأن الله تعالى هو رب كل شيء ومليكه، وخالقه ومدبره، وأنه وحده الذي يستحق العبادة؛ من صلاة وصوم ودعاء ورجاء، وخوف ودلّ وخضوع، وأنه المتصف بصفات الكمال كلها، المنزه عن كل عيب ونقص.

(١) رواه البخاري (٥٢) ومسلم (١٥٩٩).

(٢) رواه البخاري (٦٩٢٤).

فالإيمان بالله تعالى وحده يتضمن توحيده في ثلاثة أمور: في ربوبيته، وفي ألوهيته، وفي أسائه وصفاته؛ وهذا يعني تفرده سبحانه وتعالى بالربوبية والألوهية، وصفات الكمال، وأسماء الجلال؛ لا كما فعل أهل الجاهلية الأولى الذين أقروا الله بالربوبية، وأشركوا معه في الألوهية؛ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ [الفرقان: ٦٠].

وأركان الإيمان التي لا يسلم لأحد دينه ما لم يؤمن بها إيمانًا جازمًا هي: الإيمان بالله تعالى وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره من الله؛ ففي حديث جبريل المشهور حين جاء إلى النبي ﷺ فسأله عن الإيمان، فقال: «الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، وبلقائه، ورسله، وتؤمن بالبعث»<sup>(١)</sup>.

هذه هي أركان الإيمان التي مَنْ آمَنَ بها فقد نجا وفاز، ومن جحدتها فقد خاب وخسر؛ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ ءَ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ ءَ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ ءَ وَكُتُبِهِ ءَ وَرُسُلِهِ ءَ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

أيها المسلمون: الإيمان قول باللسان، وتصديق بالجنان، وعمل بالجوارح والأركان، يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان، ولقد ضلت طوائف من أهل البدع والأهواء في معنى الإيمان؛ فمنهم من زعم أن الإيمان هو مجرد التصديق بالقلب دون عمل بالجوارح، أو نطق باللسان؛ ومنهم من زعم أن الإيمان مجرد النطق باللسان وحده دون تصديق أو عمل؛ ومنهم من زعم أن أهل الكبائر مخلدون في النار؛ وطائفة زعموا أن من آمن بقلبه، ونطق بلسانه، فهو في الجنة، ولو ارتكب الذنوب العظام.

وهذا كله جهل وضلال، وتخبُّطٌ وفسادٌ ما أنزل الله به من سلطان، وهؤلاء يدعون الإيمان ادِّعاءً، لا حقيقة له ولا دلائل عليه، إذ كيف يجعلونه مجرد التصديق دون الانقياد والخضوع: والدِّعَاوَى مَا لَمْ يُقِيمُوا عَلَيْهَا بَيْنَاتٍ أَصْحَابُهَا أَدْعِيَاءُ

(١) رواه البخاري (٥٠).



يقول الحسن البصري عليه رحمة الله: (ليس الإيمان بالتحلي، ولا بالتمني، ولكن هو ما وقر في القلوب، وصدقته الأعمال).

وصدق رَحْمَةُ اللَّهِ: فإن الإيمان إذا تمكن من النفوس، وخالطت بشاشته القلوب ظهرت نتائجه من خلال الأعمال، فكيف يزعم هؤلاء الجهَّال الضَّلال أن الإيمان مجرد التصديق بالقلب، أو النطق باللسان، دون عمل واجتهاد، وكأن إبليس وفرعون وهامان لم يصدِّقوا، ولم يُقَرُّوا بوجود الله تعالى وأنه المستحق للعبادة دون مَنْ سواه. وكان أهل الجاهلية الأولى كانوا ينكرون وجود الخالق سبحانه وتعالى؟ وقد قال الله: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٣٨].

أما أهل الحق والعدل فإن الإيمان عندهم قول وتصديق وعمل، يزيد بالطاعة، وينقص بالعصيان، ومما يؤكد ذلك أعظم التأكيد قرُنُ الله تعالى في كتابة العزيز في مواضع عديدة بين الإيمان والعمل الصالح؛ بل لا تكاد تجد آية في كتاب الله تعالى تدعو إلى الإيمان إلا وتذكر العمل الصالح معه؛ مما يدل على أن مجرد التصديق أو النطق وحده لا يكفي.

وأما أهل الكبائر من المسلمين عند أهل السنة والجماعة فهم تحت مشيئة الله تعالى، إن شاء عذبهم، وإن شاء غفر لهم، ولا يخلدون في النار ما داموا مسلمين؛ فإن الله تعالى لا يغفر أن يُشْرَكَ به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء. قال الإمام ابن عطية -عليه رحمة الله-: (وقد أجمعت العلماء -لا خلاف بينهم- أنه لا يُكْفَرُ أحد من أهل القبلة بذنب، ولا نخرجه من الإسلام بمعصيته، نرجو للمحسنين، ونخاف على المسيئين).

قال رسول الله ﷺ: «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق، والنار حق، أدخله الله الجنة؛ على ما كان من العمل»<sup>(١)</sup>.

وقال ﷺ: «فإن الله قد حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله»<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه البخاري (٣٤٣٥) ومسلم (٢٨).

(٢) رواه البخاري (٤٢٥) ومسلم (٣٣).



وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تبارك وتعالى: يا ابن آدم! إنك ما دعوتني ورجوتني غفرتُ لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرتُ لك ولا أبالي، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة»<sup>(١)</sup>.

عباد الله: «الإيمان بضع وستون شعبة، أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»، والإيمان أمانة بين العبد وربّه، وعهد بينه وبين الناس، فمن ضاعت أمانته ذهب إيمانه، ومن خان عهده قل إيمانه، فلا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له.

الإيمان يحمل صاحبه على مكارم الأخلاق، وجميل السجايا والصفات، فيحب للناس ما ينجب لنفسه، ويعيش مع إخوانه في العقيدة الآمهم وآمالهم، يحزن لحزنهم، ويفرح لفرحهم، يخاف الله ويتقيه ويعظمه عن أن يكون أهون الناظرين إليه، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢-٤]. قال مجاهد: (هو الرجل يهيم بالمعصية فيتذكر مقامه بين يدي الله، فيتركها خوفاً من الله).

وأوثق عرى الإيمان الحبُّ في الله تعالى، والبغض فيه، قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «من أحب في الله، وأبغض في الله، وولى في الله، وعادى في الله، فإننا تنال ولاية الله بذلك، ولن يجد عبداً طعم الإيمان، وإن كثرت صلواته وصيامه، حتى يكون كذلك، وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا، وذلك لا يجدي على أهله شيئاً».

قال الله سبحانه: ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

(١) صحيح الترمذي للألباني (٣٥٤٠).



وفي الصحيحين من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «ثَلَاثٌ مِنْ كُنْ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يَقْذِفَ فِي النَّارِ»<sup>(١)</sup>.

ومن كمالِ الإيمان قولُ الخير، والصمت عما عداه، وحفظ حقوق الجار، والبعد عن أذاه، وإكرام الضيف؛ قال رَضِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُوْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقِلْ خَيْرًا أَوْ لِيصْمِتْ»<sup>(٢)</sup>.

بل إن اللسان هو السبب العظيم في صلاح القلب أو فساده، فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَسْتَقِيمُ إِيْمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ، وَلَا يَدْخُلُ رَجُلٌ الْجَنَّةَ لَا يَأْمَنُ جَارَهُ بَوَائِقَهُ»<sup>(٣)</sup>.

ومن علامات الإيمان محاربة المنكرات، ونشر الخير، والدعوة إلى المعروف؛ قال رَضِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مَنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَوْعَفُ الْإِيمَانِ»<sup>(٤)</sup>.

وعنده، من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُونَ وَأَصْحَابٌ، يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ، وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ؛ ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ»<sup>(٥)</sup>.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما تسمعون، وأستغفر الله فاستغفروه وتوبوا إليه إنه هو الغفور الرحيم.

(١) رواه البخاري (١٦) ومسلم (٤٣).

(٢) رواه البخاري (٦٠١٨).

(٣) صحيح الترغيب للألباني (٢٥٥٤).

(٤) رواه مسلم (٤٩).

(٥) رواه مسلم (٥٠).



### الخطبة الثانية:

● الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

أما بعد: فاتقوا الله أيها الناس، واعلموا -رحمكم الله- أن أكثر الناس -أو جلهم- يدعون الإيمان، وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين!

من الناس من حظه من الإيمان مجرد الإقرار بوجود الخالق، وأنه الذي خلق السموات والأرض وما بينهما، وهذا لم ينكره حتى عباد الأوثان والأصنام. وآخرون إيمانهم مجرد النطق بالشهادتين، دون عمل أو متابعة، أو استجابة لله تعالى ولرسوله.

وآخرون إيمانهم عبادة لله تعالى على وفق أذواقهم، ومواجدهم، وما تهواه نفوسهم، من غير تقيّد بما جاء به الرسول ﷺ من عند الله سبحانه وتعالى.

وطائفة إيمانهم ما وجدوا عليه آباءهم وأسلافهم كائنا ما كان، ولو كان في عقيدتهم ما يخالف الشرع الحنيف. وفئام من الناس إيمانهم مكارم أخلاق، وحسنُ مُعاملة، وطلاقة وجه، وهذا حسن، لكنه لا ينفع بدون الشطر الآخر: فأين العبادات والطاعات؟

أين الشرائع والصلوات؟ ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨]، ﴿أَفَتَوْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ٨٥]؟

وفريق من الناس إيمانهم تجرّد من الدنيا وعلائقها، وتفريغ للقلب منها، والزهد فيها؛ فمن كان هكذا جعلوه من سادات أهل الإيمان، وإن كان منسلخاً من ربة الإيمان علماً وعملاً، وهذه رهبانية ابتدعوها ما كتبها الله عليهم، فإن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه.

وقد كان المصطفى ﷺ وهو القدوة والأسوة، وسيد العباد والمؤمنين، جامعاً بين الدنيا والآخرة بقدر، فهو يعبد الله، ويعظم شعائره وشرائعه، ويعامل الناس بالحسنى، ويتحرى الحلال، يأكل الطعام، ويمشى في الأسواق، يجالس أصحابه، ويمزحهم، ويتزوج النساء، ويصوم ويفطر، ويقوم وينام، فمن رغب عن سنته فليس منه.



وهذه الطوائف كلها لم تعرف حقيقة الإيمان، ولا قام بها، ولا قامت به؛ فالإيمان هو معرفة ما جاء به الرسول المصطفى ﷺ، والتصديق به اعتقاداً، والإقرار به قولاً ونطقاً، والانقياد له محبةً وخضوعاً، والعمل به باطناً وظاهراً، وتنفيذه والدعوة إليه بحسب الإمكان.

وكمال الإيمان يكون بكمال الحب في الله تعالى، والبغض فيه، والعطاء لله، والمنع لله، ومنه محبة رسول الله ﷺ. كما قال: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين»<sup>(١)</sup>.

ألا وإن من محبته ﷺ محبة أتباعه، والمتمسكين بسنته في كل زمان ومكان، وأتباع أمره، وتحكيم سنته، واجتناب ما عنه نهى وزجر، وألا يعبد الله سبحانه وتعالى إلا بما شرع، ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

أيها المسلمون: الإيمان حصن حصين من الشهوات والمحرمات، ففي الحديث، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن»<sup>(٢)</sup>.

وهو سبب للأمن والطمأنينة في الدنيا والآخرة؛ ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

فالمؤمنون لهم الأمن في الدارين، أمن وسلام، وهداية وتوفيق في الدنيا، وأمن من المخاوف، وسلامة من المضايق يوم الفزع الأكبر؛ ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]. قال الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (لهم الأمن في الآخرة، وهم مهتدون في الدنيا). وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: «قال الله: أعددت

(١) رواه البخاري (١٤).

(٢) رواه البخاري (٢٤٧٥) ومسلم (٥٧).



لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فاقرؤوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧] (١).

اللهم صَلِّ وَسَلِّمْ على عبدك ورسولك محمد بن عبد الله صلاة وسلاماً دائماً دائمين إلى يوم الدين، وارْضَ اللهم عن أصحاب نبيك أجمعين، وعن التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.



(١) رواه البخاري (٤٧٧٩) ومسلم (٢٨٢٤).



## الإيمان وأسباب زيادته ونقصانه (١)

### الخطبة الأولى:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا وحبينا محمداً عبد الله ورسوله، وخيرته من رسله وصفوته من خلقه وأمينه على وحيه، معلم البشرية، وهادي البرية، ومجدد لواء الحنيفية، ومزعزع كيان الإلحاد والوثنية، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الأخيار، وصحبه الأبرار، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

عباد الله: أوصيكم ونفسي بتقوى الله؛ فإن من اتقى الله وقاه، وأرشده إلى خير أمور دينه ودنياه، وإن تقوى الله جل وعلا سلاح المؤمنين في الأزمان، والأمة المتقية أمة منصوره، أمة عزيزة مرهوبة الجانب يهابها أعداؤها.

ثم اعلّموا -رحمكم الله- أن أهمّ ما يجب على العبد العناية به في هذه الحياة الإيمان، فهو أفضل ما اكتسبته النفوس، وأعظم ما حصلتته القلوب، ونال به العبد الرفعة في الدنيا والآخرة، بل إن كل خير في الدنيا والآخرة متوقف على الإيمان الصحيح؛ فهو أعظم المطالب، وأجل المقاصد، وأنبأ الأهداف.

فبالإيمان -عباد الله- يحيا العبد الحياة الطيبة في الدارين، وينجو من المكاره والشرور والشدائد، ويدرك جميل العطايا وواسع المواهب.

(١) عبدالرزاق بن عبدالمحسن العباد البدر.



أيها الإخوة في الله: إن الإيمان بالله سبحانه وتعالى طريق للسعادة في الدنيا والآخرة، وسبيل إلى الأمان والأمان: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأَنْعَام: ٨٢]. ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

بالإيمان ينال ثواب الآخرة، فيدخل جنة عرضها كعرض السماء والأرض، فيها من النعيم المقيم والفضل العظيم ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. وبالإيمان -عباد الله- ينجو العبد من نار عذابها شديد، وقرعها بعيد، وحرها أليم، وبالإيمان يفوز العبد برضا ربه سبحانه؛ فلا يسخط عليه أبداً، ويتلذذ يوم القيامة بالنظر إلى وجهه الكريم، في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة.

وبالإيمان يطمئن القلب، وتسكن النفس، ويسر الفؤاد ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

وكم للإيمان من الفوائد العظيمة، والآثار المباركة، والثمار اليانعة، والخير المستمر في الدنيا والآخرة، ما لا يحصيه ولا يحيط به إلا الله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧].

عباد الله: إن الإيمان شجرة مباركة، عظيمة النفع، غزيرة الفائدة، كثيرة الثمر، لها مكان تغرس فيه، ولها سقي خاص، ولها أصل وفرع وثمار؛ أما مكانها؛ فهو قلب المؤمن، فيه توضع بذورها وأصولها، ومنه تنشأ أغصانها وفروعها، وأما سقيها فهو الوحي المبين: كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فبه تسقى هذه الشجرة المباركة، ولا حياة لها ولا نماء إلا به، وأما أصلها -عباد الله-؛ فهو أصول الإيمان الستة: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، والإيمان بالقدر: خيره وشره، وأعلى هذه الأصول الإيمان بالله؛ فهو أصل أصول هذه الشجرة المباركة، وأما فروعها؛ فهي الأعمال الصالحة، والطاعات المتنوعة، والقربات العديدة، التي يقوم بها المؤمن من صلاة وزكاة وحج وصيام وبر وإحسان وغير ذلك، وأما ثمارها؛ فكل خير وسعادة ينالها المؤمن في الدنيا والآخرة، فهو ثمرة من ثمار الإيمان، ونتيجة من نتائجه:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

عباد الله: والناس يتفاوتون في الإيمان تفاوتًا عظيمًا بحسب تفاوتهم في هذه الأوصاف قوةً وضعفًا، وزيادةً ونقصًا؛ فجدير بالعبء المسلم الناصح لنفسه أن يجتهد في معرفة هذه الأوصاف ويتأملها، ثم يطبقها في حياته ليزداد إيمانه، ويقوى يقينه، ويعظم حظه من الخير، كما أن عليه -عباد الله- أن يحفظ نفسه من الوقوع في الأمور التي تنقص الإيمان وتضعف الدين؛ ليسلم من عواقبها الوخيمة، ومغبتها الأليمة.

عباد الله: وللإيمان أسباب كثيرة تزيده وتقويه؛ أهمها: تعلم العلم النافع، وقراءة القرآن الكريم وتدبره، ومعرفة أسماء الله الحسنى وصفاته العلى، وتأمل محاسن الدين الإسلامي الحنيف، ودراسة سيرة نبينا الكريم ﷺ وسير أصحابه الكرام، والتأمل والنظر في هذا الكون الفسيح وما فيه من دلالات باهرة، وحجج ظاهرة، وآيات بينة: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١].

كما أن الإيمان يزيد بالجد والاجتهاد في طاعة الله، والمحافظة على أوامره، وحفظ الأوقات في طاعته وما يقرب إليه: ﴿وَالَّذِينَ جَهِدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَٰلِمُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

عباد الله: وللإيمان أسباب كثيرة تنقصه وتضعفه يجب على العبد المؤمن أن يحتزم منها وأن يحتاط عن الوقوع في شيء منها، وأهمها: الجهل بدين الله، والغفلة والإعراض، وفعل المعاصي، وارتكاب الذنوب، وطاعة النفس الأمارة بالسوء، ومخالطة أهل الفسق والفجور، واتباع الهوى والشيطان، والاعتزاز بالدنيا، والافتتان بها، بحيث تكون غايةً مئسرة للإنسان وأكبر مقصوده.

عباد الله: ولما تحقق لدى سلف الأمة وصدورها وخيارها عظم شأن الإيمان، وشدة الحاجة إليه، وأن الحاجة إليه أعظم من الحاجة إلى الطعام والشراب والهواء، كانت عنايتهم به عظيمةً ومقدمة على كل أمر، فكانوا يتعاهدون إيمانهم، ويتفقدون أعمالهم، ويتواصون بينهم؛ كان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول لأصحابه: «هلموا نزدد إيمانًا»، وكان



عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: «اجلسوا بنا نزد إيماناً»، وكان يقول في دعائه: «اللهم زدني إيماناً و يقيناً وفقهاً»، وكان عبد الله بن رواحة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يأخذ بيد النفر من أصحابه فيقول: «تعالوا نؤمن ساعة، تعالوا فلنذكر الله ولنزد إيماناً بطاعته، لعله يذكرنا بمغفرته»، وكان أبو الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: «من فقه العبد أن يعلم أمز داد هو أو منتقص»، أي من الإيمان، وإن من فقه العبد أن يعلم نزغات الشيطان أنى تأتيه. وكان عمير بن حبيب الخطمي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: «الإيمان يزيد وينقص، فقيل: وما زيادته ونقصانه؟! قال: إذا ذكرنا الله عَزَّوَجَلَّ و حمدناه و سبحناه فذلك زيادته، وإذا غفلنا و ضيعنا و نسينا فذلك نقصانه». و النقول في هذا المعنى عنهم كثيرة.

عباد الله: ولهذا فإن العبد المؤمن الموفق لا يزال يسعى في حياته بتحقيق أمرين عظيمين و مطلبين جليلين: الأول: تقوية الإيمان و فروعه، و التحقق بها علماً و عملاً، و الثاني: السعي في دفع ما ينافيها و ينقضها أو ينقصها من الفتن الظاهرة و الباطنة، و مداوي ما قصر فيه من الأول، و ما تجرأ عليه من الثاني بالتوبة النصوح و تدارك الأمر قبل الفوات، و الإقبال على الله جل و علا إقبالاً صادقاً بقلب منيب، و نفس مخرجة مطمئنة مقبلة على الله، ترجو رحمة الله، و تخاف عقابه، فנסأل الله الكريم بأسمائه الحسنی و صفاته العلی أن يمن علينا جميعاً بتحقيق ذلك و تكميله على الوجه الذي يرضيه عنّا، و أن يرزقنا جميعاً إيماناً صادقاً، و يقيناً كاملاً، و توبة نصوحاً، و أن يغفر لنا و لو الديننا و للمسلمين و المسلمات، و المؤمنين و المؤمنات؛ إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله عظيم الإحسان، واسع الفضل والجود والامتنان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﷺ وعلى آله وأصحابه أجمعين وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

عباد الله: أوصيكم ونفسي بتقوى الله؛ فإن تقوى الله جل وعلا أساس الفلاح وعنوان السعادة في الدنيا والآخرة، وتقوى الله جل وعلا هي أن يعمل العبد بطاعة الله، على نور من الله، يرجو ثواب الله، وأن يترك معصية الله، على نور من الله، يخاف عقاب الله.

فيا أيها المسلمون! إن العظمة الإنسانية والقوة الإيمانية لا تُعرف في الرخاء قدر ما تُعرف في الشدة، والنفوس الكبار هي التي تملك أمرها عند بروز التحدي، ألا ما أسعد المجتمع بالأقوياء الراسخين من أبنائه، وما أشقاه بالضعاف المهازيل الذين لا ينصرون صديقاً، ولا يخيفون عدواً، ولا تقوم بهم نهضة، ولا ترفع بهم راية.

لقد ابيضت عين الدهر، ولم ترَ مثل المؤمن في قوته وبذله وفدائه.

المؤمن لا يصرفه عن الحق وعد، ولا يثنيه عن الخير وعيد، ولا ينحرف به الطمع، ولا يضلّه هواه، ولا تغلبه شهوة؛ فهو دائماً داعٍ إلى الخير، مقاوم للشر، أمرٌ بالمعروف، ناهٍ عن المنكر، هادٍ إلى الحق، فاضح للباطل؛ لئن كسر المدفع سيفه، فلن يكسر الباطل حقه.

المؤمن قوي؛ لأنه على عقيدة التوحيد وعلى طريق الحق، لا يعمل لعصية جاهلية ولا من

أجل البغي على أحد، إنه قوي بإيمانه، مستمسك بالعروة الوثقى، يأوي إلى ركن شديد:

﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ

عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦] ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا

الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ

فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥].



المؤمن بإيمانه ليس مخلوقاً ضائعاً، ولا رقماً هماً، ولو تظاهر عليه أهل الأرض أجمعون: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدَ جَمَعُوا لَكُمْ فَأَخْشَوْهُمْ فَرَّادَهُمْ إِيْمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا﴾ [إبراهيم: ١٢].

هل خيب الله مؤمناً قط؟ هل خذل متوكلاً صادقاً قط؟ قال الله عن أحد المؤمنين، مؤمن آل فرعون حين كاده فرعون وجنوده ففوض أمره إلى الله قائلاً: ﴿وَأَفْوِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [غافر: ٤٤] فماذا كانت النتيجة؟ ﴿فَوَقَّهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥].

عباد الله.. ولكن مع طول الأمد وكثرة الفتن وطروء الغفلة فإن الإيمان يحتاج إلى تعاهد وتفقد وتجديد، روى الحاكم في المستدرک، والطبراني في المعجم الكبير، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب، فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم»<sup>(١)</sup>.

فوصف ﷺ الإيمان بأنه يخلق كما يخلق الثوب، أي أنه يبلى ويضعف ويدخله النقص من جراء ما قد يقع فيه المرء من معاصٍ وآثام، وما يلقاه في هذه الحياة من ملهيات متنوعة، وفتن عظام، تذهب جدة الإيمان وحيويته وقوته، وتضعف جماله وحسنه وبهاءه؛ ولهذا أرشد عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث العظيم إلى تعاهد الإيمان والعمل على تقويته، وسؤال الله تبارك وتعالى زيادته وثباته، والله جل وعلا يقول: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمْ فَأَلَيْمَنَّ وَرَيْبُهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرِهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّشِدُونَ﴾ [الحجرات: ٧]، فمن الخير للعبد المؤمن -عباد الله- أن ينصح لنفسه في إيمانه الذي هو أعلى شيء لديه، وأثمن أمر عنده، وهو خير زاد إلى لقاء الله.

(١) صححه الألباني في صحيح الجامع (١٥٩٠).

والكيس - عباد الله - من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى، ألا فاتقوا الله رحمكم الله، واستمسكوا بدينكم، وأحسنوا الظن بربكم ﴿أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَازِبُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

هذا وصلوا وسلموا على محمد بن عبد الله كما أمركم الله في كتابه فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، وجاء عنه عليه الصلاة والسلام الحث على الإكثار من الصلاة والسلام عليه في ليلة الجمعة ويومها، فأكثروا في هذا اليوم الأغر المبارك من الإكثار من الصلاة والسلام على رسول الله..





## الإيمان وأثره في توجيه السلوك<sup>(١)</sup>

### الخطبة الأولى:

الحمد لله الذي أنزل كتابه الكريم هدى للمُتَّقِينَ، وعبرة للمعتبرين، ورحمة وموعظة للمؤمنين، ونبراساً للمهتدين، وشفاءً لما في صدور العالمين؛ أحمدته تعالى على آلائه، وأشكره على نعمائه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أحيا بكتابه القلوب، وزكَّى به النفوس، وهدى به من الضلالة، وذكرَّ به من الغفلة، وأمر فيه بالتقوى. فسبحان من يعلم السر والنجوى، ويكشف الضر والبلوى!

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَلْبَسْ ثِيَابًا مِنَ التَّقَى      تَقَلَّبَ عُرْيَانًا وَإِنْ كَانَ كَاسِيًا  
وَخَيْرُ لِبَاسِ الْمَرْءِ طَاعَةُ رَبِّهِ      وَلَا خَيْرَ فَيَمَنُ كَانَ اللَّهُ عَاصِيًا

وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، صلوات الله عليه وعلى آله وصحبه، ومن ترسَّم خطاه وسار على نهجه، ما تعاقب الجديدان، وتتابع النيران، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فيا عباد الله: اتقوا الله كما أمركم في محكم كتابه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

عباد الله: كم هي الآيات التي يدعوننا الله فيها إلى الإيمان! ما تكاد تجد سورة في القرآن إلا وفيها دعوة صريحة، أو إشارة إلى أهمية الإيمان وأثره في حياة الفرد والمجتمع والأمة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَالِكُنَّ الَّذِينَ نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ

(١) حسان بن أحمد العماري.



وَأَلَكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿ [النساء: ١٣٦].

وكم هي نداءات الرحمن في القرآن الكريم لعباده بأعظم صفة وهي صفة الإيمان التي جعلها الله شرطاً لقبول الأعمال والعبادات، ورتب عليها الجزاء في الأخلاق والسلوك والمعاملات، فقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ [النساء: ١٢٤].

وقال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧]، وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾ [طه: ١١٢]، وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴾ [طه: ٧٥].

إنه الإيمان بقوة الله وقدرته، وعلمه، وعظمته، وسعة ملكه وسلطانه؛ إنه الإيمان بحكمه وعدله، وعفوه ورحمته، ونصره وتأييده لعباده المؤمنين؛ فالإيمان هو حياة الإنسان الحقة، وبغيره يكون كالميت الذي لا حياة فيه: ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

والإيمان قوة هادية؛ لأنه يحدد للإنسان وجهته، ويعرفه غايته ومنهجه، فيحيا على نور، ويمضي على بصيرة: ﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ ﴾ [التغابن: ١١]، ﴿ وَمَنْ يَعْنِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [آل عمران: ١٠١].

والإيمان ينير الطريق، ويحقق الطمأنينة والراحة النفسية، ويباعد بين المؤمن والقلق والحيرة، والهلم والحزن، والتمزق داخل النفس؛ ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَّا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨]، ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَىٰ بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ [الحج: ٣١].

فلا إله إلا الله كلمة عظيمة؛ من أجلها خلق الخلق، وبعث الرسل، وأنزلت الكتب، وخلقت الجنة والنار، فكان الإيمان بها وبمقتضياتها من أعظم الواجبات.



فعن أبي سعيد الخدري قال: قال ﷺ: «قال موسى عليه السلام: يا رب: علّمني شيئاً أذكرك به، وأدعوك به. قال: يا موسى: قل: لا إله إلا الله. قال: يا رب: كل عبادك يقولون هذا. قال: يا موسى: لو أن السماوات السبع والأرضين السبع في كفة، ولا إله إلا الله في كفة، مالت بهن لا إله إلا الله»<sup>(١)</sup>.

والإيمان المطلوب من كل عبد أن يحققه في نفسه هو ذلك الإيمان الذي يورث الحشية والخوف من الله، والحب لله، والرجاء منه؛ وهو ذلك الإيمان الذي يهذب النفوس، ويقوم الأخلاق، وبه يستقيم السلوك، وينتشر الخير.

وهذا الإيمان يزداد بالطاعات من صلاة، وصيام، وحج، وصدقة، وقراءة للقرآن، وتفكّر في مخلوقات الله، وغيرها من الطاعات؛ وينقص بالمعاصي والسيئات، حتى يمشي الرجل بين الناس وليس في قلبه مثقال ذرة من إيمان.

إنّ تنمية العقيدة والروح الإيمانية أعظم ضماناتٍ لسلامة المجتمع الإسلامي، وأقوى أسباب تماسكه ووحدته؛ فهو يصهر الشعوب والقبائل والأعراق واللغات في رحاب المجتمع الواحد، الذي يعبد الإله الواحد، ويتبع النبي الواحد، ويؤمن بالكتاب الواحد؛ بل ويضبط التصورات والأفعال والسلوك وفق قيمٍ واحدة، هدفها سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة.

عباد الله: ولما كان للإيمان هذا الأثر العظيم في حياة المسلم فقد رأينا أن نتحدث في هذا المقام حول الإيمان وأثره في واقع حياتنا، خاصة وقد ظهر كثيراً من الأمراض الاجتماعية والنفسية والسلوكية والأخلاقية بسبب ضعف الإيمان، والتعلق بالدنيا، وطول الأمل، ونسيان الآخرة، وبسبب هذه الحضارة المادية التي أهملت جانب الروح؛ فكان اهتمامها فقط بالجسد، فرأينا المخترعات العملاقة، والمنتجات المتنوعة، والصناعات المختلفة التي تهتم بجسد هذا الإنسان: كيف يأكل وكيف يشرب وكيف ينام..

فأين غذاء الأرواح الذي به تُهذب النفوس، وتزدهر المجتمعات، وتبنى الحضارات؟! أين القيم والمبادئ والأخلاق؟! أين حب الإنسان لأخيه؟ أين الإيمان الذي يصنع الفرد

(١) صحح إسناده ابن حجر في الفتح (١١/٢١١).



والأسرة والمجتمع صناعة تضمن لهم جميعاً طمأنينة النفس، وراحة البال، وانسراح الصدر، وخير الدنيا، والنجاة يوم القيامة؟!

إن آثار الإيمان كثيرة في حياتنا؛ فمن آثاره توجيه السلوك وتهذيبه، وإن من ينظر إلى سلوكيات وتصرفات البعض اليوم يجدها لا تسلم من البغي والظلم، والتقاطع والعقوق، والشدة والجفاء، والحسد والبغضاء، ونكران المعروف وحب الذات، والتهرب من المسؤولية، والتنصل من الواجبات، بل أصبحت السلوكيات بعيدةً عن أوامر الدين وتوجيهات الرسول الكريم ﷺ، لا تحتكم إلى الشرع؛ بل إلى الهوى والمنافع الذاتية والمصالح الشخصية.

إن الإيمان كفيلاً بعلاج الانحرافات؛ فهو يغرس في كل فرد قضية مراقبة الله تعالى وخشيته، والسعي لنيل الأجر والثواب، والخوف من العقاب، فيحرص المؤمن على أن يكون سلوكه حسناً مع الناس جميعاً؛ بل حتى مع الحيوان والبيئة التي حوله، وهذه هي رسالة الإسلام، وثمره من ثمار الإيمان.

والإيمان هو الذي يغذي القيم ويوجه سلوك العبد، مع نفسه، ومع خالقه، ومع أبناء جنسه، في البيت، ومع الجيران، وفي الوظيفة، وفي السوق، بل ويجعل من العادة العادية عبادة ثابتة راسخة؛ كما عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقِلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصُمْتُ»<sup>(١)</sup>.

وَعَنْ أَبِي دَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ، وَأَمْرُكَ بِالْمَعْرُوفِ وَمَنْعُكَ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ»<sup>(٢)</sup>.

وفي صحيح مسلم، عَنْ أَبِي دَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْفَى أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلِقٍ»<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه البخاري (٦٠١٨).

(٢) صحيح الترمذي للألباني (١٩٥٦).

(٣) رواه مسلم (٢٦٢٦).

والإيمان يدعوننا إلى نهج السلوك الحسن مع الخلق جميعاً، وتهذيب الأقوال والأفعال، قال ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَكْمَلِ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَأَلَطْفُهُمْ بِأَهْلِيهِ»<sup>(١)</sup> وقال ﷺ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُذْرَكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ»<sup>(٢)</sup>. وقال ﷺ: «لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ، وَلَا اللَّعَّانِ، وَلَا الْفَاحِشِ، وَلَا الْبَذِيءِ»<sup>(٣)</sup>.

والإيمان يوجه سلوك المسلم في أي ميدان من ميادين الحياة إلى الخير، فللتاجر الصدوق منزلة رفيعة يتسابق إلى بلوغ شرفها المؤمنون، قد بشر بها النبي ﷺ في قوله: «التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء»<sup>(٤)</sup>.

وخرج رسول الله ﷺ إلى المصلّى بجانب السوق يوماً، فرأى الناس يتبايعون، فقال: «يا معشر التجار»، فاستجابوا، ورفعوا أعناقهم وأبصارهم إليه، فقال: «إن التجار يُبعثون يوم القيامة فُجَّارًا، إلا من اتقى الله، وبرَّ، وصدق»<sup>(٥)</sup>.

وانظروا إلى ماذا يصنع الإيمان، وكيف يضبط السلوك ويوجه التصرفات: ففي عام الرمادة، وقد بلغ الفقر والجوع بالمسلمين مبلغاً عظيماً، جاءت قافلة لعثمان بن عفان مؤلفة من ألف بعير، محملة بالتمر والزبيب والزيت وغيرها من ألوان الطعام، فجاءه تجار المدينة المنورة من أجل شرائها منه، وقالوا له: نعطيك ربحاً بدل الدرهم درهمين يا عثمان. قال عثمان: «أعطيت أكثر من هذا». قالوا: نزيدك، الدرهم بخمسة. قال لهم: «لقد زادني غيركم الدرهم بعشرة». قالوا له: من الذي زادك، وليس في المدينة تجار غيرنا؟! قال عثمان: «ألم تسمعوا قول الله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]؟! أشهدكم أنني قد بعتهما لله ورسوله» فأنفقها في سبيل الله.

فلو لم يكن هناك إيمان لكان الجشع والطمع واستغلال حاجات الناس وظروفهم؛ لكنه الإيمان.

(١) رواه أحمد في المسند (٦/٩٩).

(٢) رواه أبو داود (٤٧٩٨) وصححه الألباني.

(٣) صحيح الجامع (٥٣٨١).

(٤) صحيح الترغيب للألباني (١٧٨٢).

(٥) صحيح الترغيب (١٧٨٥).



عباد الله: والإيمان يمنع الغش والتحايل والخيانة، كما جاء عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه كان يتجول ذات ليلة بالمدينة، ومعه خادمه، فأعياه التعب، فاتكأ إلى جدار بيت، وإذا بامرأة تقول لابنتها: قومي إلى اللبن فامزجيه بالماء، فقالت الفتاة: يا أماه: أوَمَا سمعتِ منادي الخليفة ينادي: لا يُحْلَطُ اللبن بالماء؟! فقالت: إن عمر لا يرانا، فقالت الفتاة: إن كان عمر لا يرانا فإن رب عمر يرانا.

فلما سمع الخليفة كلامها قال لخادمه: اعرف مكان البيت، ثم مضى عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في جولاته، فلما أصبح قال للخادم: امضِ إلى المكان فانظر من الفتاة؟! وهل لها زوج؟! قال الخادم: أتيت البيت فعلمت أنه ليس لها زوج، فعدت إلى الخليفة فأخبرته الخبر، فجمع أولاده وقال لهم: هل فيكم من يحتاج إلى الزواج فأزوجه؟! فزوجها لابنه عاصم، فكانت جدّة عمر بن عبد العزيز من جهة أمه، حيث إن ابنتها تزوجت عبد العزيز بن مروان، وأنجبت عمر بن عبد العزيز.

آمنت وعرفت ربها وعرفت معنى مراقبته، والسلوك الذي يجب أن تلتزم به، فعوضها ربها خيرًا وخلّد التاريخ قصتها لثروى للأجيال لتكون مثلاً للاقتداء. فمتى ينتبه الموظف لسلوكه وتصرفاته في وظيفته؟! ومتى يدرك القاضي دوره ومسؤوليته؟! ومتى يشعر الجندي بواجبه في حماية الأعراس والدماء والأموال؟! عن ابن عباس، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «عينان لا تمسّهما النار: عينٌ بكتْ من خشية الله، وعينٌ بكتْ من خشية الله باتت تحرسُ في سبيل الله»<sup>(١)</sup>.

ومتى يدرك الأبناء أهمية البر بالآباء؟! ومتى تقوم المرأة بواجبها في التربية وبناء الأسرة المسلمة؟! إن ذلك كله لن يكون واقعًا في الحياة حتى تمتلئ هذه القلوب بالإيمان بالله. إنه الإيمان الذي يضبط السلوك حتى في أحلك الظروف وأصعب الأزمات، فهذه الحنساء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عُرِفَتْ بالبكاء والنواح، وإنشاء المراثي الشهيرة في أخيها المتوفّي إبان جاهليتها، وظلت ترثيه سنوات، تقول فيه:

(١) صحيح الترغيب (٣٣٢٢).



يُذَكِّرُنِي طُلُوعَ الشَّمْسِ صَخْرًا      وَأَذْكَرُهُ بِكُلِّ غُرُوبِ شَمْسٍ  
ولولا كثرة الباكين حوِّي      عَلَى إِخْوَانِهِمْ لَقَتَلْتُ نَفْسِي  
وما يَكُونُ مِثْلَ أَخِي، وَلَكِنْ      أَعَزِّي النَّفْسَ عَنْهُ بِالتَّأْسِي

وما إن لامس الإيمان قلبها، وعرفت مقام الأمومة، ودور الأم في التضحية والجهاد في إعلاء البيت المسلم ورفع مقامه عند الله، وعظت أبناءها الأربعة عندما حضرت معركة القادسية تقول لهم: إنكم أسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين، وإنكم لابنُ أبٍ واحد، وأم واحدة، ما خبت أبواؤكم، ولا فضحت أحوالكم.

فلما أصبحوا باشروا القتال واحداً بعد واحد حتى قُتلوا، ولما بلغها خبرهم ما زادت على أن قالت: الحمد لله الذي شرفني بقتلهم، وأرجو ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته.

لَقَدْ قَصَدَ الْإِسْلَامُ أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ مِثْلًا صَالِحًا مَحْمُودًا خَالِصًا، شَرِيفًا شَائِلًا، حَسَنَ السُّلُوكِ، إِنْ تَكَلَّمَ صَدَقَ، وَإِنْ وَعَدَ وَفَى، وَإِنْ أَوْثَمِنَ فِي أَمْرٍ أَدَّى الْأَمَانَةَ وَلَمْ يَخُنْ، وَإِنْ رَأَى أَمْرًا مُنْكَرًا غَيْرَهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَإِنْ تَكَلَّمَ مِنْ غَضٍّ مِنْ صَوْتِهِ، وَإِنْ مَشَى لَمْ يَكُنْ مُخْتَالًا وَلَا فَخُورًا فِي مَشِيَّتِهِ، وَإِنْ رَأَى كَبِيرًا وَقَرَّهُ، أَوْ صَغِيرًا عَطَفَ عَلَيْهِ، أَوْ مَحْتَاجًا أَعَانَهُ.

اللهم زَيِّنْ قُلُوبَنَا بِالْإِيمَانِ. قَلت ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه.



### الخطبة الثانية:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

عباد الله: إن سلوك الإنسان وأخلاقه وتصرفاته في الحياة هي ثمرة ومظهر من مظاهر عقيدته في حياته الواقعية وممارساته اليومية، فإن صح الإيمان وصلحت العقيدة صلح السلوك واستقام، وإذا فسدت فسد واعوجج، ومن ثم كانت عقيدة التوحيد والإيمان بالله ضرورة لا يستغني عنها الإنسان؛ ليستكمل شخصيته، ويحقق إنسانيته واستقامته، وقد كانت الدعوة إلى عقيدة التوحيد والإيمان بالله أول شيء قام به الرسول ﷺ لتكون المنطلق وحجر الزاوية في بناء الفرد والأمة المسلمة.

إن الإيمان يجعل صاحبه قويًا في مواجهة العقبات، صلبًا عند حلول الأزمات، ليس هلعًا ولا جزوعًا ولا منوعًا، بل كريماً صبورًا قنوعًا، لإيمانه وثقته وحسن ظنه بالله، ومعرفته لحقيقة هذه الحياة.

وإن الإيمان يوجه سلوك الفرد تجاه أمته ومجتمعه التوجيه الأمثل، فمن مقتضيات الإيمان أن يكف شره وأذاه عن القريب والبعيد، والجار والصديق، ولذا جاء عن أبي شريح الخزازي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «والله لا يُؤمن، والله لا يُؤمن، والله لا يُؤمن»، قيل: ومن يا رسول الله؟ قال: «الذي لا يأمنُ جَارُهُ بِوَأْتِقِهِ»<sup>(١)</sup>. قال ابن بطال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (وهذا الحديث شديد في الحظ على ترك أذى الجار، ألا ترى أنه عَلَيْهِ السَّلَامُ أكد ذلك بقسمه ثلاث مرات أنه لا يؤمن من لا يؤمن جاره بوائقه، ومعناه أنه لا يؤمن الإيمان الكامل، ولا يبلغ أعلى درجاته من كان بهذه الصفة، فينبغي لكل مؤمن أن يحذر أذى جاره ويرغب أن يكون في أعلى درجات الإيمان، وينتهي عما نهاه الله ورسوله عنه، ويرغب فيما رضىاه وحضا العباد عليه)<sup>(٢)</sup>.

أيها الآباء والمربون.. اغرسوا الإيمان في قلوب أبنائكم، اغرسوا حب الله ورسوله في قلوبهم الناشئة، لينهجوا منهج الصدق والعدل، والعفة والأمانة، والأدب والصيانة، قُصُوا

(١) رواه البخاري (٦٠١٦).

(٢) شرح ابن بطال على صحيح البخاري (٩/٢٢٢).



عليهم قصص الأنبياء والصالحين، والأولياء والمؤمنين، اغرسوا فيهم مبدأ المراقبة لله، ووجهه وخشيته والحياء منه، فتلك هي أصول القيم وجذور الأخلاق وينبوع الشرائع، لتنتج فيهم تواضعًا وإحسانًا، واستقامة وخيرًا..

أيها الناس.. المؤمن مبارك أينما كان، فهو كالنحلة أو كالنخلة، وكالغيث أينما حل نفع، لا يعيش لنفسه وحسب؛ بل يعيش لمجتمعه وأمته، ويسعى دائمًا في نفع غيره؛ لأنه يعلم أن أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس، وأحب الخلق إلى الله أنفعهم لعياله، وأحب العمل إلى الله سرور تدخله على مسلم.

وإن التعاون والتكافل عنوان المجتمع المؤمن، كما قال عليه الصلاة والسلام: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحَمَى»<sup>(١)</sup>.

فيفرح المسلم لفرح المسلمين، ويحزن لحزنهم، ويتألم لمصابهم، ويسعى لنصرتهم، ولا يوالي عدوهم؛ بل ويشاركهم في همومهم وتطلعاتهم، ويبدل الوسع في ذلك، فإن عجز عن شيء بلغه صدق إيمانه وصحة نيته ما لم يبلغه عمله، وانظروا إلى سلوك المسلمين في غزوة تبوك وقد دعاهم رسول الله للخروج للجهاد في سبيل الله في وقت شديد الحرارة، وقد بلغ بهم الفقر والحاجة مبلغًا عظيمًا، فخرج من خرج، وتصدق من تصدق، وجاء الفقراء يريدون مشاركة المسلمين في شرف الجهاد؛ لكنهم لا يملكون زادًا ولا راحلة، فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع، قال تعالى: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا اتَّوَكَّلُوا لِيَحْمِلَهُمْ قُلْتُ لَا أَحْدًا أَحْمَلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ [التوبة: ٩٢].

اللهم حبب إلينا الإيمان، وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين.

(١) رواه مسلم (٢٥٨٦).



هذا، وصلوا وسلموا -رحمكم الله- على الرحمة المهداة، والنعمة المسداة؛ نبينا وإمامنا  
وقدوتنا محمد بن عبد الله، فقد أمركم الله بالصلاة والسلام عليه بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ  
وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].  
اللهم صلِّ وسلم وبارك على نبينا محمد، وارض اللهم عن خلفائه الراشدين، وعن  
الصحابة أجمعين، وعن التابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بمنك  
ورحمتك يا أرحم الراحمين.



## الرد على الملحدين

## الخطبة الأولى:

الحمد لله الذي عز جلاله فلا تدركه الإفهام، وسما كماله فلا تحيط به الأوهام، وشهدت أفعاله أنه الحكيم العلام، سبحانه هو الملك القدوس السلام، حجب إلى عباده الإيمان وشرح صدورهم للإسلام، تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام..

أشهد أن لا إله إلا هو وحده لا شريك له، جل عن الشبيه والمثيل والكفاء والنظير، دلت على وجوده الآيات الباهرة، وشهدت على جوده نعمه الباطنة والظاهرة، وسبحت بحمده الأفلاك الدائرة، والنجوم السائرة، والسحب الماطرة، هو الأول فله الخلق والأمر، والآخر فإليه الرجوع يوم الحشر، الظاهر فله الحكم والقهر، والباطن فله السر والجهر..

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، وصفيه وخليله، وخيرته من خلقه، وأمينه على وحيه، أرسله ربه رحمة للعالمين، ومحجةً للسالكين، وحجةً على العباد أجمعين، فهدى به من الضلالة، وبصّر به من الجهالة، وأرشد به من الغواية، وكثر به بعد القلة، وأغنى به بعد العيلة، وتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك.

فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطيبين، وأصحابه الغر الميامين، ما اتصلت عينٌ بنظر، أو سمعت أذن بخبر، وسلّم تسليما كثيرا إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا عباد الله: اتقوا الله كما أمركم في محكم كتابه: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا

تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].



عباد الله: إن من فضل الله علينا أن أوجدنا وخلقنا في هذه الحياة، وأمَدَّنَّا بأصناف النعم، خلقنا في أحسن تقويم، وكرمنا أعظم تكريم، ومتَّعنا بالأسماع والأبصار والعقول، وسخر لنا ما في السماوات وما في الأرض، وما في الجو والبر والبحر، وأسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة، وفضلنا على كثير من خلقه بالفطر الصحيحة، والعقول الرجيحة، والجوارح السليمة، والنعم العظيمة، والمنن الجسيمة، كل ذلك ليحمل الإنسان الأمانة الغالية، والمسئولية الكبيرة، ليعرف في الوجود مكانته التي بوَّأه الله إياها، ووظيفته التي كلفه بها، والغاية المثلى التي خلقه لأجلها، والحق العظيم الذي عليه الله ربه، خالقه ورازقه، ومدبر أموره، ومالك ضره ونفعه، وحياته وموته، لا إله غيره، ولا رب سواه.

أيها الإخوة الكرام: خلق الله تعالى الخلق عبداً له، ذليلين لجنابه جل وعلا، وقضى الله تعالى أن يوجد خالق ومخلوق، وربّ ومربوب، وعبد ومعبود جل وعلاه.

ولقد قرر الله تعالى هذه القضية في القرآن، وبين الله عزَّ وجلَّ أحوال الملحدين الأولين فذكر الله تعالى في كتابه إلحاد فرعون لما جحد بها واستيقنتها نفسه، كما قال الله جل وعلا: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤]، وذلك لما جاء موسى عليه السَّلام إلى فرعون يدعوه إلى الإسلام فجحد فرعون بربنا جل وعلا وجعل يناظر موسى ويناقشه حتى كان الهلاك على فرعون، فلما بدأ به الغرق قال: ﴿ءَأَمِنْتُ أَنَّهُ لَإِلَهِ إِلَّا الَّذِيءَ ءَأَمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠].

فذكر الله تعالى إلحاد فرعون، وذكر الله تعالى في كتابه إلحاد النمرود الذي قال لإبراهيم عليه السَّلام أنا احبي واميت! فقال له إبراهيم: ﴿فَإِنَّكَ اللَّهُ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

فذكر الله تعالى إلحاد في كتابه، ولا يزال إلحاد -أيها المسلمون- يطوف بعقول بعض الناس، وإنك إذا تأملت اليوم في واقعنا وجدت أن مثل هذا إلحاد بدأ ينتشر عند بعض المسلمين مع -الأسف!- فبدأت تظهر لهم منظمات ومنتديات من خلال شبكة الانترنت، وصار لهم مواقع، وصار لهم مناقشات ونواد يجتمعون فيها، فتجد أحياناً في بعض البلدان من كانوا مسلمين أو هم لا يزالون مسلمين لكن عندهم شيء من اللوثة تتأثر بذلك إلحاد أو



ببعض عقائده أو بقراءة بعض كتبه، أو المشاركة في بعض متندياته أو ما شابه ذلك، بسبب الشبهة والشهوة.

ولقد كان السلف رَحْمَهُ اللهُ يُحْذِرُونَ الناس من أن يقع في قلوبهم شك في وجود رب العالمين أو في أحقيته بالعبادة، ولقد ذكر أهل العلم أن الإمام أبا حنيفة رَحْمَهُ اللهُ تعالى ناظر يوماً قوماً من السومانية، قال: وكان هؤلاء السومانية قوماً ملحدين ينكرون وجود الله تعالى ويقولون إن هذا الكون وجد هكذا صدفة من غير خالق، من غير موجد، وأن ما نرى من جبال وأحجار وأشجار ومخلوقات متنوعة على إتقانها وجلالة هيبتها ودقة صنعتها أن هذا كله إنما وجد هكذا صدفة دون أن يكون له خالق وموجد جل في علاه.

فناظرهم أبو حنيفة رَحْمَهُ اللهُ فإذا بهم يتأففون عنه وترفعون عن حوارهِ ويطنونهُ ضالاً في عقيدته، فواعدهم من غده أن يلتقوا عند الأمير -يعني عند أمير البلد- فلما كان الموعد تأخر عليهم أبو حنيفة رَحْمَهُ اللهُ فأخذوا يتكلمون عنه ويذمونه ويقولون للأمير: هؤلاء علماءكم يتأخرون عن مواعيدهم! فلما دخل أبو حنيفة قال له الأمير: تأخرت يا أبا حنيفة. قال: نعم؛ إني لم أجد مركباً ينقلني من ضفة النهر إلى الضفة الأخرى. قال له: فماذا فعلت؟ (لما لم تجد مركباً يحملك؟) هل قطعت النهر سباحة؟ قال: كلا، بينما أنا واقف على جانب ضفة النهر إذا بسحابه تمر علينا، وإذا ببرق عظيم ورعد شديد، وإذا هذا البرق تنطلق منه صاعقه فتشق شجرة عظيمه إلى نصفين فيقع نصفها هكذا صدفة في البر ونصفها في البحر، وصدفةً إذا بالنصف الذي في البحر تنطلق قطعة من حديد كانت موجودة على الأرض ثم تلتصق بغصن من اغصان هذه الشجرة، ثم هكذا يلتصق هذا الحديد بذلك اللوح ثم يقبل على هذا الجزء الذي على الماء ثم يبدأ يقطعه حتى صُنع منه قارب يستطيع إن يسير في الماء، ثم دنا هذا القارب صدفةً إلى جانب الشط فركبت فيه، ثم صدفةً هكذا انطلقت ألواح من يمين ويسار وصنعت مجاديف، والتصق بعض الأخشاب ببعض حتى صنعت مجدافين، ثم جعلت تجدف من نفسها دون أن يكون لها صانع، دون أن يكون لها مجدف، دون أن يكون لها موجّه ولا رُبَّان يقود هذا القارب، فإذا نحن بعد قليل في الضفة الأخرى، فما نحن الآن بين أيديكم!



قال: فالتفت السومانية إلى الأمير وقالوا: عالمكم هذا مجنون. قال لهم أبو حنيفة: لماذا؟ قالوا: أمعقول أن يوجد قارب كامل من غير صانع؟ ثم هذا الفأس يوجد من غير صانع، ثم ما هذه الصدفة التي قسمت هذه الشجرة نصفين وجعلت نصفاً على البر ونصفاً على البحر؟ ثم كيف يسير هذا القارب من غير قبطان يقوده ولا رجل يوجهه؟ أنت مجنون.

فقال لهم أبو حنيفة: سبحان الله! الآن لم تصدقوني بأن قارباً واحداً وجد هكذا صدفة وصنع هكذا من غير صانع، وأنتم تقولون إن السموات والأرض والجبال والشمس والقمر وما في الكون من الأفلاك الدائرة والكواكب السائرة كله تدعون أن هذا الكون كله وجد صدفة! فحجّهم رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى.

وذكر أن أبا حنيفة أيضاً جلس يوماً مع بعض هؤلاء الملحدين فتكلم أبو حنيفة عن خلق الله تعالى للكون وإتقان صنعته، قال ذلك الملحد: أنت تزعم أن الله هو وحده هو الخالق؟ قال: نعم؛ هو سبحانه الذي يوجد الشيء من عدم فيخلق ما يشاء. فالتفت إليه ذلك الملحد وقال: أنا أستطيع أن أخلق. قال: أنت تخلق؟! قال: نعم.

فمضى ذلك الملحد بأبي حنيفة إلى شجرة فشق شيئاً منها ثم أخذ قطعة لحم ودسه في الثقب الذي صنعه ثم غطى ذلك الثقب، وقال لأبي حنيفة: موعدنا هنا بعد شهر، فلما مضت الثلاثون يوماً أقبل أبو حنيفة إلى ذلك الموضع ثم نزعوا ذلك الغطاء وإذا بذلك اللحم عليه شيء من الدود يسري عليه، لما كشفوا الغطاء إذا بالدود يخرج من مكانه، فقال له ذلك الملحد: هل كان هذا الدود موجوداً قبل أن نضع اللحم؟ قال أبو حنيفة: لا. قال: هل ترى موضعاً يمكن للدود أن يدخل من خلاله وقد سدنا المكان؟ قال: لا؟ فقال: إني أنا الذي خلقتة.

فقال له أبو حنيفة: الخالق يعرف خلقه، أليس كذلك؟ قال: نعم. قال: كم عدد مخلوقاتك؟ قال: لا أدري. قال: كم منها ذكور وكم منها إناث؟ قال: لا أدري. قال: ماهي أجاها؟ من سيموت منها قبل الآخر؟ قال لا أدري. قال: من وجد منها في الحياة قبل الآخر؟ ما أعمارها؟ قال: لا أدري. قال: سبحان الله! وتزعم أنك خالق عليم بخلقك وأنت لا تدري عن أعمارهم ولا عن أجاهم ولا عن ذكورهم من إناثهم؟!.

وإذًا؛ هو فعلا لم يخلق إنما هيأ بيئة لأجل أن تتحرك بعض الفطريات الموجودة أصلا في ذلك اللحم، هيأ لها بيئة ليصنعها الله تعالى وأن يخلقها كما يشاء جل في علاه؛ كما يبيء الزارع البذرة والأرض للنبات، لذا -أيها المسلمون- إن هذا المذهب -أعني مذهب الإلحاد- مع وجوده اليوم ومع ظهوره فإن عددا من هؤلاء الملحدين لا يزالون مقتنعين بما حدثهم به دارون لما قال إن أصل الإنسان كان من قرد!.

يقول أحد الدعاة: حاورت ملحداً فقلت له: من خلقنا؟ قال: نحن تطورنا. قلت له: كيف تطورنا؟ قال: نحن كنا قرودا، وقبل أن نكون قرودا كنا حيوانات أصغر من ذلك، ثم كنا ضفادع، ثم كنا خلايا صغيرة، ثم كنا أصغر من هذه الخلايا. فلما قال كنا قرودا قلت له: أما أنا فلم اكن قردا والله الحمد! كل شخص يتكلم عن نفسه، أنا بشر ابن بشر، خلق الله تعالى أبانا آدم في السماء بشرا ونحن من ذريته، أما أن تكون أنت اجدادك قروود فهذا راجع إليك!. ثم قال: إن هذه الخلايا كانت قديمة. فقلت له: حسنا، ارجع ايضا. قال: فلا تزال هذه الخلايا كونت من خلايا اصغر منها... حتى وصلنا إلى موضع لا يستطيع الاجابة عليه. قلت له: حسنا، لما تناهت في الصغر وجعلت تصغر هذه الخلايا فتصنع تلك الخلية خلية قبلها وتوجد منها وتتطور حتى تكبر الخلية الأولى، مَنْ أوجدها؟ قال: هذه جاءت من الانفجار العظيم للكون. قلت: هذا الانفجار معناه أن هناك شيء كان موجودا وانفجر، أليس كذلك؟ قال: بلى. قلت: هذا الشيء الذي انفجر مَنْ خلقه؟ من أوجده؟ ماذا كان قبل ذلك؟ فسكت قليلا -ومعه ماجستير من امريكا- فقال: هذا السؤال الذي لا يستطيع احد إلى الآن الاجابة عليه.

فقلت له: أما نحن فعندنا الإجابة: ﴿اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦]، وهو سبحانه وتعالى العزيز الحكيم، وهو العلي العظيم، وهو الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين، والله! إن كل خلية من الخلايا لتشهد أن الله تعالى واحد لا شريك له.

فيا عجباً كيف يُعصى الإله      أم كيف يجحده الجاحدُ  
وفي كل شيء له آيةٌ      تدل على أنه واحدُ



إن كل ذرة من ذرات الكون تشهد أن الله واحد لا شريك له، إنَّ كلَّ جزء نراه في هذا الكون يشهد أن الله تعالى واحد لا شريك له؛ بل إن كل هذه الأمور وكل هذه الأشياء تسبِّح بحمد ربنا جل وعلا، كما قال الله - سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤].

وإن هؤلاء الملحدين ليعيشون في حيرة وحسرة، وهم وغم، لن يجدوا له حلا إلا أن يدخلوا في الاسلام ويوحداوا الله رب العبيد وبارئ البرايا سبحانه.

يقول أحد الدعاة: اتصلت بي امرأة تستفتي فقلت: دعي زوجك يتصل بي، فإذا زوجها يتصل وهي تستفتي: هل يجوز أن أبقى معه وهو ملحد أم لا؟ قلت: دعينا نناظره ونناقشه وننصحه، فتحدثت معه فإذا هو يقول لا إله! قلت: فمن خلقنا؟ فإذا به يعود بي إلى نظرية دارون وأنه كان قردا. قلت له: حسنا! ما تقول في محمد ﷺ؟ قال: هذا رجل أديب واستطاع أن يصنع القرآن، وخدع الناس بذلك. قلت له: مادام أنه صنع القرآن؛ فلماذا لم يتأتى لأحد صنع مثل هذا القرآن الآن من ١٤٠٠ سنة وقريش لم تستطع أن تصنع ولا سورة واحدة، وقد تحداهم وهم الأدباء والبلغاء والشعراء؟ لماذا لم يستطيعوا؟ قال: لا اعلم.

قلت له: حسنا؛ والإعجاز العلمي الموجود في القرآن، لما يقول الله تعالى: ﴿وَالْجِبَالُ أَوْتَادًا﴾ [النبا: ٧] ثم يكتشف اليوم الجيولوجيون بأن لكل جبل وتدا في داخل الأرض هو بمقدار ثلاثة أرباع الذي في سطحها، كما أنك تضرب وتد الخيمة فتجعل ثلاثة أرباعه داخل الأرض ليشدها وليثبتها، كذلك سمي الله تعالى الجبال أوتادا، ﴿وَالْجِبَالُ أَرْسَاهَا﴾ [النازعات: ٣٢]. قلت له: من أين عرف محمد ﷺ أن في الارض ثلاثة أضعاف هذا الجبل؟ قال: هذا جاء مصادفة.

قلت له: وما يتعلق بالجنين وأنه كان مضغة وعلقة وإذا به يُنشأ خلقا آخر ويكسو الله تعالى العظام لحما. كيف عرف محمد أن العظام تسبق اللحم؟ كيف عرف؟ قال: هذا أيضا كان صدفة. قلت له: حسنا! والكون لما قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧]، ولا يزال اليوم الناس يعلمون من العلماء في الفلك بأن الكون لا يزال يتوسع في ذراته؟ قال: أيضا هذا كان صدفة!

قلت: سبحان الله! ما أكثر الصدف التي وافقت الحقيقة من رجل عربي أُمي لا يقرأ ولا يكتب، ولم يسبق إليها أحد غيره من الفلاسفة والأطباء والحكماء وغيرهم!  
 إن صدقت بالأولى والثانية فلا ينبغي أن أصدقك في بقيتها، ثم قلت له: أسألك بالله! متى كنت تشعر براحة أكثر وطمأنينة في قلبك وعدم اكتئاب وعدم قلق الآن حين أنكرت وجود الله وكفرت بالله العظيم وبدأت تنخرط في شهواتك ولذاتك دون أن يكون لك رقيب من داخل قلبك، أم لما كنت عابداً لله مصلياً له تقرأ القرآن؟ فقال: لا تستعمل معي العواطف.  
 قلت: أجب عن هذا السؤال. فقال: أما إن أردت أن أصدقك فوالله لقد كنت في ذلك الحال في طمأنينة، أتمنى الآن أن أجد ولو ربعها، ثم قال: والله إني أعيش الآن في شتات، ولا أستطيع أن أستقر على حال من القلق والاكتئاب؛ لكن مع ذلك أنا مصر على الرأي الذي أنا عليه!!

فتذكرت حال الأولين الذين عاشوا في شيء مما كان يتعلق بالفلسفة والإلحاد.  
 واعلم أن الفخر الرازي رَحِمَهُ اللهُ الذي كان في زمانه أعظم أئمة التأويل؛ رجع عن ذلك المذهب إلى مذهب السلف، معترفاً بأن طريق الحق هي اتباع القرآن في صفات الله.  
 وقد قال في كتابه أقسام اللذات: لقد اخترت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فلم أجدها تروي غليلاً، ولا تشفي عليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن.. وقال: ومن جَرَّبَ مثل تجربتي عرف مثل معرفتي.

وقد بيّن هذا المعنى في أبياته المشهورة التي يقول فيها:

(نهاية إقدام العقول عقلاً	وغاية سعي العالمين ضلالاً
وأرواحنا في وحشة في جُسومنا	وغاية دياننا أذى ووبالاً
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا	سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا
وكم من جبال قد عنت شرفاتها	رجالاً فزالوا والجبال جبال)

وقيل: إنه ذهب مره إلى نيسابور فمر بطريق من الطرق فاجتمع عليه بعض الطلاب يسألونه، فكانت عجوز جالسة عند بيتها فسألت: من هذا الذي ظلل عليه الناس واجتمعوا؟



فقالوا لها: هذا الرازي. قالت: أي شيء الرازي؟ ما هو الرازي؟ لم أسمع به! فقال لها أحدهم: هذا الذي أقام ألف دليل عقلي على وجود الله. فقالت: إيه! والله لو لم يقم في قلبه ألف شكّ لما احتاج إلى ألف دليل. فسمعها الرازي فرفع بصره إلى السماء وقال: (اللهم اعطني إيماناً كإيمان عجائز نيسابور) أعطني عقيدة مطمئنة، ولا تجده هذه العقيدة المطمئنة إلا في الإيمان بالله وحده.

والشهرستاني رَحِمَهُ اللهُ مَرَّ أيضاً بشيء من تلك الفلسفة والخوض في العقليات، قيل: فلما نزل به الموت جعل يقول:

لقد طفتُ في تلك المعاهد كلها      وقلبت طرقي بين تلك المعالم  
فلم أر إلا واضعاً كفَّ حائرٍ      على ذقنٍ أو قارعاً سنَّ نادِمٍ<sup>(١)</sup>

يعني: دخلت على الملحدين وحاورتهم وناظرتهم، ودخلت على شتى العقائد ونظرت فيها وجربتها، يقول: ما رأيت إلا مختارين، أو أقواما عندهم ضلال في عقائدهم، أو ما شابه ذلك.

وأذكر أن أحد الملحدين قابل أحد العقلاء الحكماء، فقال له ذلك الملحد: أتزعم أن الله موجود؟ فقال: نعم؛ ربنا جل وعلا موجود، كما سئل ذلك الأعرابي الذي قيل له كيف عرفت ربك؟ فقال: البعرة تدل على البعير. إذا مشيت في البر ورأيت بعرة عرفت أن بعيراً مرّاً، لم تقل مر صقر أو حمامة، قال: البعرة تدل على البعير، وأثر القدم يدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، ألا تدل على العليم الخبير؟!

فقال ذلك الملحد لهذا العاقل: هل تؤمن أن الله موجود؟ قال: نعم. فسأله عن إدراك ربه بالحواس الخمس. قال: هل رأيت ربك؟ قال: لا. قال: هل سمعته؟ قال: لا. قال: هل ذقته؟ هل لمستَه هل شممتَه؟ قال: لا. قال: إذن ربك غير موجود.

فقال له المؤمن: هل عندك عقل؟ قال: نعم. قال: هل رأيت عقلك؟ قال: لا. قال: هل شممت عقلك؟ قال: لا. قال: هل ذقت عقلك؟ هل لمست عقلك؟ هل سمعت عقلك؟

(١) نهاية الإقدام ص (٣).

قال: لا. قال: إذن ليس لك عقل. قال: بلى؛ لي عقل لأني أرى آثار عقلي، أرى أنني أتصرف بعقل، وأتكلّم بعقل، إذن لما رأيت آثار عقلي عرفت أنه موجود. قال: فكذلك ربنا جل في علاه. وحاجج بعض المسلمين ملحدًا بقصة شبيهة لهذه القصة، لكنه قال له: هل تحب زوجتك؟ قال ذلك الملحد: نعم. قال: صف لي هذا الحب، كيف شكله ولونه؟ قال: لا أدري، قال: هل رأيتَه أو لمستَه أو شممتَه؟ قال: لا.. قال: فبِم تعرفه؟ قال: بأثاره، قال: فكيف تستغرب حين نقول: إننا نعرف وجود الله بأثاره ونعمه ومخلوقاته؟ فبُهِت الذي كفر.

أيها الناس: لو شاء ربنا سبحانه وتعالى لرأيناه ولسمعناه، والمؤمن سيسمع ربه يوم القيامة، وسوف يرى ربه يوم القيامة؛ لكننا عرفنا ربنا اليوم بآياته ومخلوقاته، وهو جل وعلا الذي جعل في فطرنا جعل الإيمان به وحده لا شريك له، كما قال الله - سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٣﴾ أَوْ نَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ أَفَنُهَلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٤﴾﴾ [الأعراف: ١٧٢-١٧٣].

جعل الله تعالى في فطرنا على الإيمان به وحده لا شريك له، والطفل لو سلم من شياطين الجن والإنس لنشأ على عقيدة التوحيد، وعلى عبادة الله وحده لا شريك له؛ لذلك أرسل الله تعالى الرسل مبشرين ومنذرين، لم يرسل الله تعالى الرسل ليقتنعوا الناس بأنه يوجد إله اسمه الله، لا؛ فهذا في فطر الناس يعلمونه ويدركونه، إنما الرسل يبشرون المؤمنين بالجنة وينذرون المخالفين من النار، ويعلمون الناس كيف يصلون وكيف يتعبدون لربهم الذي استقر في قلوبهم انه موجود وحده لا شريك له.

اسأل الله تعالى ان يُمكن الإيمان في قلوبنا، وأن يعيذنا من الشرك و الإلحاد.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله الجليل العظيم لي ولكم من كل ذنب فاستغفروا وتوبوا إليه، إنه هو الغفور الرحيم.



### الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشانه، وأشهد ان محمدا عبده ورسوله الداعي الى رضوانه، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله واخوانه وخلانته، ومن سار على نهجه واقتفى اثره واستن بسنته الى يوم الدين.

أما بعد..

ايها الاخوة الكرام، إن مما يوقع عددا من الناس فيما يتعلق بالإلحاد أو إنكار وجود ربنا جل وعلا أن بعضهم يدخل في حوارات مع الملحدين وهو لا يملك بضاعة يستطيع أن يرد بها الشبهات عن نفسة.

ولقد بدأ بعض الشباب يدخلون في حوارات ونقاشات مع أقوام إما مع أهل البدع، سواء من الشيعة او غيرهم، أو أحيانا من الملحدين وما شابههم، فلكونه لا يملك الأهلية للمناظرة، ولم تكتمل بُنيته العلمية في المسائل التي يناقش فيها، فربما خلص إلى قلبه شيء من هذه البدع فلا يستطيع أن يردها عن قلبه فأحدث فيه شُبْهة وظلمة؛ لذلك نهى أهل العلم عن محاوره أهل البدع أمام العامة.

لذلك لا ينبغي للإنسان من خلال هذه المواقع وغيرها أن يدخل على شيء من هذه المنتديات أو أن يناقش أهلها وينظرهم إلا إذا كان أهلا لذلك وعنده معلومات تامة فيما يحاورهم فيه، أما أن يدخل في حوار وهو لا يعلمه فلا ينبغي له ذلك.

أيها الأحبة: وكلما تعلم الانسان أسماء الله الحسنی وصفاته العلی وتعرف على خالقه جل وعلا أيقن أن الايمان بالله وحده إذا استقر في قلبه حماه الله تعالى من صنوف الإلحاد والبدع، ومن كان بالله أعرف كان منه أخوف، القراءة في كتب العقيدة الاسلامية، معرفة صفات الله وأسمائه والتفكر فيها، معرفة ما يتعلق بالرد على أصحاب الشبهات من الملحدين وغيرهم، إذا تمكن هذا في قلب الانسان حماه الله تعالى بإذن الله تعالى من أن يزيغ قلبه.



ومما ينبغي التنبه له: أن يكثر المسلم من دعاء الله تعالى، وقد كان من دعاء المؤمنين قولهم: ﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾ [آل عمران: ٨]، وكان من دعاء إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو يبني البيت الحرام بأمر من الملك العلام أنه كان يقول: ﴿وَأَجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]، ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم؟ وقالت عائشة رضي الله عنها: «كان أكثر دعاء النبي ﷺ أنه كان يقول: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»<sup>(١)</sup>.

أسأل الله تعالى أن يثبت قلوبنا على دينه، اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك، اللهم اجعلنا هداة مهتدين غير ضالين ولا مضلين، سَلِّمًا لِأَوْلِيَائِكَ، حَرْبًا عَلَى أَعْدَائِكَ، نَحْبُ بِحَبِّكَ مَنْ أَحْبَبَكَ، وَنَعَادِي بَعْدَاوَتِكَ مِنْ خَالَفَكَ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام، على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.



(١) صحيح الترمذي للألباني (٣٥٢٢).





## الإيمان بالملائكة (١)

### الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ءِالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

يقول الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنَحَةٍ مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير﴾ [فاطر: ١]. هذه الآية تبين مظاهر قدرة الله تعالى، وآثار قوته المشهودة في خلق السموات والأرض، وفي خلق الملائكة العظام، الذين خلقهم من نور، وجعلهم رسلاً في تنفيذ أوامره، وتبليغ وحيه وأحكامه، ﴿اللَّهُ يُصَوِّطُ فِي مَنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥]، وزاد في خلقهم جمالاً وقوة أن جعلهم أصحاب أجنحة مثنى وثلاث ورباع، ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر: ١]. ودقة المصنوع تدل على عظمة الصانع.

(١) عبدالباري الثبيتي.



الملائكة آية من آيات الله، قال: «أُذِنَ لِي أَنْ أَحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةٌ سَبْعُمِائَةِ عَامٍ»<sup>(١)</sup>.

كل حركة في السموات والأرض من حركات الأفلاك والنجوم والشمس والقمر والسحاب والنبات والحيوان فهي ناشئة عن الملائكة الموكلين بالسموات والأرض، قال تعالى: ﴿فَالْمُذَبِّحَاتِ أَمْرًا﴾ [النازعات: ٥]. لهم مقامات مختلفة: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾ [الصفات: ١٦٤].

أثر الإيمان بالملائكة كأثر الإيمان جملة، له آثار عقدية وسلوكية تقرب العبد من ربه، وتشعره بحلاوة الإيمان، ولهذا كان الإيمان بالملائكة من البرِّ ودليل التقوى، قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الشَّرِيفَ بِمَشْهَدٍ عَادِلٍ مِنْ مَشَاهِدِ عِبَادَتِهِمْ، تُبْرِزُ جَلَالَتهُمْ وَعَمَلَهُمْ وَشُمُوحَ طَاعَتِهِمْ، قَالَ: «إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ، أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَنْطَبَّ، مَا فِيهَا مَوْضِعٌ أَرْبَعِ أَصَابِعٍ إِلَّا وَفِيهَا مَلِكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ»<sup>(٢)</sup>. سعادة أبدية واستقامة لا غَبَشَ فِيهَا، ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦]، ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠].

إن هذه النصوص تدفع أولي الألباب إلى الاتصاف بصفة الملائكة، بالتسبيح والحمد والثناء، قيامًا وعودًا وعلى جنوبهم، لاسيما والقلب البشري سريع التقلب، سريع النسيان، يشرق ويفيض بالنور، فإذا طال عليه الأمد بلا تذكير ولا ذكرٍ تبدد وقسا وأظلم وأعتَم. إن النفس التي بين جوانحنا تفتقر إلى خلوة بعض الوقت في الذكر، وانقطاع عن شواغل الأرض وضجة الحياة في عبادة للرب وترتيل للقرآن.

سلك الملائكة موكب الثناء والحمد، وحياتهم كلها عبادة وتسبيح، فإذا كان يوم القيامة قالت الملائكة جميعًا: «سبحانك ما عبدناك حق عبادتك، إلا أنا لا نشرك بك شيئًا»<sup>(٣)</sup>.

(١) صحيح أبي داود للألباني (٤٧٢٧).

(٢) صحيح الجامع (٢٤٤٩).

(٣) رواه الطبراني في الكبير (١٨٤ / ٢).

والمسلم مهما بلغ في العبادة، وبذل في الدعوة، وأنفق من مال فلن يبلغ مقدار عبادة الملائكة، فهو أولى بنبذ الكبر في الطاعة، والاعتزاز بالعمل، والعجب المحبط.

أقسم سبحانه بطوائف منهم: ﴿وَالصَّفَاتِ صَفًا﴾ [الصفات: ١]، وفيهم يقول الرسول: «أَلَا تَصْفُونَ كَمَا تَصَفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا»، فقلنا: يا رسول الله، كيف تَصَفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟ قال: «يَتَمُّونَ الصُّفُوفَ الْأُولَى، وَيَتَرَاوُونَ فِي الصَّفِّ»<sup>(١)</sup>.

وهذه دعوة إلى حسن النظام وإتقان العمل؛ استجابة للشارع واقتداءً بالملائكة الكرام، فتصطف الخلائق على نسق واحد في الأرض والسماء. ألا ما أروعها من صورة، وأعظمه من دين!

الملائكة عددهم لا يُحصى، فقد أجاب جبريل النبي لما سأله عن البيت المعمور الذي في السماء السابعة، فقال: «هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم»<sup>(٢)</sup>. هذه عظمة المخلوق فكيف بالخالق!

تصلي الملائكة على من يحضر ويتنظر صلاة الجماعة: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، وعلى الصف الأول، وعلى معلم الناس الخير، ومن صلى على النبي صلت عليه الملائكة، وصلاة الملائكة لها تأثير في هدايتنا وإخراجنا من ظلمات المعاصي والذنوب إلى النور، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [الأحزاب: ٤٣].

والصلاة من الملائكة للمؤمنين الاستغفار والدعاء لهم، تشفع الملائكة في المذنبين، ومن دعا لأخيه بظهر الغيب قال الملك الموكل به: آمين، ولك بمثل.

تنزل الملائكة بالسكينة لقراءة القرآن، قال لأسيد بن حُضَير: «تلك الملائكة دنت لصوتك، ولو قرأت - أي: بقيت تقرأ - لأصبحت ينظر الناس إليها لا تتوارى منهم»<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه مسلم (٤٣٠).

(٢) رواه البخاري (٣٢٠٧) ومسلم (١٦٤).

(٣) رواه البخاري (٧٩٦).



ومن أعمالهم تسجيل أعمال البشر وحفظها: ﴿إِذْ نَلَقَى الْمُتَلَفِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ [ق: ١٧] ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]، والإنسان بمحضر الكرام من الناس يحتشم في سلوكه، ويستحي أن يُسِفَّ في قول أو يتبدَّل في حركة، فكيف به في حَضْرَةِ حَفْظَةِ من الملائكة الكرام؟!

إن هذه الآيات تَسْتَجِيشُ القلب، وتُحَرِّكُ المشاعر، وتبعث الحياء؛ كي لا يصدر من المسلم إلا كريم الخصال وسامق الصفات، لا فرق بين خلوته وجلوته، هذا يُنمِّي الشعور بالمسؤولية ودوام المراقبة لله، فهو في قرارة نفسه يعلم أن هناك ملائكة ترافقه، تحصي عليه كل لحظة من لحظات حياته، وكل حركة من حركاته، وهذا يبين أهمية الأدب مع الملائكة، والنجل من اقتراف المعصية، فيكون إيمانه بالملائكة حافزاً للعمل الخير وترك الشر، وحصناً من الوقوع في المنكر، قال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠]، قال تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِّن أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ١١].

وكلَّ سبحانه بابن آدم ملائكة يتعاقبون بالليل والنهار، يحفظونه من المضار، يُحَصِّنُونَهُ مِنَ المهلكات، لا يفارقونه، بل يرافقونه من بين يديه ومن خلفه، وفي صحيح البخاري ومسلم: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار»<sup>(١)</sup>.

قال مجاهد: (ما من عبدٍ إلا له مَلَكٌ موَكَّلٌ يحفظه في نومه ويقظته، من الجن والإنس والهوام، فما منها شيء يأتيه يريدُه إلا قال له الملك: وراءك، إلا شيء أذن الله فيه فيصيبه)<sup>(٢)</sup>. فلك الحمد - ياربنا - على كريم فضلك، وجزيل عطائك.

الملائكة - إخوة الإسلام - لا تدخل بيتاً فيه تمثال أو صورة أو كلب، قال النبي: «لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة»<sup>(٣)</sup>. فهل يفرط العاقل في حفظ الملائكة من أجل كلب أو صورة.

(١) رواه البخاري (٥٥٥) ومسلم (٦٣٢).

(٢) رواه ابن جرير في تفسيره (٣٥٠/٧).

(٣) رواه البخاري (٣٣٢٢) ومسلم (٢١٠٦).

من عظيم خلق الله وجلال إبداعه أن الملائكة تتمثل حسب المناسبة، فقد جاء جبريل عليه السلام بصورة بشرٍ سوي الخلفة مريمَ عليها السلام، يبشرها بغلامٍ زكيٍّ هو المسيح عيسى ابن مريم، وجاء إلى إبراهيم عليه السلام ملائكةٌ في صورة شبابٍ حسنٍ ضيوف، وبشروه بغلام: ﴿هَلْ أَنْتَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ [الذاريات: ٢٤] ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَّمَ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٥]. وكان جبريل يأتي النبي بصورة رجلٍ أعرابي، كما في يوم بني قريظة، فلما رجع رسول الله من الخندق وضع السلاح واغتسل، فأتاه جبريل عليه السلام وهو ينفذ رأسه من الغبار، فقال: «قد وضعت السلاح! والله ما وضعتُه، أخرج إليهم». قال النبي: «فأين؟» فأشار إلى بني قريظة، فخرج النبي،<sup>(١)</sup> قال أنس: «كأنني أنظر إلى الغبار ساطعًا في زُقاقِ بني غنمٍ موكبٍ جبريل صلوات الله عليه، حين سار رسول الله ﷺ إلى بني قريظة»<sup>(٢)</sup>.

تنزل الملائكة على المؤمنين بالتأييد والنصرة: ﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الأنفال: ١٢]، وهذا يورث العزة في نفوس الصادقين، بتحقيق مدد وأنصار لمن نصر الدين. ثبت أن النبي قال لحسان: «اهجهم - أي المشركين - أو هاجهم وجبريل معك»<sup>(٣)</sup>، وقال: «إن روح القدس مع حسان ما نافع عن رسول الله»<sup>(٤)</sup>.

«وإذا أحبَّ الله عبدًا نادى جبريل: إن الله يحب فلانًا فأحبه، فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلانًا فأحبه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض»<sup>(٥)</sup>. وهذه ثمرة الطاعة ونور العبادة، حُبُّ في الملائكة الأعلى يفيض على الأرض قبولًا، ومن أهلها حُبًّا، ومن شؤم المعصية غَضَبٌ في الملائكة الأعلى، وبغضٍ في الأرض وصدود من الخلق.

ولله ملائكة سيّاحون في الأرض يبلغون رسول الله سلام أمته وصلاتهم عليه. ومن الملائكة من وكل بنفخ الأرواح في الأجنّة وكتابة الآجال والأعمال والأرزاق. وإسرافيل

(١) رواه البخاري (٢٨١٣) ومسلم (١٧٦٩).

(٢) رواه البخاري (٤١١٨).

(٣) رواه البخاري (٣٢١٣) ومسلم (٢٤٨٦).

(٤) رواه مسلم بمعناه (٢٤٩٠).

(٥) رواه البخاري (٣٢٠٩) ومسلم (٢٦٣٧).



صاحب الصور ينفخ فيه بأمر الله النفخة الأولى، فيهلك من في السموات إلا من شاء الله، ثم ينفخ فيه النفخة الثانية للبعث للحياة بعد الموت.

خزنة النار ملائكة أقوياء أشداء، لا يُقاومون ولا يُغالبون، وعلى جهنم تسعة عشر من الملائكة، عن ابن مسعود قال: قال رسول الله: «يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»<sup>(١)</sup>، وفي حديث الإسراء واجتماعه بالأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، حانت الصلاة كما قال: «فَأَمَّتْهُمْ فَلَمَّا فَرَغْتَ مِنَ الصَّلَاةِ، قَالَ قَائِلٌ: يَا مُحَمَّدُ، هَذَا مَالِكُ صَاحِبِ النَّارِ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَالْتَمَّتْ إِلَيْهِ فَبَدَأَنِي بِالسَّلَامِ»<sup>(٢)</sup>.

تقبض الملائكة الأرواح حين ينقضي أجلها: ﴿قُلْ يَتُوبَ فَرِحْتُ بِمَلِكِ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: ١١]، وهذا دليل على أن الحياة الدنيا فانية لا تدوم، ويكفيك منها متاع طيب وحلال بين لتفوز بالآخرة الباقية. تنزل الملائكة ساعة الموت لأهل الاستقامة بالبشرى والإناس، ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠]، وفي القبر مُنْكَرٌ ونكير، وسؤال وموقف عسير، لا ينجو منه إلا صادق الإيمان، تُرْحَبُ الملائكةُ بالمؤمنين الذين فازوا برضوان الله في مقام عالٍ رفيع، وفي جو راضٍ وديع، ﴿جَنَّتْ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ [الرعد: ٢٣] ﴿سَلِّمْ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٤].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفَعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

(١) رواه مسلم (٢٨٤٢).

(٢) رواه مسلم (١٧٢).



### الخطبة الثانية:

الحمد لله على توفيقه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشأنه، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه.  
أما بعد: فأوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى.

أيها الناس: الملائكة الحفظة تحضر عند صلاتي الفجر والعصر، قال رسول الله: «تجتمع ملائكة الليل والنهار في صلاة الفجر وصلاة العصر»، قال: «فيجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر»، قال: «فيجتمعون في صلاة الفجر»، قال: «فتصعد ملائكة الليل، وتثبت ملائكة النهار»، قال: «ويجتمعون في صلاة العصر»، قال: «فيصعد ملائكة النهار وتثبت ملائكة الليل»، قال: «فيسألهم ربهم، كيف تركتم عبادي؟» قال: «فيقولون: أتيناهم وهم يصلون، وتركناهم وهم يصلون»، قال سليمان: ولا أعلمه إلا قد قال فيه: «فاغفر لهم يوم الدين»<sup>(١)</sup>.

وهذه عباد الله مزيّة كبرى، وفضل عظيم للمواظبين على صلاة الجماعة، خاصة في صلاتي الفجر وصلاة العصر، أما الذين يرفضون الخير، ويحرمون أنفسهم الفضل، ويفرطون في صلاتي الفجر والعصر جماعة، فصفتهم خاسرة، وفعلتهم بائرة؛ لأنهم لا يعرفون صلاة العصر إلا إذا غدت بين قرني شيطان، ولا يؤدون صلاة الفجر إلا إذا طلعت الشمس، ماذا ستقول عنهم الملائكة، وبماذا يجيبون ربهم وهذا ديدنهم وحالهم؟! ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿[الانفطار: ٦-٧]﴾، ما غرّك بربك الذي خلقك في أحسن صورة، وجمّلك بأهبي خلقه، وأغدق عليك نعمًا لا تعدّ ولا تحصى؟! ما غرّك حين يناديك ربك فتقف أمامه مقصرًا مذنبًا مفرطًا، حين ترى المساجد في صلاة الجمعة لا تكفي المصلين، وتمتلى بهم الطرقات، إذا هي تشتكي الوحشة وهجر المسلمين لها في صلاتي الفجر والعصر؟! وحينما تكتظ مدرجات الملاعب بآلاف الشباب، أين هؤلاء عن صلاة الفجر في بيوت الله؟! مشاهد مخزنة تدل على عبودية الهوى، وتفريط من البعض بأعظم

(١) رواه البخاري (٥٥٥) ومسلم (٦٣٢).



ركن من أركان الدين بعد التوحيد، وهو الصلاة، حتى صار كالعُرْف العام. نسأل الله السلامة والعافية.

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله: «إن لله ملائكة يطوفون في الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أهل الذكر، فإذا وجدوا أقوامًا يذكرون الله تنادوا: هَلُّمُّوا إلى حاجتِكُمْ، قال: فَيَحْفُوفُهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إلى السماء الدنيا»<sup>(١)</sup>، وفي رواية مسلم: «حتى يملؤوا بينهم وبين السماء الدنيا»<sup>(٢)</sup>.

فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أن ملائكة الله يسبحون الليل والنهار، لا يفترون ولا يسأمون، فإذا جاؤوا يوم القيامة فعانوا أهوالها قالوا: سبحانك ربنا ما عبدناك حق عبادتك! فما عسى أن يقول ابن آدم الذي يقضي معظم أوقاته في غير طاعة؟ لكن ليُعلم أن المؤمن قد يفضل الملائكة، ولو لم يبلغ مثل عباداتهم، لأنه تغلب على شهواته ونجح في اختبار ربه له.

أيها الناس: علّموا أبناءكم صفات الملائكة وأعمالهم، وأسماء من جاءتنا أسماؤهم، كجبرائيل وإسرافيل وميكائيل.. واغرسوا في القلوب محبتهم، فإنهم أطوع الخلق لله، وإن الإيمان بهم ركن من أركان الإيمان.

ألا وصلوا - عباد الله - على رسول الهدى، فقد أمركم الله بذلك في كتابه فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]. اللهم صلّ وسلّم على عبدك ورسولك محمد..



(١) رواه البخاري (٦٤٠٨) ومسلم (٢٦٨٩).

(٢) رواه مسلم (٢٦٨٩).

## عالم الملائكة (١)

## الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِءَ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

أيها المسلمون، حديثنا اليوم عن عالم من عوالم الكون العظيمة، وعن جنود الله العجيبة، صادق الإيمان لا يملك والله إلا أن يحبهم وينزلهم قدرهم ومكانهم، ناصروا الدين وحموه، وقاموا بالحق وبذلوه، يصرف الله بهم حادثات البشر، ويحفظ عباده من الحوادث والغير، ويسوق سبحانه بأفعالهم العظمت والعبر، من سمع عنهم بصدق لهج لسانه بالتسبيح والتعظيم للذي خلقهم، ويبداع محكم سؤاهم، ولك أن تعجب إذا علمت أنهم موجودون حتى في النار، وهم في الجنة كذلك، وهم في السماء، وهم في الأرض، وهم عند النطفة في رحم المرأة، ومع الميت في قبره، وما بينها في الحياة، هم معه لا يفارقونه، شهدت لهم أراضي الجهاد، ولأمر الله هم دوما في انقياد، إنهم رسل الله إلى عباده وأنبيائه، عليهم الصلاة

(١) فيصل بن عبدالرحمن الشدي.



والسلام، إنهم عالم الملائكة، فأعظم به وربي من عالم، عالم كريم، كله طهر وصفاء، كرام أتقياء، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

الإيمان بوجودهم وبما صح من أعمالهم وإنزالهم منازلهم أصل أصيل من أصول الإيمان، بل لا يصح إيمان العبد ما لم يؤمن بهم، قال تعالى: ﴿ءَأَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكَيْهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

جاء في صحيح مسلم أن الله خلقهم من نور، وأكرم به من نور، ما لك إلا أن تسبح وتمجد الخالق سبحانه إذا علمت عن خلقهم، فهذا أمين الوحي جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ جاء في وصفه في مسند الإمام أحمد بإسناد جوده ابن كثير عن عبد الله بن مسعود قال: «رأى رسول الله جبريل وله ستائة جناح، كل جناح منها قد سد الأفق، يسقط من جناحه التهاويل من الدرر واليواقيت».

وإن كان حملة العرش ثمانية فهناك وصفاً لواحد منهم، روى الطبراني في معجمه الأوسط بإسناد صححه الألباني عن أنس قال: قال رسول الله: «أذن لي أن أحدث عن ملك من حملة العرش، رجلاه في الأرض السفلى السابعة، وعلى قرنه العرش، وبين شحمة أذنيه وعاتقه خفقان الطير سبعائة عام، يقول ذلك الملك: سبحانك حيث كنت»<sup>(١)</sup>.

فلا إله إلا الله سبحانه ما أعظمه! هذا خلق من خلقه، فكيف به سبحانه جل في علاه وتقدس وعظم كبرياؤه في أرضه وسماه، ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْبَصَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْبَصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

أودع الله سبحانه فيهم قوة تغنيهم عن الطعام والشراب، فلا يأكلون ولا يشربون، وما قصة أضياف إبراهيم من الملائكة عنا ببعيد، خير شاهد على ذلك.

أما عددهم فأنى لبشر أن يعددهم أو يعلم ذلك؟! ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١]، كفاك أن تعرف أنه جاء في الصحيحين أنهم في السماء السابعة يدخلون البيت المعمور، يدخله

(١) صحيح الجامع (٨٥٣).



ويصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه آخر ما عليهم. فيا لله ما أعظم عددهم وأكثرهم.

جاء في آيات القرآن وكتب السنة وظائف بعضهم، فمنهم الروح الأمين جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ رسول الله لرسله من البشر ومبلغ الوحي، ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣] ﴿عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٤]. ومنهم إسرئيل الذي ينفخ في الصور، ومالك خازن النار، ﴿وَنَادَاؤُا يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْهِ تَارِيكَ قَالِ إِنَّكُمْ مَنكِكُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧]، وخازن الجنة، وملك الموت الموكل بقبض الأرواح، والملك الموكل بالقطر والمطر، وحفظة بني آدم، والكتابة للحسنات والسيئات، وملك العذاب، وملك الجبال، وغيرهم وغيرهم، عز سبحانه كيف خلقهم ونظمهم وعلمهم، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠].

ولله ما أعظم عبادتهم، ديدنهم ذكر الله، وأعظم ذكره تسيبته، لذا وصفهم ربهم: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠]، وما كثرة تسيبهم إلا لأن التسيب أفضل الذكر، روى مسلم في صحيحه عن أبي ذر قال: سئل رسول الله: أي الذكر أفضل؟ قال: «ما اصطفى الله لملائكته أو لعباده: سبحانه الله وبحمده».

وما أعظم تقربهم بالسجود له سبحانه، فها هي السماء تثقل بسجوداتهم للعظيم سبحانه، صح في الحديث: «أطت السماء وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أربعة أصابع إلا وملك ساجد»<sup>(١)</sup>.

وها قد سمعت أنفاً عظم خلقهم وكبرهم، وسعة جسمهم ومع ذلك هم أمام ربهم في خشية وخضوع وذل وخنوع، قال ربهم فيهم: ﴿وَهُمْ مِّنْ خَشِيَتِهِ مُسْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وجاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة عن النبي قال: «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله كالسلسلة على صفوان»<sup>(٢)</sup>.

(١) حسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٤٤٩).

(٢) رواه البخاري (٤٧٠١).



ويصف جبريل ليلة الإسراء يوم أن مرَّ به بقوله: «مررتُ بجبريلَ ليلة أُسْرِيَ بي بالملأ الأعلى، وهو كالحلْسِ البالي من خشيةِ الله عَزَّوَجَلَّ»<sup>(١)</sup>، فما أظلم الإنسان بعد هذا وأجهله! ما أعتاه وأطغاه! عجباً لك من نطفة حقيرة وجسم ضعيف، الشوكة تؤذيك، والحجر يطرحك، ومع هذا تتألى على ربك، وتتناقل عن طاعته، وتستهين بحرماته، وتجاهر بمعصيته، في زهو وتكبر وتغطرس وتجبر، ألا ترى ملائكته؟! رحماك ربي بنا رحماك.

وعلاقة الملائكة بابن آدم وثيقة، من يوم أن يمرَّ على النطفة في الرحم ثنتان وأربعون ليلة، والله يبعث إليها ملكاً يصورها ويخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظمها، وبعد أربعة أشهر يبعث الله الملك فيكتب بإذن الله عمله ورزقه وشقي أو سعيد وينفخ فيها الروح، وها هي المعقبات تلازم الإنسان من أمامه وورائه طيلة حياته لتحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام، إلا إذا جاء القدر خلَّت بينه وبينها ليصيبه ما شاء الله ذلك، وها هم واحدٌ عن اليمين يكتب الحسنات، وآخر عن الشمال يكتب السيئات، ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]، ولكأنَّ حال هذين الملكين يعظان ابن آدم، صحيفتك قد بسطت لك، فالله الله املاًها بالحسنات والصالحات الباقيات، وحذار من أن تلطّخ سجلاتك بالسيئات الطالحات، فكل شيء مكتوب، إما هنا أو هناك. رحمة الله على الإمام أحمد كان في مرض موته، وكان يئن من شدة حرصه على سلامة صحيفته ولو مما يكره، يأتيه من يبلغه أن طاووس رَحِمَهُ اللهُ يقول: (يكتب الملك كلَّ شيء حتى الأنين)، فلم يئن أحمد بعدها حتى مات رَحِمَهُ اللهُ.

وها هي الملائكة تحضر يوم موتك ورحيلك، ولها معك شأن أيا شأن، فملائكة تقبض الروح بإذن ربها وبارئها، ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّقَهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١]، وملائكة تنزل عليه تبشره وتثبته، ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠] ﴿نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا شِئْتُمْ أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾ [فصلت: ٣١]، الله أكبر تنزل ومعها كفن من الجنة وحنوط من الجنة،

(١) السلسلة الصحيحة للألباني (٢٢٨٩).



بيض الوجوه، حسان المنظر، ما إن يراهم المؤمن عند الموت إلا ويفرح ويُسرّ، وملائكة أخرى تنزل على الكفار والمجرمين، لتبشرهم بالنار وغضب الجبار، وتقول لهم: ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ يَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ [الأنعام: ٩٣]، ينزلون ومعهم كفن من النار، سود الوجوه، وما إن يذهب الإنسان إلى قبره حتى يأتيانه فيسألانه تلك الأسئلة الثلاث، فاز بها من أجاب، وخاب من تاه لسانه عن الجواب، فالمؤمن الموفق يفرشون له من الجنة، ويفتحون له باباً إلى الجنة، والكافر يفرش له من النار، ويفتح له بابٌ إلى النار، نسأل الكريم سبحانه من فضله، ونعوذ به من عذابه.

أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه..

الحمد لله، خلق فأبدع، وحكم فشرّع، وخفض من خلقه من شاء ورفع، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أكرم من أعطى وأحكم من منع، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الشافع المشفع، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه السجّد الركع، ومن تبعهم بإحسان وإفضال إلى يوم معاذير الظالمين فيه لا تنفع. وبعد:

العلاقة بين الملائكة وبين عباد الله المؤمنين وثيقة، فالملائكة تحبّ المؤمنين، في الصحيحين من حديث أبي هريرة يقول: «إذا أحب الله عبداً نادى جبريل: إن الله يحب فلاناً فأحبه، فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلاناً فأحبه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض»<sup>(١)</sup>.

وأنت راءٍ هذا في الأرض بين الناس، من الناس من تحبه الناس وتألّفه، وهو لم يعطها يوماً درهماً، وقد لا يعرفهم، لكنها محبة السماء ومحبة الأرض، نسأل الكريم من جوده وبره. والملائكة تدعو للمؤمنين وتستغفر لهم وتصلي عليهم، ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [الأحزاب: ٤٣]، وصلاتها بمعنى الدعاء للناس والاستغفار لهم، وهل سمعت بتلك الدعوات المباركات التي يدعو بها حملة العرش من الملائكة لعباد الله المؤمنين؟ يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْحَجِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [غافر: ٧-٩] سبحانه ربنا ما أرحمك وأكرمك، يُسخر لعباده خلقاً ممن لم يذنبوا فيدعون لهم بالمغفرة، والرحمة ودخول الجنات، والوقاية من العذاب والسيئات.

(١) رواه البخاري (٧٤٨٥) ومسلم (٢٦٣٧).



وقد صح عند الترمذي أن الملائكة تصلي على معلم الناس الخير<sup>(١)</sup>. وهي تصلي على المبكرين للمساجد المنتظرين للجماعة كما في البخاري وتقول: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه<sup>(٢)</sup>. كما أنها تصلي على الصف الأول<sup>(٣)</sup>.

وروى أبو داود في سننه وصححه الألباني عن علي بن أبي طالب عن النبي قال: «ما من رجل يعود مريضًا مسميًا إلا خرج معه سبعون ألف ملك يستغفرون له حتى يصبح، وكان له خريف في الجنة، ومن أتاه مصبغًا خرج معه سبعون ألف ملك يستغفرون له حتى يمسي، وكان له خريف في الجنة»<sup>(٤)</sup>.

وها هي الملائكة تبحث عن مجالس العلم وتشهدها، في الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال النبي: «إن لله ملائكة يطوفون في الطرق، يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله نادوا: هلموا إلى حاجتكم قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا»<sup>(٥)</sup>.

وها هي الملائكة الكرام تحضر يوم الجمعة وخطبتها، في الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله: «إذا كان يوم الجمعة وقفت الملائكة على باب المسجد، يكتبون الأول فالأول، فإذا خرج الإمام طووا صحفهم، وجلسوا يستمعون الذكر»<sup>(٦)</sup>، فيالله كم من سابق قد كتب في أول صحفهم، هنيئًا له والله، وكم من المحرومين التي تطوى الصحف كثيرًا ولم يدركوها بتأخرهم وتباطئهم.

والملائكة تحبّ القرآن وسماعه، ومنهم من ينزل من السماء حين يقرأ القرآن، في صحيح مسلم عن البراء بن عازب قال: قرأ رجل سورة الكهف وفي الدار دابة، فجعلت تنفر، فإذا

(١) صحيح الترمذي (٢٦٨٥).

(٢) رواه البخاري (٦٥٩).

(٣) صحيح الترغيب (٥١٣).

(٤) صحيح أبي داود (٣٠٩٨).

(٥) رواه البخاري (٦٤٠٨) ومسلم (٢٦٨٩).

(٦) رواه البخاري (٩٢٩) ومسلم (٨٥٠).



ضبابة أو سحابة قد غشيتها، قال فذكر ذلك للنبي فقال: «اقرأ القرآن، فإنها السكينة تنزلت عند القرآن»<sup>(١)</sup>.

فأين أهل القرآن؟ أين أهل القيام؟ أين أهل التلاوة والترتيل؟ طوبى لهم ثم طوبى لهم! والملائكة تناصر الصالحين من العباد بإذن الله، ويأمرها الله بتفريج كربهم، جاء في السير أن أحد الصالحين كان في سفر له، ومعه رجل قد أركبه خلفه بأجر، فلما انتهوا إلى مكان عميق ووعر غدره الراكب وسلّ سكينه وقصده، واستسلم الصالح بين يديه، وقال له: خذ الدابة وما عليها ودعني، فأبى إلا أن يقتله، قال: إذا دعني أصلي ركعتين، فقال: عجل، قال الصالح: فممت أصلي، فارتجّ علي القرآن ولم يحضرنى منه حرف واحد، فبقيت واقفاً متحيراً وهو يقول: عجل، فأجرى الله على لساني: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [النمل: ٦٢]، يقول: فإذا بفارس قد أقبل من فم الوادي وبيده حربة فرمى بها الرجل فمات، فتعلقت به، وقلت: من أنت؟ فقال: (أنا رسول الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء)<sup>(٢)</sup>.

والملائكة تقاتل مع المؤمنين وتثبتهم في الحروب، وشهودها لبدر وأحد والخندق وغيرها أثبتها القرآن وصحت بها السنة.

والملائكة تشهد جنائز الصالحين، روى النسائي عن ابن عمر وصححه الألباني أن رسول الله قال في سعد بن معاذ: «هذا الذي تحرك له العرش، وفتحت له أبواب السماء، وشهده سبعون ألفاً من الملائكة»<sup>(٣)</sup>.

وأخيراً ما هو واجبنا تجاه الملائكة؟

واجبنا عدم إيذائهم، بتسميتهم إنثاءً، فقد قال الله عن المشركين: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: ١٩]، ومن هنا

(١) رواه مسلم (٧٩٦).

(٢) ذكرها اللالكائي في كرامات الأولياء، وابن عساكر في تاريخ دمشق.

(٣) صحيح النسائي (٢٠٥٤).

نهى أهل العلم عن تسمية البنات ملاكًا، وعلينا البعد عن الذنوب والمعاصي لأنها مما تتأذى منه الملائكة، فالملائكة لا تدخل الأماكن والبيوت التي يعصى فيها الله سبحانه، أو التي يوجد فيها ما ييغض الله كالصور والكلاب، صح عن رسول الله قال: «لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلبٌ ولا صورة»<sup>(١)</sup>. ولعل قائلًا يقول: أين البيت اليوم الذي لا يخلو من صورة؟! أجاب عن ذلك الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: (إن هذا مما عمت به البلوى، ويشق التحرز منه، لكن المقصود إن وجدت أن لا تكون بارزة ظاهرة).

والملائكة تتأذى مما يتأذى به بنو آدم من الروائح الكريهة والأوساخ، فينبغي إكرامهم والحياء منهم، فإنه قد يبلغ الحياء والمروءة والستر والعفة والصيانة عند المؤمن إلى درجة أن تستحي منه الملائكة، كما كانت تستحي من ذي النورين عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وكم هي آلات اللهو والعبث التي تمتلئ بها بيوت المسلمين اليوم مما يمنع دخول الملائكة، ويجعلها مرتعًا للشياطين. فاتقوا الله عباد الله، واعمروا قلوبكم وبيوتكم بذكر الله وطاعته وتلاوة كتاب.

هذا وصلوا وسلموا على النبي محمد..



(١) رواه البخاري (٤٠٠٢).



## الإيمان بالكتب (١)

## الخطبة الأولى:

إن الحمد لله؛ نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بلغ رسالة ربه، وجاهد في الله حق جهاده، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

أيها الناس: اتقوا الله، وعظّموا أمره، واحذروا زواجره، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى، الاستمسك بالدين هو الهدف الأسمى لكل مسلم، وهو السياج الحامي لكل حق.

أيها الناس:

الإيمان بالكتب -عباد الله-: هو التصديق الجازم بأن الله تعالى كتبها أنزلها على رسوله إلى عباده، وأن هذه الكتب كلام الله تعالى، تكلم بها حقيقة كما يليق به سبحانه، وأن هذه الكتب فيها الحق والنور والهدى للناس في الدارين.

والإيمان بالكتب يتضمن ثلاثة أمور:

الأول: الإيمان بأن نزلها من عند الله حقاً.

الثاني: الإيمان بما سمى الله من كتبه؛ كالقرآن الكريم الذي نزل على نبينا محمد، والتوراة على موسى، والإنجيل على عيسى، والصحف على إبراهيم، والزيور على داود -عليهم أجمعين السلام-.

الثالث: تصديق ما صح من أخبارها؛ كأخبار القرآن.



والإيمان بالكتب أحد أركان الإيمان؛ كما قال سبحانه: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ ءَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ مِنْ قَبْلُ﴾ [النساء: ١٣٦].

فأمر الله بالإيمان به وبرسوله وبالكتاب الذي نزل على رسوله وهو القرآن، كما أمر بالإيمان بالكتب المنزلة من قبل القرآن. وقال عن الإيمان: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»<sup>(١)</sup>.

وقد أخبرنا الله تعالى في القرآن الكريم أن أهل الكتاب من اليهود والنصارى قد حرفوا كتبهم، فلم تعد في صورتها التي أنزلها الله تعالى؛ فحرف اليهود التوراة، وبدلوا غيرها، وتلاعبوا بأحكام التوراة، قال تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ [النساء: ٤٦].

كما حرف النصارى الإنجيل، وبدلوا أحكامه، قال تعالى عن النصارى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُودُنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنَّ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنَّ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٨].

فليست التوراة الموجودة الآن هي التوراة التي أنزل الله على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولا الإنجيل الموجود الآن هو الإنجيل الذي أنزل على عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

إن التوراة والإنجيل التي في أيدي أهل الكتاب تشتمل على عقائد فاسدة، وأخبار باطلة، وحكايات كاذبة، فلا نصدّق من هذه الكتب إلا ما صدّقه القرآن الكريم، أو السنة الصحيحة، ونكذب ما كذبه القرآن والسنة.

ولا يجوز للمسلم أن يقرأ في شيء منها؛ فعن جابر أن عمر بن الخطاب: أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فقال: يا رسول الله، إني أصبت كتابا حسنا من بعض أهل الكتاب، قال: فغضب النبي ﷺ وقال: «أمتهم كون فيها يا ابن الخطاب؟! فوالذي نفسي

(١) رواه مسلم (٨).



بيده، لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده، لو كان موسى حيا ما وسعه إلا أن يتبعني»<sup>(١)</sup>.

إلا من كان عالماً لبيان بطلانها والرد على أصحابها، أو ما كان على سبيل الحكاية مما لم يرد تصديقه ولا تكذيبه؛ فقد أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة قال: «كَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ يَقْرَأُونَ التَّوْرَةَ بِالْعِبْرَانِيَّةِ وَيُفَسِّرُونَهَا بِالْعَرَبِيَّةِ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا تُكْذِبُوهُمْ، وَقُولُوا: ﴿ءَأَمْنَا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ﴾ [المائدة: ٥٩] الآية»<sup>(٢)</sup>.

فقد فضل الله هذه الأمة على سائر الأمم، كما فضل نبيها وفضل كتابها على سائر الكتب. فقد فضل الله القرآن الكريم الذي هو كلام الله تعالى المنزّل على عبده ورسوله محمد المتعبد بتلاوته، المعجز بكل آية منه.

وهو اسم لكتاب الله خاصة، ولا يسمى به شيء من سائر الكتب السماوية، هو الفرقان والكتاب والذكر والتنزيل، حفظه الله من التحريف، أنزله الله ليكون الكتاب المهيم، والرسالة الخاتمة، والشريعة الباقية، رعاها عن عبث العابثين، وتحريف الغالين، وانتحال المبطلين، محفوظ منذ اللحظة الأولى لنزوله وحتى يومنا هذا وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، لا زيادة فيه ولا نقصان، منقول بالتواتر، لم يختلف في عصر من العصور في سورة ولا آية ولا في كلمة واحدة منه: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِن خَلْفِهِ﴾ [فصلت: ٤٢].

عجز المشركين عن أن يأتوا بآية مثله، فضلا عن سورة، فضلا عن أن يأتوا بمثله، ما أخبر عن أمر إلا وقع كفلق الصبح، قال تعالى: ﴿الْم ﴿١﴾ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ [الروم: ١-٣].

وقال: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف: ٨]. وهو حبل الله المتين، والنور الممين، والشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن اتبعه، لا يزيغ فيستعتب، ولا يعوج فيقوم، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلق من كثرة الترداد.

(١) مسند أحمد (٣/ ٣٨٧) وحسنه الألباني في الإرواء (١٥٨٩).

(٢) رواه البخاري (٤٤٨٥).



راحة النفس وطمأنيتها: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨].

شفاء ورحمة للمؤمنين: ﴿ وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء: ٨٢].  
عجز عنه عدوه الوليد، فما استطاع أن يكذب عليه لما سئل عنه، فقال عنه لما سمعه من النبي ﷺ غصبا طرياً: (وماذا أقول؟! فوالله، ما من رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجز ولا بقصيدة مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، والله إن لقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلو، وإنه ليحطم ما تحته)<sup>(١)</sup>.

خصه الله بمزايا كثيرة، وخصائص متعددة، ينفرد بها عن الكتب السماوية السابقة؛ منها: أن القرآن الكريم قد تضمن خلاصة الأحكام الإلهية، وجاء مؤيِّداً ومصدقا لما جاء في الكتب السابقة من الأمر بعبادة الله وحده، وناسخاً لجميع الشرائع قبله، قال تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ مَّوْعِنَا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: ٤٨].

ومنها: أن هذا القرآن العظيم يجب على جميع الناس التمسك به، ويتعين على جميع الخلق اتباع القرآن والعمل به، بخلاف الكتب السابقة فهي لأقوام معينين، قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ إِلَيْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ لِأَنْذِرْكُمْ بِهِ، وَمَنْ يَلْعَ ﴾ [الأنعام: ١٩].

ومنها: أن الله تعالى قد تكفل بحفظ القرآن الكريم، فلم تمتد إليه يد التحريف، ولا تمتد إليه؛ كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [الأنعام: ١١٥].

فضائله كثيرة شتى لا تنتهي، قال عليه الصلاة والسلام: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه البيهقي (٣١٠) والحاكم (٣٨٧٢) وقال: (صحيح الإسناد على شرط البخاري)، ووافقه الذهبي.

(٢) رواه البخاري (٥٠٢٧).



وقال: «يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها»<sup>(١)</sup>. وقال: «إنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه»<sup>(٢)</sup>.

وقال: «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: ألم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف»<sup>(٣)</sup>.

وقال: «الشیطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة»<sup>(٤)</sup>.

وقال عن البقرة وآل عمران: «يأتیان يوم القيامة كأنهما غمامتان تحاجان عن أصحابهما»<sup>(٥)</sup>. وقال: «من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين»<sup>(٦)</sup>. وقال عن سورة الملك: «شفعت لرجل حتى عُفِر له»<sup>(٧)</sup>.

وقال: «قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن»<sup>(٨)</sup>.

وقال: «قل أعوذ برب الناس وقل أعوذ برب الفلق ما تعوذ متعوّذ بمثلها»<sup>(٩)</sup>.

وهذا غيض من فيض، قال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نُنْفِذَ كَلِمَتُ رَبِّي﴾ [الكهف: ١٠٩]. فاستمسكوا بالذي أوحى إلى نبيكم، وانهلوا من معينه، فإنه عنوان عزتكم ومادة سعادتكم.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني الله وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما سمعون، وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

(١) صحيح الترمذي (٢٩١٤).

(٢) رواه مسلم (٨٠٤).

(٣) صحيح الترغيب (١٤١٦).

(٤) رواه مسلم (٧٨٠).

(٥) رواه مسلم (٨٠٤).

(٦) رواه الحاكم (٢ / ٣٩٩) والبيهقي (٣ / ٢٤٩) قال ابن حجر في تخریج الأذکار: (حديث حسن، وهو أقوى ما ورد في قراءة سورة الكهف).

(٧) صحيح الجامع (٢٠٩١).

(٨) رواه مسلم (٨١١).

(٩) صحيح أبي داود (١٤٦٣).

الخطبة الثانية:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

عباد الله: إن للإيمان بالكتب السماوية آثارًا متعددة؛ منها:

عناية الله تعالى بعباده، وكمال رحمته، حيث أن لكل قوم كتابا يهديهم به، ويحقق لهم السعادة في الدنيا والآخرة.

ومنها: العلم بحكمة الله تعالى في شرعه، حيث شرع لكل قوم ما يناسب أحوالهم ويلائم أشخاصهم؛ كما قال الله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

ومنها: شكر نعمة الله في إنزال تلك الكتب، فهذه الكتب نور وهدى في الدنيا والآخرة، ومن ثم فيتعين شكر الله على هذه النعم العظيمة.

إذا عرفنا كذلك بعض المزايا العظيمة والخصائص الفريدة لهذه الأمة بتخصيصها بهذا القرآن الكريم: فما واجبنا نحو القرآن؟

أولاً: محبة القرآن، وتعظيم قدره، واحترامه؛ إذ هو كلام الخالق عزَّ وجلَّ، فهو أصدق الكلام وأفضله، ويعظم الكلام بعظم قائله، فالقرآن هو كلام الله العظيم المتعال: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١].

كما أن من حق القرآن علينا أن نقتطع له من أوقاتنا جزءاً لتلاوته وقراءته، وأن نتدبر آيات القرآن سورة، وأن نتفكر في مواعظ القرآن وأخباره وقصصه، وأن لا نكون كمن قيل فيهم: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠].

ويجب علينا اتباع أحكامه والطاعة لأوامره وأدابه؛ سئلت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن خلق النبي ﷺ فقالت: «كان خلقه القرآن»<sup>(١)</sup>. ومعنى الحديث: أن الرسول عليه الصلاة والسلام هو التطبيق العملي لأحكام القرآن وشرائعه، فقد حقق كمال الاتباع لهدي القرآن، ومن ثم يتعين علينا الاقتداء برسول الله، فهو القدوة الحسنة لكل واحد منا؛ كما قال سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

(١) صحيح الجامع (٤٨١١).

تعظيم القرآن الكريم<sup>(١)</sup>

## الخطبة الأولى:

الحمد لله الذي لم يزل بالمعروف معروفًا، وبالكرم والإحسان موصوفًا، أحمده سبحانه وأشكره، كل يوم هو في شأن، يسر عسيرًا ويجبر كسيرًا، ويغفر ذنوبًا ويستر عيوبًا، ويكشف كربًا، ويدفع خطوبًا، ويغيث ملهوفًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة خالصة لمن فطر السماوات والأرض حنيفًا، وأشهد أن نبينا محمدًا عبد الله ورسوله، جعله الله صادقًا أمينًا شريفًا عفيفًا، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه، صلاةً وسلامًا تزيدهم تفضيلًا وتكريمًا وتشريفًا.

أما بعد: فأوصيكم ونفسي بتقوى الله، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ؕ وَلَا تَمُونَّ ؕ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

أيها الناس: كانت البشرية تعيش في ظلام دامس وكليل بهيم، لعبت بعقولها انحرفات وخرفات، حتى أكرم الله هذه البشرية وأنزل عليها القرآن؛ ليخرجها من الظلمات إلى النور ومن الخضوع للأوثان والأصنام إلى خضوع كامل للواحد الديان.

أنزل الله القرآن معجزةً خالدة، وتحدى به الثقلين، فأذعن لفصاحته بلغاؤهم، وانقاد لحكمه حكماؤهم، وانبهر بأسراره علماءهم، وانقطعت حجج معارضيه، وظهر عجزهم، كيف لا وهو كلام الحكيم الخبير الذي لا يطاوله كلام ولا يجاريه أسلوب؟! قول إيجاز وآيات إعجاز.

يسر ذكره للذاكرين، وسهل حفظه للدارسين، فهو للقلوب ربيعها وللأبصار ضياؤها، جعله الله نورًا، وإلى النور يهدي، حقًا وإلى الحق يرشد، وصرطًا مستقيمًا ينتهي بسالكه إلى جنة الخلد، لا تملئه القلوب، لا تتعب من تلاوته، لا يخلق مع كثرة الترداد.

(١) عبد الباري بن عوض الثبيتي.



القرآن دليلٌ دربُ المسلمين، دستور حياة المؤمنين، هو كُليَّةُ الشريعة، عمود الملة، ينبوع الحكمة، آية الرِّسالة، نور الأبصار والبصائر، لا طريقَ إلى الله سواه، ولا نجاةَ بغيره، وإذا كانَ كذلك لزمَ مَنْ رامَ الهدى والنورَ والسعادة في الدارين أن يتَّخذه سَميرَه وأُنيسَه، وأن يجعله جليسه على مرِّ الأيام والليالي، نظرًا وعملاً، لا اقتصارًا على أحدهما، فيوشك أن يفوزَ بالبغية، وأن يظفرَ بالطلبة، ويجد نفسه مع السابقين وفي الرِّعيل الأول.

الجيلُ الأولُ في صدرِ الإسلام ساروا على نهج القرآن، فأصبَحوا خيرَ أمةٍ أُخْرِجَت للناس، لم يكن القرآن عندهم محفوظًا في السطور، بل كان مكنونًا في الصدور ومحفوظًا في الأخلاق والأعمال، يسير أحدهم في الأرض وهو يحمل أخلاق القرآن وآدابه ومبادئه.

شهد الأعداء بعظمة القرآن وسمو معانيه، فقد أتى الوليد بن المغيرة مرةً إلى الرسول يقول: يا محمد، اقرأ عليّ القرآن، فيقرأ عليه الصلاة والسلام: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، ولم يكذب يفرغ الرسول من تلاوتها حتى يطالب الخصم الألد بإعادتها لجلالة لفظها وقدسيتها ومعانيها، مأخوذًا برصانة بنيانها، مجذوبًا بقوة تأثيرها، ولم يلبث أن يسجل اعترافه بعظمة القرآن قائلاً: والله، إنَّ له حلاوةً، وإنَّ عليه لطلاوةً، وإنَّ أسفلَه لمورقٌ، وإنَّ أعلاه لمثورٌ، وما يقول هذا بشر.

يخبر الربُّ تبارك وتعالى عن عظمة القرآن وجلاله، وأنَّه لو خوطب به صُمَّ الجبال لتصدَّعت من خشية الله: ﴿لَوْ أَنزَلْنَاهُذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١].

في إحدى غزوات النبيِّ قام رجلٌ من المهاجرين ورجلٌ من الأنصارٍ بالحراسة ليلاً، فاضطجعت المهاجريُّ وقام الأنصاريُّ يصلي، فجاء رجلٌ من العدو، فلما رأى الأنصاريُّ رماه بسهمٍ فأصابه، فنزعه الأنصاريُّ، حتى رماه بثلاثة أسهمٍ، ثم ركع وسجد، فانتبه صاحبه،

وهرب الرجل، ولما رأى المهاجري ما بالأنصاري من الدّم قال: سبحان الله! ألا نبهتني أول ما رمى؟! قال: «كنت في سورة أقرأها، فلم أحب أن أقطعها»<sup>(١)</sup>.

أيها المسلمون.. إن الكلام يعظم بعظم قائله، فكيف إذا كان المتكلم هو الله جبار السماوات والأرض؟! ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

وعنوان الشعائر الإلهية هو القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. هو عظيم عند الله، وهو في اللوح المحفوظ، ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف: ٤]. قال ابن كثير في معنى الآية: (بين شرفه في الملاء الأعلى ليشرفه ويعظمه ويطيعه أهل الأرض).

وإن تعظيم كلام الله تعظيم لله، قال النووي رَحِمَهُ اللهُ فِي التَّيَّانِ: (أجمع المسلمون على وجوب تعظيم القرآن العزيز على الإطلاق وتزيينه وصيانيته)، قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللهُ: (من استخف بالقرآن أو بالمصحف أو بشيء منه فهو كافر بإجماع المسلمين). يعظم كتاب الله بحسن التلاوة وتصديق الأخبار وامتثال الأوامر واجتناب النواهي وبما شرع الله لكم أن تعظموه به.

إن تعظيم كلام الله ليس بتزيينه وتفخيم طباعته وكتابته، وليس بتعليقه على جدران البيوت، وليس بقراءته على الأموات، بل بإقامة حروفه وحدوده وتعظيم شأنه والسير على منهاجه، ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩].

ومن تعظيم كتاب الله أن لا يقرأه الإنسان وهو جنب، وأن لا يمسه المصحف إلا على طهارة؛ لأن النبي كتب إلى عمرو بن حزم أن لا يمسه القرآن إلا طاهر<sup>(٢)</sup>.

ومن تعظيم القرآن أنه لا يجوز الكلام فيه بغير علم، يقول الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ: (ويحرم تفسيره بغير علم والكلام في معانيه لمن ليس من أهلها، والأحاديث في ذلك كثيرة، والإجماع منعقد عليه، أما تفسيره للعلماء فجاز حسن، والإجماع منعقد عليه).

(١) صحيح أبي داود (١٨٢).

(٢) صححه الألباني في إرواء الغليل (١٢٢).



من تعظيم القرآن الكريم: ترك تفسيره بالظن، أخرج أحمد والترمذي وحسنه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي قال: «أتقوا الحديث عني إلا ما علمتم، فمن كذب علي متعمداً فليتبوا مقعده من النار، ومن قال في القرآن برأيه فليتبوا مقعده من النار»<sup>(١)</sup>.

من تعظيمه إحضار القارئ قلبه في القراءة والتفكير فيها، روى البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله يقول: «يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم، وعملكم مع عملهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»<sup>(٢)</sup>.

من تعظيم القرآن التسوك وتنظيف الفم لأجل القراءة بالسواك والمضمضة، روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله قال: «لولا أن أشق على أمتي - أو على الناس - لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة»<sup>(٣)</sup>، وظاهر هذا أنه كان يفعل هذا للصلاة وقراءة القرآن.

من تعظيمه كراهية قطع القراءة لكلام الناس، فلا ينبغي أن يؤثر كلام الناس على قراءة القرآن، روى البخاري عن نافع قال: (كان ابن عمر رضي الله عنهما إذا قرأ القرآن لم يتكلم حتى يفرغ منه).

ومن تعظيم القرآن أيها الأحبة.. تلقيه من العدول العلماء بما أخذوا وبما يؤدونه، روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله قال لأبي: «إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن»، قال: الله سماني لك؟! قال: «الله سمك لي»، قال: فجعل أبي يبكي<sup>(٤)</sup>.

ومن تعظيمه ترك المماراة في القرآن، روى البخاري عن جندب بن عبد الله عن النبي قال: «افروا القرآن ما ائتلفت قلوبكم، فإذا اختلفتم فقوموا عنه»<sup>(٥)</sup>، وروى مسلم عن

(١) صححه أحمد شاكر في مقدمة عمدة التفسير.

(٢) رواه البخاري (٥٠٥٨).

(٣) رواه البخاري (٨٨٧).

(٤) رواه مسلم (٧٩٩).

(٥) رواه البخاري (٥٠٦٠).



عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: هَجَرْتُ -أي: بَكَّرْتُ- إلى رسول الله يوماً قال: فسمع أصوات رجلين اختلفا في آية، فخرج علينا رسول الله يُعَرِّفُ في وجهه الغضبُ فقال: «إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب»<sup>(١)</sup>.

ومن تعظيمه عدم السفر بالقرآن إلى أرض العدو، روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر قال: نهى رسول الله أن يُسَافِرَ بالقرآن إلى أرض العدو<sup>(٢)</sup>، وروى مسلم عن أيوب عن نافع عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله: «لا تُسَافِرُوا بالقرآن؛ فإنني لا آمن أن يناله العدو»<sup>(٣)</sup>، قال أيوب: (فقد ناله العدو وخاصموكم به). قال النووي في شرح مسلم: (النهي عن المسافرة بالمصحف مخافة أن يناله العدو فينتهكوا حرمة، فإذا أمنت العلة فلا كراهة ولا منع منه).

ومن تعظيمه: ترك استئكال الأموال بالقرآن، روى الترمذي وقال: (حديث حسن) عن عمران بن حصين أنه مرَّ على قاصٍّ يقرأ ثم سأل، فاسترجع ثم قال: سمعتُ رسولَ الله: «من قرأ القرآن فليَسألِ الله به، فإنه سيُجِىءُ أقوامٌ يقرؤون القرآن يسألون به النَّاسَ»<sup>(٤)</sup>، وروى البخاري ومسلم عن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله يقول: «يأتي في آخر الزمان قومٌ حُدَّاءُ الأسنان سُفْهَاءُ الأحلام، يقولون من خير قول البرية، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة»<sup>(٥)</sup>.

والمعنى: سيظهر في زمنكم قومٌ يكثرُون من العبادة، ولكن رياءً وسمعةً، وهم بعيدون عن الدين كالسهم إذا نفذ من مرماته بسرعة، فينظر الرامي في النصل والقذح والریش، فلا يرى فيها أثراً للإصابة، قومٌ أصابتهم فتنةٌ فعموا وصموا.

(١) رواه مسلم (٢٦٦٦).

(٢) رواه البخاري (٢٩٩٠) ومسلم (١٨٦٩).

(٣) رواه مسلم (١٨٦٩).

(٤) السلسلة الصحيحة للألباني (٢٥٧).

(٥) رواه البخاري (٥٠٥٧) ومسلم (١٠٦٦).



قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ رِبَاءٌ لَا أَجْرَ فِيهَا، فَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ لَا تَكُونُ إِلَّا لِلْإِيْمَانِ وَالْعَمَلِ بِهِ اللَّهُ تَعَالَى، قَالَ  
اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ  
أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٩].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفَعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم،  
أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه، إنه  
هو الغفور الرحيم.



### الخطبة الثانية:

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الأسماء الحسنى والصفات العلاء، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اقتفى.

أما بعد: فأوصيكم ونفسي بتقوى الله.

ومن تعظيم القرآن المحافظة على الكتب العامة والكتب المدرسية والصحف التي تشتمل على آيات من القرآن الكريم في غلافها أو داخلها، لكن بعض المسلمين حينما يقرؤون تلك الكتب والصحف يلقيها، فتجمع مع القمام وتوطأ بالأقدام، بل قد يستعملها بعضهم سفرةً لطعامه ثم يرمي بها في النفايات مع النجاسات والقاذورات، ولا شك أن هذا امتهانٌ لكتاب الله العظيم وكلامه المبين.

ومن تعظيم كلام الله أن يُرفع فلا يوضع في الأرض، لا سيما في الأرض التي ليست محرمة، فإن وضعه في أرضٍ ليست محرمةً يدل على عدم مبالاة الواضع به، وإذا كان الإنسان يقرأ في مصحفٍ وهو في المسجد أو في بيته ثم أراد السجود ووضع بين يديه فإن هذا لا بأس به ولا إهانة فيه للقرآن.

ومن تعظيم القرآن أن لا تمد إليه رجليك، وأن لا توليه ظهرَكَ.

يقول عمر رضي الله عنه كما في صحيح البخاري: سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله، فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأ على حروفٍ كثيرة لم يقرئها رسول الله، فكذت أساوره في الصلاة، فتصبرت حتى سلم، فلبتته بردائه فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟! قال: أقرئها رسول الله، فقلت: كذبت فإن رسول الله قد أقرئها على غير ما قرأت، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله فقلت: إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروفٍ لم تقرأها! فقال رسول الله: «أرسله، اقرأ يا هشام»، فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ، فقال رسول الله: «كذلك أنزلت»، ثم قال: «اقرأ يا عمر»، فقرأت



القراءة التي أقرّاني، فقال رسول الله: «كذلك أنزلت، إنّ هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقروا ما تيسر منه»<sup>(١)</sup>.

أيها الناس: إن القرآن نعمة وعطية، وهبة وهدية من الله تعالى، لكنه لا يعطي صاحبه إلا بقدر ما يعطيه من وقته وصفاء ذهنه وخلو قلبه من الشواغل، فهل من عاقل يحتطف له من وقته اليسير ليتنعم بتلاوته وتدبره، والتفكر في آياته والعمل بها فيه، نسأل الله أن يجعلنا منهم. ألا وصلوا - عباد الله - على رسول الهدى، فقد أمركم الله بذلك في كتابه فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].



(١) رواه البخاري (٤٩٩٢) ومسلم (٨١٨).

فضائل القرآن الكريم<sup>(١)</sup>

## الخطبة الأولى:

الحمد لله رب الأرض والسماء، خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء، نشهد أن لا إله إلا هو أرسل إلينا خاتم الرسل وخير الأنبياء، وأنزل القرآن للذين آمنوا هدى وشفاء، فأضأت به قلوب العارفين والأتقياء، وترطبت بآياته ألسنة الذاكرين والأولياء، نحمده تبارك وتعالى على النعماء والسراء، ونستعينه على البأساء والضراء، ونعوذ به سبحانه من درك الشقاء وجهد البلاء وسوء القضاء وشهاتة الأعداء، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله خاتم الرسل والأنبياء، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحابه الأجلاء، وعلى السائرين على دربه والداعين بدعوته ما تعاقب الصبح والمساء..

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ، وَلَا تَمُونُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

عباد الله، لقد امتن الله تعالى علينا بنعمة جليلة حين أنزل القرآن الكريم على عبده ونبيه محمد ﷺ، فهو نعمة عظيمة حق لنا أن نفرح بها ونعلن اغتباطنا بها، ألم يقل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٧-٥٨].

(١) عبدالمجيد بن عبدالعزيز الدهيشي.



ولو تأملنا فيما ورد من الفضائل لهذا الكتاب العزيز لرأينا عجباً، فهو الكتاب الذي لو أنزل على الجبال الرواسي لتصدعت وخشعت ﴿لَوْ أَنْزَلْنَاهُ الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ﴾ [الحشر: ٢١]، وهو الكتاب الذي تكفل الله سبحانه بحفظه ولم يكَلْ حفظه إلى ملك أو نبي ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

وهو الكتاب المهيمن على ما عداه من الكتب التي أنزلها الله جل وعلا: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]، وفي السنة النبوية الكثير من الأحاديث التي تبين فضائل القرآن الكريم وما اختص به الخلال. ففي الحديث «إن هذا القرآن سبب، طرفه بيد الله، وطرفه بأيديكم، فتمسكوا به فإنكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده أبداً»<sup>(١)</sup>.

وعن زيد بن أرقم أن النبي قال: «ألا وإني تارك فيكم ثقلين: أحدهما كتاب الله عز وجل، هو حبل الله، ومن اتبعه كان على الهدى، ومن تركه كان على ضلالة»<sup>(٢)</sup>.

وكان إذا خطب يقول: «أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد»<sup>(٣)</sup>، فمن أراد النجاة والفلاح فعليه بكتاب الله تعالى، ومن أراد الخير الكثير والأجر الوافر فليقرأ كتاب الله تعالى يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تَجَرَّةً لَّنْ تَكْبُرَ ۗ لِيُؤْفِقَهُمْ أَجْرَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّنْ فَضْلِهِ ۗ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٢٩-٣٠]، وعن أبي موسى: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة، ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو»<sup>(٤)</sup>.

(١) السلسلة الصحيحة للألباني (٧١٣).

(٢) رواه مسلم (٢٤٠٨).

(٣) رواه مسلم (٨٦٧).

(٤) رواه البخاري (٥٤٢٧) ومسلم (٧٩٧).



وعن ابن مسعود: «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها لا أقول: ألم حرف ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف»<sup>(١)</sup>.

ومن قرأ القرآن ماهراً به فهو يوم القيامة مع الملائكة السفرة الكرام البررة، فعن عائشة: «الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران»<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي هريرة قال رضي الله عنه: «أحب أحدكم إذا رجع إلى أهله أن يجد فيه ثلاث خلفات عظام سمان؟ قلنا: نعم قال: «ثلاث آيات يقرأ بهن أحدكم في صلاة خير له من ثلاث خلفات عظام سمان»<sup>(٣)</sup>.

وهذا قتادة رضي الله عنه يقول: اعمروا به قلوبكم واعمروا به بيوتكم أي القرآن أخرجه الدارمي وكان أبو هريرة يقول: إن البيت ليتسع على أهله وتحضره الملائكة وتهجره الشياطين ويكثر خيره أن يقرأ فيه القرآن، وإن البيت ليضيق على أهله وتهجره الملائكة وتحضره الشياطين ويقل خيره أن لا يقرأ فيه القرآن.

وللقرآن الكريم مع أهله يوم القيامة مواقف عجيبة فعن أبي أمامة: «اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه»<sup>(٤)</sup>.

وعن النواس بن سمعان: «يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا تقدمه سورة البقرة وآل عمران تحاجان عن صاحبهما»<sup>(٥)</sup>.

وعند تلاوة القرآن ومدارسته تنزل الملائكة والسكينة والرحمة، فعن البراء بن عازب قال: كان رجل يقرأ سورة الكهف وعنده فرس مربوط بشطين، فتغشته سحابة فجعلت تدنو وجعل فرسه ينفر منها فلما أصبح أتى النبي فذكر له ذلك، فقال: «تلك السكينة تنزلت للقرآن» متفق عليه. وعن أبي هريرة «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله

(١) صحيح الترمذي (٢٩١٠).

(٢) رواه البخاري (٤٩٣٧) ومسلم (٧٩٨).

(٣) رواه مسلم (٨٠٢).

(٤) رواه مسلم (٨٠٤).

(٥) رواه مسلم (٨٠٥).



ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده»<sup>(١)</sup>.

وفي تلاوة القرآن الكريم أمان بإذن الله من الغفلة «من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين، ومن قرأ بألف آية كتب من المقنطرين»<sup>(٢)</sup>.

عباد الله: ومما يؤكد المكانة السامية لهذا القرآن أن خير الناس من تعلم القرآن وعلمه كما أخبر بذلك النبي، وأن أحق الناس بالإمامة في الصلاة أقرؤهم. بل إن أهل القرآن لهم المكانة والرفعة «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضع به آخرين»<sup>(٣)</sup>.

عباد الله: إن القلب يصدأ ويقسو، والنفس تضعف، وتهبط بها دواعي الشهوات ومشاكل الدنيا وما أحوجنا إلى ما يصلح نفوسنا ويلين قلوبنا ويربطنا بخالقنا سبحانه. وما تقرب عبد إلى ربه بأفضل من تلاوة كتابه والوقوف عند معانيه والتدبر في آياته.

وقد كان من هدي السلف المستقر لديهم تلاوة ورد يومي من كتاب الله تعالى، بأن يجعل أحدهم له قدرًا يقرؤه يوميًا ويتعاهد نفسه عليه بحيث يحتج القرآن في كل شهر أو عشرين يومًا أو أقل من ذلك.

ومما يدل على ذلك ما ورد في الصحيحين من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص أن النبي قال له: «اقرأ القرآن في كل شهر قال: قلت: يا نبي الله إني أطيع أفضل من ذلك. قال: فاقرأه في سبع، ولا تزدد عن ذلك»<sup>(٤)</sup>.

وعن عمر بن الخطاب: «من نام عن حربه أو عن شيء منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنها قرأه من الليل»<sup>(٥)</sup>. وثبت عن ابن مسعود وعثمان وتميم الداري وجمع من أئمة التابعين أنهم كانوا يحتجون القرآن في سبعة أيام.

(١) رواه مسلم (٢٦٩٩).

(٢) صحيح أبي داود للألباني (١٣٩٨).

(٣) رواه مسلم (٨١٧).

(٤) رواه البخاري (٥٠٥٢) ومسلم (١١٥٩).

(٥) رواه مسلم (٧٤٧).



ومن آداب التلاوة أيها المؤمنون تدبر كلام الله تعالى وتفهم معانيه، فهذا من أهم مقاصد القرآن الكريم ﴿كُنْتُ أَنْزَلْتُهُ إِلَيْكَ مَبْرُكًا لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩] وعن حذيفة أن النبي صلى فكان إذا مرّ بآية رحمة سأل، وإذا مرّ بآية عذاب استجار، وإذا مرّ بآية فيها تنزيه لله سبح. النسائي وصححه الألباني.

وقال أبو جهمرة لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (إني سريع القراءة، وإني أقرأ القرآن في ثلاث)، فقال: «لأن أقرأ البقرة في ليلة فأتدبرها وأرتلها أحب إلي من أن أقرأ كما تقول».

ومما يعين على تدبر القرآن تحسين الصوت في قراءته، وقد أجمع العلماء على استحباب تحسين الصوت بالقراءة وترتيلها، وعن أبي هريرة: «ما أذن الله لشيء أي استمع ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به»<sup>(١)</sup>.

وعنه: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن»<sup>(٢)</sup>.

وكان أبو موسى الأشعري حسن الصوت بالقرآن فقال له النبي: «يا أبا موسى، لقد أوتيت مزمارًا من مزامير آل داود»<sup>(٣)</sup>.

وعن البراء بن عازب قال: «سمعت النبي يقرأ: ﴿وَالَّذِينَ وَالَّذِينَ وَالَّذِينَ﴾ [التين: ١]، في العشاء، وما سمعت أحدًا أحسن صوتًا منه على أن هذا لا يعني التنطع في القراءة والتكلف فيها».

اللهم اجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهلك وخاصتك. اللهم انفعنا وارفعنا بالقرآن في الدنيا والآخرة.

(١) رواه البخاري (٧٥٤٤) ومسلم (٧٩٢).

(٢) رواه البخاري (٧٥٢٧).

(٣) رواه البخاري (٥٠٤٨).



## الخطبة الثانية:

الحمد لله يقول الحق وهو يهدي السبيل، أحمده سبحانه وهو حسبنا ونعم الوكيل، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا ند ولا مثل، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبد الله ورسوله جاء باليسر والرفق والتسهيل، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ذوي الهدى والتقوى والتفضيل، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فلقد كان السلف رَجَمَهُ اللهُ أكثر الناس تعظيماً للقرآن وقياماً بحقه، علماً وعملاً، تلاوةً وتدبراً، جاء عن الحسن بن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «إن من كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل ويتفقدونها في النهار».

وعن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون وبنهاره إذا الناس مفطرون، وبحزنه إذا الناس يفرحون، وببكاؤه إذا الناس يمتثلون» وقال عثمان بن عفان وحذيفة بن اليمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «لو طهرت قلوبنا ما شبعنا من كلام الله».

وعن الفضيل بن عياض قال: (حامل القرآن حامل راية الإسلام، لا ينبغي أن يلهو مع من يلهو، ولا يسهو مع من يسهو، ولا يلغو مع من يلغو، تعظيماً لحق القرآن).

وقال عبدالله بن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «لقد عشنا دهراً طويلاً وأحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن، فتنزل السورة على محمد ﷺ فيتعلم حلالها وحرامها وأمرها وزاجرها، وما ينبغي أن يقف عنده منها، ثم لقد رأيت رجلاً يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان، فيقرأ ما بين الفاتحة إلى خاتمة لا يدري ما أمره ولا زاجره وما ينبغي أن يقف عنده منه، ينثره نثر الدقل!». الدقل: أي التمر الرديء.

وقال ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «لا تهذؤوا القرآن هذ الشعر، ولا تنثروه نثر الدقل، قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب، ولا يكن هم أحدكم آخر السورة».

وقال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «كنا نحفظ العشر آيات فلا نتقل إلى ما بعدها حتى نعمل بهن» وروى عنه أنه حفظ سورة البقرة في تسع سنين.. وليس ذلك للانشغال عن الحفظ أو رداءة الفهم، حاشاه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ولكن بسبب التدقيق والتطبيق..



وقال عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إِنَّا صَعِبَ عَلَيْنَا حِفْظَ الْقُرْآنِ وَسَهَّلَ عَلَيْنَا الْعَمَلَ بِهِ، وَإِنْ مِنْ بَعْدِنَا يَسْهَلُ عَلَيْهِمْ حِفْظَ الْقُرْآنِ وَيَصْعَبُ عَلَيْهِمُ الْعَمَلُ بِهِ».

وقال أيضاً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إِذَا أُرِدْتُمْ الْعِلْمَ فَانْتَرُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّ فِيهِ عِلْمَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ».

عباد الله: لما ذكر الله تعالى في سورة الفرقان ما قاله النبي من الشكوى من ترك قومهم للقرآن العظيم وهجره، فقال: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠]، أي جعلوه متروكاً مقاطعاً مرغوباً عنه، ولا شك أن شكواه عليه الصلاة والسلام من هجره دليل على أن ذلك من أصعب الأمور وأبغضها لديه.

وقد ذكر أهل العلم أن هجر القرآن له درجات، ويدخل فيه صور مختلفة، فمنه هجر العمل به وهجر تلاوته، وهجر التحاكم إليه، وهجر التداوي به.

فلنحذر أن نكون من الهاجرين لكتاب الله المحرومين من فضائله وبركاته، ولنقبل على كتاب ربنا تلاوة وتعلماً وحفظاً وعملاً، ففي ذلك كثير الخير وعظيم الأجر، وما أجمل أن يكون لكل واحد منا قدرًا من كتاب الله يقرؤه يوميًا، يتدبر آياته ويتعلم معانيه، ولو كان ذلك يسيرًا فإنه مع الديمومة كثير، فقد علمنا أن أحب الأعمال إلى الله أدومه وإن قلَّ، وها هو العمر ينقضي والأيام تمضي والساعات تضيع، فأين أهل الله وخاصته وأين أهل القرآن، وأين من ينورون قلوبهم وبيوتهم وقبورهم بالقرآن، أين من يربون أولادهم بالقرآن ويعلمونهم القرآن، فإن القرآن صاحب لا يخيب، وصديق لا يخذل، هو نور في القلب والقبر وبين يدي الرب.. والحمد لله رب العالمين.





## تدبر ومدارسة القرآن

## الخطبة الأولى:

الحمد لله، وبحمده يستفتح الكلام، والحمد لله حمده من أفضل ما تحركت به الألسن وجرت الأقلام، أحمده تعالى على الدوام، وأشكره على ما هدانا للإسلام، وأبان لنا الحلال والحرام، وشرع لنا الشرائع وأحكم الأحكام، وأمرنا بالبر والاجتماع على الحق والاعتصام، ونهانا عن الجفاء وسائر الآثام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك القدوس السلام، ولي كل إنعام، ذو الآلاء الجسام، والمنن العظام، وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله، هو للأمة بدر التمام، وللأنبياء مسك الختام، المصطفى من الرسل والمجتبى من الأنام، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله البررة الكرام، وصحبه الأئمة الأعلام، والتابعين، ومن تبعهم بإحسان.

أما بعد:

فيا أيها المسلمون: اتقوا الله تبارك وتعالى حق التقوى، فتقوى الله عروة ليس لها انفصام، وقدوة يأتى بها الكرام، وجدوة تضيء القلوب والأفهام، من تمسك بها سلم من محذور العواقب، ومن تحقق بحملها بقي من شرور النوائب.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١].

عباد الله: إن الله سبحانه وتعالى أنزل كتابه مباركا ونورا، وهدى وشفاء وموعظة، أنزله لتدبر آياته؛ وتلاوة القرآن لها أجر عظيم، وتجويده له أجر عظيم، ولكن تدبره هو الوظيفة الأساسية للإنسان. لماذا أنزل الله القرآن؟ ﴿لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ [ص: ٢٩].



التلاوة تعين على التدبر، والتجويد، ومعرفة الوقوف، وحق الحروف، وأما التدبر فإنه إعمال العقل في معنى الآية، وهذا يزيد الإيـان، ويدفع للعمل؛ ولذلك ذكر ربنا سبحانه وتعالى في كتابه أنه أنزله ليتدبروه.

والتدبر قد يكون من الإنسان وحده: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تُلْفِكُمْ﴾ [سبأ: ٤٦]، وقد يكون التدبر جماعياً، وهو عملية مدارسة القرآن التي ذكرها نبي الله ﷺ بقوله: «وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده»<sup>(١)</sup>، والسكينة هي الطمأنينة والوقار.

التدارس عبادة عظيمة ونعمة جليـه نسيها أكثر الناس، اجتماعك بأهلك للمدارسة مع الزوجة والأولاد لمدارسة القرآن، في اجتماعك مع أصحابك لمدارسة القرآن؛ مجالسنا كثيرة، مناسباتنا متعددة، اجتماعاتنا ذات عدد، لماذا لا نستثمر فرصة الاجتماع للتدارس ولو لجزء من الوقت؟ هذه المدارس قمتها أن تكون في المسجد عندما يقعد أهل الإيـان ويتنادون بقولهم: تعالوا نؤم ساعة. ويتدارسون كتاب الله فيما بينهم.

عباد الله: إن هذا التدارس شأنه عظيم، وأجره كبير، وهذا التدارس هو القراءة بتمعن، معرفة المعنى، وإنزال المعنى على الواقع؛ هذه المدارس عبادة عظيمة نكاد نفقدها اليوم، وأكثر ما يقوم الناس به تجاه القرآن هو التلاوة، لكن المدارس قليلة من يقوم بها، إنه يشملها حديث النبي ﷺ: «تعاهدوا القرآن»<sup>(٢)</sup>، لأن التعاهد مراجعة الحفظ والتلاوة، نعم، ويدخل فيها أيضاً تعاهدوا واهتموا بالقرآن، ومنه هذه المدارس.

هذه المدارس جعلت الصحابة من قبلنا يحرصون عليها؛ لأنها تزيد الإيـان، وتربط بالرحمن، وكل من فقه الكتاب أكثر اقترب منه أكثر، وكل من فهم مراده أكثر أحبه الله أكثر، وهذه هي أهمية المدارس، أهمية التدبر، أن تقترب من ربك زيادة، أن يحبك ربك زيادة،

(١) رواه مسلم (٢٦٩٩).

(٢) رواه البخاري (٥٠٣٣) ومسلم (٧٩١).



وكذلك فإن هذا التدبر يعين على الحفظ، يعين على رسوخ القرآن بالنفس؛ لأنك إذا فهمت المعنى فإنه يصعب عليك بعد ذلك أن تنسى الآية.

وأيضاً يحقق الترابط والتآلف؛ لأن التدارس اجتماع مؤمنين حتى لو كنت مع أهلك من أجل تحقيقه، إنه يُزَكِّي النفس؛ ثم ماذا نريد أكثر من أن تنزل علينا الرحمة والسكينة؟ وتحفنا الملائكة؟ وأن يذكرنا الله فيمن عنده؟ وكل هذا مقابل هذه العبادة التي يقوم من قام بها.

ومن السنن كما جاء في الحديث عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كان النبي ﷺ يلقى جبريل في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن» فكانت المدارسة بين أفضل رسول ملكي وأفضل رسول بشري تتم ليلاً، دليلاً على أهميتها.

والنبي ﷺ كان يجب أن يسمع القرآن من غيره أحياناً، كما أمر ابن مسعود أن يقرأ عليه ليكون ذلك عوناً على التدبر والتفكير، وأن تكون مدارسة.

أيها المسلمون: لقد كان الصحابة يجلسون في المسجد يتدارسون القرآن، يتعلمون الفرائض والسنن، ويذكرون الله عَزَّ وَجَلَّ، وكذلك كان النبي ﷺ يعلمهم الإيمان مع تعليمه القرآن، كان الصحابة يجتمعون فتطرح قضية قرآنية، مثلاً: أي آية في كتاب الله أرجى؟ هناك آيات تخيف، وآيات فيها ذكر رحمة تبعث على الرجاء، فمثلاً يقولون: أخوف آية في كتاب الله: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣]. ما هي أرجى آية؟ حتى يعيش المسلم بين الخوف والرجاء، فقال بعض الصحابة: «إن أرجى آية قول الله تعالى: ﴿حَمِّمْ﴾ ① تنزيل الكُتُبِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ② غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ ﴿﴾ [غافر: ١-٣]؛ فقدم غفران الذنب على قبول التوبة»، وقال آخر: «إن أرجى آية: ﴿نَبِيَّ عِبَادِي أَتَى أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ④ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿﴾ [الحجر: ٤٩-٥٠]، فقدم المغفرة والرحمة على العذاب»، وقال آخرون: «إن أرجى آية في كتاب الله: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]» وقال بعضهم: «إن أرجى آية في كتاب الله: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢] يعني بشرك ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْأَمَنُوهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]».



وهكذا كانوا حتى في استقبال المسافرين والتعامل معهم تحصل مناقشات ومدارسات للقرآن، قال معمر: بلغني أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مر به ركب فأرسل إليهم يسألهم مَنْ هم؟ «مَنْ أَنْتُمْ؟» قالوا: جئنا من الفج العميق. قال: «أين تريدون؟» قالوا: نريد البيت العتيق. فقال عمر: «إِنْ لهُؤْلَاءِ نَبَأٌ!» ما داموا بهذا الفقه وهذه الإجابات: جئنا من الفج العميق نريد البيت العتيق.

فأمر رسوله أن يسألهم: «أَي آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ أَحْكَمُ؟» قالوا: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧-٨]، قال: «فَأَي آيَةٍ أَعْدَلُ؟» قالوا: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ [النحل: ٩٠]، قال: «فَأَي آيَةٍ أَعْظَمُ؟» قالوا: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، قال: فأَي آيَةٍ أَرْجَى؟ قالوا: ﴿قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ أَشْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا نَقْضُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]. فسألوا: «مَنْ فِيهِمْ؟» فإذا فيهم ابن مسعود.

وعمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كان يُدْخِلُ ابن عباس برغم صغر سنه مع شيوخ المهاجرين والأنصار والصحابة الكبار معه في مجلس الخلافة، فيقول بعضهم: عندنا أولاد في مثل سنه فلماذا يُدْخِلُهُ علينا؟ حتى سأله عمر يوماً: ما تقولون في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ١-٣]، فقال بعضهم: «أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا». وهذا ظاهر الآيات! هذا كلام ليس به استنباط، هذا ظاهر السورة، وبعضهم سكت فلم يقل شيئاً.

فقال عمر لابن عباس: «أَكْذَلِكُ تقول يا ابن عباس؟ قال: لا. قال: ما تقول؟ فقلت: هو أَجَلُ رسول الله ﷺ أَعْلَمَهُ لَهُ، فقال: إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا، فذلك علامة أجلك ودنو موتك وقرب انتقالك، فسبح بحمد ربك واستغفره. قال عمر: لا أعلم منها إلا ما تقول»<sup>(١)</sup>. فعلاً هكذا!.

(١) رواه البخاري (٤٢٩٤).

هذه الإشارة في السورة مَنْ يفهمها؟ أصحاب التدبر ومَنْ فتح الله عليه، وهذا ما دعا به رسول الله ﷺ أن يفقهه الله في الدين، وأن يعلمه تأويل القرآن؛ وكذلك حصل في قوله تعالى: ﴿أَيُّودٌ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ [البقرة: ٢٦٦]، عمر يسأل ابن عباس عن هذه الآية، فقال ابن عباس: «ضربت مثلاً لعمل. فقال عمر: أي عمل؟ فقال ابن عباس: لعمل». فقال عمر: رجل غني يعمل الحسنات ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله.

مثل نقرأه ولكن من الذي يعرف مدلول المثل؟ ﴿أَيُّودٌ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ﴾ [البقرة: ٢٦٦]، جنة بستان عظيم ملتف الأشجار، وهذه الأشجار فيها بدائع وروائع الثمار نخيل وأعنان، ليس عنباً بل أعنان، لأن العنب أنواع، وبالإضافة إلى ذلك له فيها من كل الثمرات، كم نفاسة هذا البستان عنده؟ ما قيمة هذه الجنة عنده؟ كبيرة جداً، لنفاسة ما فيها.

هذه حاله المادية، ما هي حاله الاجتماعية؟ ﴿وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ﴾ [البقرة: ٢٦٦]، دخل في الشيخوخة، الآن هو ضعيف عن العمل، فهذا البستان بالنسبة له تقريباً كل شيء في رزقه، مصدر المال في المعيشة، يعيش عليه، أصابه الكبر، ليس عنده قدرة الآن على أن يكتسب شيئاً جديداً، فهو محتاج إلى البستان جداً، وليست القضية هكذا فقط، بل إنه كما قال الله: ﴿وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضِعْفًا﴾ [البقرة: ٢٦٦]، عنده ذرية صغار وعجز عن العمل لعاهة أو لمرض، أصابه أكبر وهم ذرية ضعفاء، فكيف سيكونون في حالة ضياع البستان؟ كم حاجته من هذا البستان؟ كم هي؟ ومن أجل أولاده كم هي؟.

كل الأمل في البستان، الحاجة ماسة لهذا البستان، فأصابه إعصار فيه نار فاحترق! ما هي النتيجة؟ هذا المثل لماذا؟ مَنْ الذي قرأ هذه الآية؟ هذا المثل لماذا؟ مَنْ الذي قرأ هذه الآية؟ فكر فيها، ونحن ربما نقرأ وربما لا نقرأ، ونقصر، نمر بالآية: ما هو معناها؟ مثل ضربه الله لأي شيء؟ لشخص عمل بالحسنات وله أعمال طيبة كثيرة، يوم القيامة في حاجة ماسة إليها جداً، ولكن جاءه الشيطان في قضية الرياء والعجب، فصار يسمع ويتكلم ويسترحم.



ما العمل؟ وهذه محبطات للأعمال، الرياء والعجب محبطات للأعمال، فصار على هذه الشاكلة، فماذا سيقى له من الأجر؟ لا شيء، سيأتي يوم القيامة وهو محتاج جدا إلى الحسنات في تلك الأهوال في المحشر عند الميزان إذا جاء الله لفصل القضاء، إذا وزعت الصحف وتطيرت، وأخذ كل كتابه، والنار أمامهم لها شهيق يسمعون وزفير، فكم تكون الحاجة إلى الحسنات؟ فلا يجد شيئا، لماذا؟ أذهبه العجب والرياء والاعتزاز والمن، ﴿لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مِّنَّا وَلَا أَدَّى﴾ [البقرة: ٢٦٢].

فوجد الله عنده فوفاه حسابه، كم تكون المصيبة حينئذ؟ كيف يكون الألم النفسي حينئذ؟ إنه وقع الصاعقة، وهذا مثل، لكن من الذي يتدبر في هذا المثل؟ مع من نتدارس لاستخراج الكنوز القرآنية؟

ولذلك النصيحة -أيها الأخوة- أن لا بد أن تكون لنا مجالس مدارس، ولو مع الزوجة والأولاد، نأخذ آيات ولو آية نستعرض معناها من كتب المفسرين، ثم يبدأ التدبر والنقاش في ظل هذه المعاني، ما ارتباطها بالواقع؟ ماذا نستفيد منها؟ ماذا يُستنبط؟ ما يستخرج؟ ما علاقة هذا بهذا؟ وهكذا يدور العقل في معاني ما أنزل الله على رسوله ﷺ.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعي وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.



الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي خلق فسوّى، وقَدَّر سبحانه لا إله إلا هو وحده لا شريك له لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، الله أكبر ولا إله إلا الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، بديع السموات والأرض، لم تكن له صاحبة، وخلق كل شيء فقدره تقديراً.

وأشهد أن محمداً عبد الله إمام المتقين، وقائد الغر المحجلين، والشافع المشفع يوم الدين، حبيبنا وسيدنا وقودتنا وأسوتنا، محمد بن عبد الله، صلى الله عليه وعلى آله وذريته الطيبين، وأزواجه وخلفائه الميامين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

عباد الله: قضية التدبر هذه والتفكير والدارسة وإعمال العقل في معاني التنزيل لا تكون إلا بعد معرفة التفسير، فلو أخذت بعض كتب التفسير المختصرة التي تبين المعنى الإجمالي للآية لكان ذلك حسناً، وهذه خطوة جيدة أن يعرف المسلم المعنى الإجمالي للآية، وهذه المفردات التي يقرأها ما معناها.

تسأل البعض: ماذا تحفظ؟ فيجيب: البعض من قصار السور؟ فتسأله: ما معنى الصمد؟ لا أدري، ما معنى الفلق؟ لا أدري، ما هو الغاسق؟ لا أدري، ما معنى وقب؟ لا أدري، ﴿وَالْعَدِيدَاتِ صَبْحًا﴾ [العاديات: ١] ما معنى صباحاً؟ لا أدري. ما معنى لإيلاف؟ لا أدري.. وهكذا.. فإذا كانت هذه السور القصيرة وفيها كثير، فما بالك بالسور الطويلة، وهذا القرآن أهم شيء في حياتنا، هذا أهم من المطالعات، هذا أهم من كل الشروحات والكتلوجات والأوراق ومواقع الإنترنت والجرائد.. لكن القليل من يوفق لفهم كتاب الله.

سبحان الله العظيم! بعض الناس يتابعون تفاصيل الأخبار، ويقرؤون الكتب العامة، والتسلية، والقصص، والروايات، وربما أصر على أن يطالع ما لا نفع وراءه من ذلك؛ وكتاب الله الكريم، هذا الأصل، الكتاب العزيز المبارك القرآن، يُهمَل وتضيَّق الأوقات إذا جئنا إليه، والله المستعان.

القرآن أيها الأحبة هو شرفنا، عزنا، سعادتنا، ﴿وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون﴾

[الزخرف: ٤٤].



قال عالم لطلابه: هل محبة الله فرض أم لا؟ قالوا: فرض، قال: ما الدليل من القرآن؟ فيما أجب أحد، ما استحضر من دليل يوجب، هناك آيات تصف ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤] تصف المؤمنين بالمحبة، ولكن إن محبة الله فرض، قال لهم: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا﴾ [التوبة: ٢٤]. إذن محبة الله فرض؛ لأنه لا يهدد على ترك مستحب ولا مباح، لا يهدد إلا على ترك واجب.

أيها المؤمنون: كان علمائنا وسلفنا يحرصون على ذلك، حتى كان الواحد منهم لا يخرج بعد صلاة العصر حتى يجلس مع صاحبه يتدارسان مع بعضهما ولو آية؛ وكان بعضهم يرتب أياما معينة، كل أسبوع مرة أو مرتين، وهو كبير العائلة، يأتي الأولاد والأحفاد المذكور في يوم، والإناث في يوم، فالموضوع هو كلام الله، ولو آية، لأننا سنسأل عنه يا عباد الله، سنسأل عن هذا الكتاب.

وهناك آيات تحل إشكالات كثيرة، هناك آيات إذا فهمت تعطي تحصينات قوية ضد شبهات مطروحة في الأجواء اليومية، هناك آيات تثبت الإنسان أمام المواقف الصعبة، الناس يتعرضون للحرام، للشهوات، لو تدبر أحدهم قول الله تعالى: ﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ [يوسف: ٢٣]، لو تفكر الواحد وجلس في ظلال هذه الكلمات، وطالع بعض التفاسير فيها، واستنبط بعض معانيها لكان في ذلك خيرا كثيرا وأثرا عظيما. ففي هذه الآية نجد يوسف عَلَيْهِ السَّلَام شابا يدخل ويخرج بلا ريبة لأنه خادم في القصر، وكان عبدا له الطاعة لسيدته، وكانت المرأة جميلة وكانت صاحبة منصب وكانت سيدته، وغلقت الأبواب، وغاب الرقيب، والزوج قليل الغيرة؛ لأنه قال يا يوسف أعرض عن هذا! ولم يقتلها بعد الحادثة! والذهن يمر ويجول في الآية ليقول يوسف: معاذ الله! ألتجئ إلى الله، ما الكلمة التي يقوها الشاب إذا عرضت عليه فتاة الحرام، أو عرض عليه الكترولنيا أو هاتفيا أو في رسالة جوال، بماذا سيجيب؟ أو مر بموقف كهذا في مكان ما؟ ماذا يقول؟ ها هو يوسف عَلَيْهِ السَّلَام يُفْضِلُ السَّجْنَ عَلَى الْفِتْنَةِ وَالْقَصْرِ فَيَقُولُ: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي﴾ [يوسف: ٣٣]!



وهكذا، ولما تتأمل ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وتتأمل حل مشكلات النساء الآن على ضوء الآية، لأن القرار في البيت الاستقرار، يعني أكثر الوقت في البيت، ﴿وَقَرْنَ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، ما قال واجلسن، القرار في المكان: ملازمته، ستحل لك إشكالات كثيرة في ظل الدعوات التي تخرج اليوم في موضوع تحرير المرأة من الشريعة ومن الأحكام. أذن لكن أن تخرجن لحوائجكن، إذن فلا بد أن هناك حاجة، وعلاقة الآية بالحديث، وكيف يفسر الحديث الآية؟ ارتباطات بين الآيات.

يجل لك مشكلة الربا في النسب القليلة قول الله عزَّوَجَلَّ: ﴿وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٨]، ما بقي من الربا، يعني ولو كانت نسبة يسيرة.

وهكذا كلام الله، آيات لو تدبرها الإنسان يجد لها حل المشكلات الاجتماعية والنفسية، لو تدبرنا كلام الله لخشعت واطمأنت القلوب وزكت النفوس وذرفت العيون واستعلى المسلم على أهوائه وشهواته.

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١]، (حث على تأمل مواظ القرآن، وتبين أنه لا عذر في ترك تدبر القرآن، فإنه لو خوطب بهذا القرآن، الجبال مع تركيب العقل فيها، لانقادت لمواعظه، ولرأيتها على صلابتها ورزانتها، خاشعة متصدعة متشقة من خشية الله).

أيها الناس.. لقد ذم الله سبحانه وتعالى قوماً لم يفقهوا القرآن ولم يتدبروا آياته، فقال: ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنفًا ۗ وَلِيكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ أَهْتَدُوا زَادَهُمْ هُدًىٰ وَعَافَاهُمْ نَقُوبَهُمْ﴾ [محمد: ١٦-١٧].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: (وترك تدبره من هجرانه)، لقد مثل الله حال اليهود مع التوراة أقبح تمثيلاً فقال: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة: ٥].

قال الطرطوشي: (فدخل في عموم هذا من يحفظ القرآن من أهل ملتنا ولا يفهمه ولا يعمل به).



وقال الحسن البصري رَحْمَةُ اللَّهِ: (نزل القرآن ليتدبر ويعمل به، فاتخذوا تلاه عملا، وتدبر آياته: اتباعه والعمل بعلمه، أما والله ما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده، حتى أن أحدهم ليقول: لقد قرأت القرآن كله، فما أسقط منه حرفا، وقد والله أسقطه كله، ما يرى له القرآن في خلق ولا عمل، ومن أحب أن يعلم ما هو فليعرض نفسه على القرآن، وأن من كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل وينفذونها بالنهار).

فيأيتها المؤمنون: عليكم بالقرآن، باللسان ذكرا، وبالقلب تدبرا، وبالعقل تفكرا، وبالجوارح عملا.

فتدبر القرآن إن رُميت الهدى فالعلم تحت تدبر القرآن  
يقول تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤]، وقال تعالى:  
﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، صدق الله العظيم، وبلغ رسوله الكريم،  
ونحن على ذلك من الشاهدين.

اللهم اجعلنا من أهل القرآن، اجعلنا ممن يحل حلالك ويحرم حرامك..



## القرآن للذين آمنوا هدى وشفاء<sup>(١)</sup>

### الخطبة الأولى:

إن الحمد لله، نحمدك اللهم ونستعينك ونستهديك ونستغفرك ونتوب إليك، ونثني عليك الخير كله، اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك، لك الحمد بالإسلام ولك الحمد بالقرآن، ولك الحمد بالمال والأهل والمعافاة، كبت عدونا، وأظهرت أمننا وجمعت فرقتنا ومن كل ما سألناك ربنا أعطيتنا، فلك الحمد والشكر على ذلك كثيرًا، لك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت، ولك الحمد بعد الرضا، ولك الحمد على كل حال، سبحانك لا نحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك، ونشهد أن لا إله إلا أنت سبحانك أنت الواحد فلا شريك لك، والأحد فلا ندَّ لك، شرعت الهجرة والجهاد، لدرء الشر والفساد ووعدت عبادك المؤمنين بالنصر والفتح المبين، والعز والتأييد والتمكين.

ونشهد أن نبينا محمدًا عبدك ورسولك، ومصطفاك وخليلك، شكر نعمتك وحقق عبادتك، وبلغ شريعتك، ونصح خليقتك، وهاجر وجاهد لإعلاء كلمتك، اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد، وسلم تسليماً كثيرًا.

أما بعد:

فيا أيها المؤمنون اتقوا الله حق التقوى، عظموا الله عظموا أمر الله عظموا نهي الله لتكن الدنيا في قلوبكم حقيرة، ولتكن الآخرة في قلوبكم عظيمة فإن حقارة الدنيا وعظم الآخرة في قلب العبد المؤمن سبب السعادة في الدنيا والآخرة.

(١) صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ.



أيها المؤمنون:

يقول الله جل وعلا: ﴿ وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء: ٨٢].

وقال جل وعلا في القرآن: ﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي هَدَىٰ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً ﴾ [فصلت: ٤٤] فإن الله ﷻ جعل هذا القرآن هدى للمؤمنين، وجعل فيه الشفاء. قال العلماء: الشفاء في القرآن ثلاثة أنواع:

فمنه الشفاء من أدواء الشبهات والشهوات. التي من تسلطت عليه أضلته وصار ساعياً في الظلمات، والله ﷻ جعل هذا القرآن هادياً للتي هي أقوم ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩] فمن أراد السلامة من أمراض الشهوات ومن أمراض الشبهات، فعليه بالقرآن، فهو للذين آمنوا هدى وهو للذين آمنوا شفاء.

النوع الثاني: أن القرآن شفاء لأمراض البدن بأنواعها. قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: (ما من داء إلا وفي القرآن شفاؤه، علمه من علمه وجهله من جهله، وآيات القرآن عند أهل العلم فيها من عجائب الاستطباب ومن عجائب التداوي بها ما لا يعلمه كثير من الناس). فانظر مثلاً إلى ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كيف تلا على الذي كان به داء الرعاف الذي استطال به. كان طريقة دواء ذلك الداء عند ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه كتب على جبينه آيات من القرآن وهي قوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ يَا رَجُلُ ائْتِنِي بِمَاءٍ لَّيْسَ بِسَمَاءٍ أَوْ لَبَنٍ وَلَا نَسَاءٍ وَلَا مَشْجُونٍ وَلَا خَمْرٍ وَلَا خِصْفًا وَمَسْمُومًا وَلَا عَذْوًا وَلَا مِزَّةً مِنَ الْبَعْرِ فَاذْبَحْ بِهَا وَرَبِّحْ وَلَا تَلْعَلْ لَهَا كَلِمَةٌ شَاءَ فَتُنْفَسَ فَلَا لِلنَّاسِ خَلْقٌ عَلَيْهِمْ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَوَاللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَنْفَسُوا لَمَا كُنُوا كَالْحِجَارِ أَصْفَىٰ بِهَا نَفْسًا وَلَا يَلْمِزُكَ لِيَرْفَعَهُ اللَّهُ بِمَا نَعَىٰ فَالَّذِينَ نَفَسُوا وَعَلَىٰ اللَّهِ حَكِيمٌ ﴾ [هود: ٤٤]. فشفى الله جل وعلا ذلك المريض.

انظر إلى ذلك الرجل سيد الحي اللديغ الذي أصيب بسم من بعض ذوات السموم. فرقاه أبو سعيد الخدري بفاتحة الكتاب، فجعلوا له قطيعاً من الغنم، فلما ذكروا ذلك للنبي ﷺ قال: «قد أصبتم، اقسموا، واضربوا لي معكم سهماً»<sup>(١)</sup>.

(١) رواه البخاري (٢١٥٦)، ومسلم (٢٢٠١).



وهكذا القرآن فيه شفاء للأمراض البدنية. وقد عدّ العلماء من أنواع هجر القرآن التي تدخل في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ [الفرقان: ٣٠]. عدّوا من أنواع هذا الهجر، أن يهجر القرآن فلا يستشفي به.

والنوع الثالث من أنواع الشفاء بالقرآن: الشفاء من الأمراض النفسية، ومن عين الإنس وعين الجن ومن السحر، ومن جميع تلك الأمراض، التي قد لا تكون من جنس الأمراض البدنية.

وقد أمر النبي ﷺ أن يُرقي بعض أولاد جعفر لما رأى فيهم من أثر العين<sup>(١)</sup>. وقد أمر عليه الصلاة والسلام بذلك، وقد رقى عليه الصلاة والسلام ورُقِيَ أيضًا.

فالقرآن إذا أيها المؤمنون شفاء، والرقية بالقرآن سنة ماضية فقد رقى جبريل عليه الصلاة والسلام نبينا محمدًا عليه الصلاة والسلام<sup>(٢)</sup>. وقد رقى النبي ﷺ طائفة من الصحابة، ورقى الصحابة أيضًا، رقى بعضهم بعضًا، وهذا امتثالاً لقول النبي ﷺ: «من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه»<sup>(٣)</sup> فالرقية بالقرآن وبالأدعية النبوية الواردة، فيها الشفاء بإذن الله، فهي سبب ينفع الله جل وعلا به.

والقرآن فيه الشفاء للمؤمنين ولكن الظالمين لا يزيدهم إلا خسارًا.

أيها المؤمنون: لأجل هذا شاع في الناس بكثرة من يرقى الناس ومن يتلو عليهم القرآن وينفث عليهم طلبًا لشفائهم ورغبة في ذلك. وهؤلاء الذين يرقون الناس بالقرآن وبالأدعية على ثلاثة أصناف:

منهم من يرقيه وهو عالم بأمر الله عالم بشرعه عالم بمسألة الرقية وما تؤول إليه من الخير أو ما قد تؤول إليه من الشر.

(١) رواه الترمذي (٢٠٥٩) وابن ماجه (٣٥١٠) وصححه الألباني.

(٢) رواه مسلم (٢١٨٥، ٢١٨٦).

(٣) رواه مسلم (٢١٩٩).



والصنف الثاني: صنف جاهل لا يعلم أحكام الرقية ولا ما يرقى به الناس ولا ما تؤول إليه الرقية. إذا رقى تجده يخوض غمرة ذلك بجهله وإعراضه عن اتباع طريقة العلماء في ذلك.

والصنف الثالث: من هو مشعوذ يتبع أساليب المشعوذين في القراءة. يوهم أن قراءته بالقرآن وبالأدعية، وهو في الحقيقة يستخدم طرقاً غير مشروعة. منها أن يستخدم الجن في رقيته في إعلامه بحال هذا المريض. وفي إخباره ما حصل له ونحو ذلك. فتجده يبذل للجن بعض ما يُسرّ به الجن ويستمتعون به لقاء ما يخبره به الجن.

وهذا الصنف من الناس من صنف المشعوذين، من صنف الذين يرقون برقية محرمة؛ لأنهم في ذلك استخدموا طرقاً ليس عليها دليل من الكتاب والسنة، وقد انتشر القراء في هذا الزمان وكثروا جداً؛ حيث إن الذين يرقون كانوا في الزمن الماضي قليلين ولا يرقى إلا الواحد بعد الواحد من قلتهم.

وفي هذا الزمان تجد بعض من قلّت بضاعته من هذا العلم ومن فقه القرآن وتفسيره، قد أصبح من القراء المشهورين والناس يأتون إليه أسراباً إثر أسراب يطلبون رقيته بذلك، مع أن الرقية تحتاج إلى علم وتفتقر إلى الدراية، وليس الزمن القصير بكاف لتعلم ذلك، لهذا كثرت الأخطاء في هذا الباب والله المستعان.

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ في كتاب النبوات: (إن نور العلم والإيمان والتوحيد إذا انتشر في أرض ضاق معه وجود الشيطان ووجود الجن الذين يستفيدون من الناس ويستفيد الناس منهم؛ فإن الرقية السبيل إلى ذلك، ولهذا نور العلم والإيمان، نور التوحيد إذا انتشر في بلاد الله كان مغنياً عن ذلك، والجن والشياطين إنما ينتشرون في البلاد التي يضعف فيها نور القرآن والسنة).

واعتر ذلك وانظر إليه في بلاد الله المختلفة تجد ذلك جلياً، وأكثر الناس طغياناً فرعون كيف كانت أرضه ينتشر فيها السحرة الذين يستخدمون الجن كأعظم ما يكون من الاستخدام.



وعندما ضعف أمر التوحيد في قلوب الناس ضعفت حقيقة التوكل على الله، حتى غدا التوكل على الله وتفويض الأمر إليه ضعيفاً فظهر في الناس ما ظهر من أنواع الخروج عن العلم في باب الرقية.

انظر إلى حال كثير من البيوت كيف إذا ظهر في البيت شيء غريب ظن الناس أن هذا من الأمراض، فصار النساء يذهب بعضهن إلى كل من سمعت بأنه قارئ يقرأ سواء كان من أهل العلم المشهود لهم أو كان من الجهال، المهم أنه يذكر اسمه وأنه قارئ، وبعض النساء يذهبن إلى كاهنات ومشعوذات أو إلى مشعوذين وبعض أولئك القراء قد يتعدون حدود الله ويتنهنهن ما حرم الله، حين يرقين من رؤية النساء ومن الخلوة بهن، ونحو ذلك ما قد يستنزل غضب الله وغيرته وسخطه.

لهذا لا ينبغي للرجل أن يتسامح لنسائه بالذهاب إلى كل من قيل عنه راقٍ، لا سيما بدون محرم، وعليه أن يكون في ذلك ذا قوامة على أهله، وأمراض النفس والعين والسحر علاجها يكون بالقرآن، وتلاوته وتدبره، مع الذكر والابتهاج والدعاء، وذلك في تناول كل مسلم.

أيها الناس: لا تنفروا ملائكة الله من بيوتكم، قال عليه الصلاة والسلام: «إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلبٌ أو صورة»<sup>(١)</sup> فانظر إلى ما شاع في الناس من انتشار الصور المحرمة في بيوتهم ومن تعليق الصور على الجدران، والملائكة ملائكة الحفظة ملائكة الرحمة تفر من البيت الذي فيه الصورة، وإذا فرت الملائكة دخلت الشياطين فعاشت بالناس، والله جل وعلا حمى الإنسان بالملائكة الحفظة قال جل وعلا: ﴿لَهُ مَعْقِبَتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ١١]. يعني الملائكة تحفظ ابن آدم مما قد يصيبه حتى إذا أتى قدر الله خلوا بينه وبين ذلك.

عباد الله: لقد قلتُ أو ضعفتُ أو انعدمت تلاوة القرآن في البيوت، والشيطان يفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة؛ لأنه لا مكان له في مكان تقرأ فيه سورة البقرة. فكم تقرأ سورة البقرة فينا من بيت؟ من يقرأ في بيته هذه السورة التي أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة؟

(١) رواه البخاري (٥٩٥٨) ومسلم (٢١٠٦).



## القرآن للذين آمنوا هدى وشفاء

إن الشيطان يفر من المؤمن الذي يديم الاستعاذة بالله، يديم الأوراد، يديم الذكر لأن القلب إذا خلا من ذكر الله تسلط عليه الشيطان وكان بيتاً للشيطان. وأما إذا عمر بذكر الله فرت الشياطين فإن الشيطان وسواس ولكنه خناس، قال المفسرون: (إذا ذكر الله خنس، وإذا غفل العبد أقبل). فكم منا من يتلو الأوراد ويستعيد بالله من شر الشياطين عند إقبال الصباح وإقبال المساء، وهي فترات انتشار الشياطين.

إن الرقى مشروعة، وأكمل الرقى أن يرقى العبد نفسه متوكلاً على الله عالمًا أنها سبب، وأن الله جل وعلا هو الذي أمر بهذا السبب، وأن القرآن شفاء، إذا أذن الله بذلك فليكن كل منا متوكلاً على الله راقياً نفسه، راقياً أهل بيته، ولا يجوز أن يتساهل الناس في هذا الأمر بأن يأذنوا لمن يرعونه بأن يذهبوا إلى من هب ودب ممن يرقون؛ لأن كثيرين منهم ليسوا على الطريق الصحيح، وقد يزيدون الطين بلة والمرض تفاقماً.

والانتفاع بالرقية أكثر ما يكون من جراء أن يرقى أولياء الله ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٣]، وليحذر الناس أن ينتشر هذا الأمر من الذين يرقون على خلاف السنة ومن الذين يستخدمون الجن ومن الكهنة والمشعوذين والعرافين ممن يدعون ما ليس لهم به علم من أمور الغيب.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعي وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المؤمنين من كل ذنب فاستغفروه حقاً، وتوبوا إليه صدقاً إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وعليكم بالجماعة فإن يد الله مع الجماعة، وعليكم بلزوم التقوى في سركم وعلانيتكم؛ فإن بالتقوى رفعة مقامكم عند ربكم، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونَنَّ إِلَّا وَانْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]..

أيها المسلمون: العين حق، فربما نظر العائن إلى شخص فأصابه إذا لم يكن مترسا بالأذكار المانعة بإذن الله من الأذى فعن أبي أمامة بن سهل بن حنيف أن أباه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حدثه أن رسول الله ﷺ خرج وساروا معه نحو مكة حتى إذا كانوا بشعب الحِزْرِارِ من الجحفة اغتسل سهل بن حنيف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكان رجلاً أبيض حسن الجسم والجلد فنظر إليه عامر بن ربيعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو يغتسل فقال: ما رأيت كالיום ولا جلد مُحِبَّةً فَلَبِطَ سهل فأتى رسول الله ﷺ فقيل له يا رسول الله هل لك في سهل والله ما يرفع رأسه وما يفيق قال: «هل تهمون فيه من أحد» قالوا نظر إليه عامر بن ربيعة فدعا رسول الله ﷺ عامراً فتغيظ عليه وقال: «علام يقتل أحدكم أخاه؟ هلا إذا رأيت ما يعجبك بركت؟» ثم قال له: «اغتسل له» فغسل وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وداخلته إزاره في قرح ثم صب ذلك الماء عليه فراح سهل مع الناس ليس به بأس<sup>(١)</sup>.

فإذا كان العائن معلوماً فيطلب منه الاغتسال ويصب الماء على المعيون ويجب على العائن الاغتسال ويحرم عليه الامتناع لإمر النبي ﷺ العائن بالاغتسال. والأصل في الأمر الوجوب وإذا أخذ من ملابس العائن التي تلي جسده وغسلت بهاء واغتسل به المعيون نفعت بإذن الله لأمر النبي عامر بن ربيعة بغسل داخلته إزاره وهي طرف الإزار مما يلي الجسد، وإذا كان العائن غير معروف يرقى المعيون، فعن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال

(١) رواه الإمام أحمد (١٥٥٥٠) وغيره بإسناد حسن.



لأسماء بنت عميس رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «ما لي أرى أجسام بني أخي ضارعة تصيبهم الحاجة؟» قالت لا، ولكن العين تسرع إليهم. قال: «أرقيهم»<sup>(١)</sup>.

أيها الناس: إن الرقية الشرعية تطبيقاً وعلاجاً تستوجب استنفار الهمم، وتبرئة الذمم في سائر الأقطار للضبط والتأصيل، والبيان والتفصيل، تحت مظلة راسخة علمية، مكيمة رسمية، تنطلق بهذا العلم الدوائي إلى معارج النور والانتفاع، والتألق والشفاء، حفظاً للأفراد والمجتمعات، وغيرهً لجانب العقيدة العتيقة، وحياض الشريعة البديعة الفريدة. لئلا يدخل فيها من ليس من أهلها ويستعملها من لا يتقنها.

وإن مما ينطوي عليه حفظ جناب التوحيد: التنويه بأثار اليقين المتين الذي لا تشرّفه أوهام التطير والعرافين، والكهنة والدجالين، ومن سلط على نفسه المعتقدات الباطلة، وتشاءم من الشهور والأيام، والطيور وأصغاث الأحلام، وتعلق بالنجوم والمطالع والأبراج، بزعم دفع المكروه والانفراج؛ فقد عبثت به الشياطين، ويخشى على دينه من رتي كمين، ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ [يونس: ١٠٧].

فجلّ الله وتقدّس في علاه، لا رادّ لما قضاه، ولا مؤثّر في الكائنات سواه.

وكيف تتهاوى العقول إلى هذا الحضيض من اللامعقول في عصر الارتقاء العلمي، وتفتك العقل البشري، والتفجر المعلوماتي؟! سبحانك ربنا!

أمة القرآن: إن الأدواء المعنوية العالمية لا تقل أهمية عن الفردية والمجتمعية، فيا أمة الاستشفاء بالقرآن: أنتم أطباء المعضلات والأسقام، أنتم بقرآنكم الحكم المرضي لكل اعتلال مرضي، تحملون للعالم المثنخ بالجراح والأتراح الدواء الشافي، وتضمدون علل الاحتراب بالترياق الكافي، وتجمعوا بين الدواء العضوي الطبي، والشفاء القرآني، وذلك لا يجتمع لغيركم إن أنتم أخذتم بالأسباب وتوكلتم على رب الأرباب.

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ

لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧].

(١) رواه مسلم (٢١٩٨).



هذا واعلموا رحماني الله وإياكم أن الله جَلَّالُهُ أَثْنَى عَلَى الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ أَمْرَهُ. وأمر بالصلاة على نبيه فقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]. اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر، وارض اللهم عن الأربعة الخلفاء، الأئمة الخنفاء الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون، وعنا معهم بعفوك ورحمتك يا أرحم الراحمين.





## القرآن نور الأنوار

### الخطبة الأولى:

الحمد لله الذي أنزل كتابه الكريم هدى للمُتَّقِينَ، وعبرة للمعتبرين، ورحمة وموعظة للمؤمنين، ونبراساً للمهتدين، وشفاءً لما في صدور العالمين؛ أحمدته تعالى على آلائه، وأشكره على نعمائه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أحيا بكتابه القلوب، وزكَّى به النفوس، وهدى به من الضلالة، وذكَّر به من الغفلة، وأمر فيه بالتقوى، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

أما بعد:

فيا عباد الله اتقوا الله كما أمركم في محكم كتابه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

أيها الإخوة المؤمنون: حديثنا عن منبع الهداية ومعلم النور، الذي به حياة القلوب، وسكينة النفوس، ورشد العقول، واستقامة الجوارح، وطيب الحياة الدنيا، ونجاة الحياة الآخرة.

كتاب الله سبحانه وتعالى كلامه العظيم، حكمته البالغة، شريعته النافعة، ذلكم في سياق حديثنا عن المبادئ التي هي أعظم أسباب القوة، وأول أسباب النهوض، وعندنا مبادئنا وعقائدنا وشرائعنا مصدرها الأول ومنبعها الأعذب، كتاب الله سبحانه وتعالى.

وقفنا لننظر ما السر في نكوصنا وهزائمنا وضعفنا، رغم ثبات مبادئنا ورسوخ عقائدنا، وحفظ كتابنا، ذلكم أن الصلة بيننا وبينه، وأن الأمر المطلوب منا له، ومعه، وبه، وفيه، يشهد



نقصاً عظيماً، وخللاً كبيراً. إن المهم الذي ينبغي أن نحرص عليه، والواجب الذي نركز فيه، هو الفهم لكتاب الله واليقين بما جاء فيه.

ونحن لا نزال في حاجة ماسة إلى قضية الفهم والتدبر، حتى نأخذ منها حظاً وافراً، يقودنا إلى قوة اليقين، وعظمة الاعتقاد بكل ما جاء في كتاب الله سبحانه وتعالى من غير شك ولا اضطراب، ومن غير حيرة ولا تردد، الفهم والتدبر، والخشوع والتأثر، والخضوع والتمثل، هذه الثلاثة مدخلها الفهم والإقبال على القرآن إقبالاً صحيحاً، فهماً يقود إلى تدبر، وخشوعاً يقع به التأثر، وخضوعاً واستسلاماً يقع به الاستجابة والتمثل لما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، أما الفهم والتدبر فأياته وأحوال رسول الله ﷺ وصحابته فيه عظيمة.

﴿ كُنْتُ أَنْزَلْتُهُ إِلَيْكَ مَبْرُكًا لِيَذَّبُوا أَيْتَهُ وَلِيَتَذَكَّرُوا أَلْوَالَ الْأَلْبَابِ ﴾ [ص: ٢٩].

والتفكر في آياته المسموعة وآياته المشهودة، ولهذا أنزل الله القرآن ليتدبر ويتفقه فيه، ويعمل به، لا لمجرد التلاوة مع الإعراض عنه، كما ذكر ذلك ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ.

وأما مسألة الخشوع والتأثر، فنستمع إلى آية من كتاب الله: ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابًا نَفَسَعُوا مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلَيْنَ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [الزمر: ٢٣].

ووصف الله عَزَّوَجَلَّ للمتأثرين الخاشعين بقوله: ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْآذِقَانِ يَبْكَونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ [الإسراء: ١٠٩].

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: (إن خشوع القلب للقرآن واجب، ولا بد أن نستحضر ذلك الوصف الذي وصفته أسماء في المتفق عليه، عندما قالت رَحِمَهُ اللهُ عَنْهَا: كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا تليت عليهم الآيات، كان وصفهم كما جاء في كتاب الله، تدمع أعينهم، وتخشع قلوبهم، تصديقاً لما جاء في هذه الآيات العظيمة).

وأما الخضوع والتمثل، فهو الغاية النهائية، الاستجابة الحقيقية، الامتثال الصادق، يقول فيه جل وعلا: ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٥].

الخشوع الحقيقي هو الانقياد للحق، ومن موجبات الخشوع الاستجابة والعمل، وفي حديث النواس بن سمعان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال النبي ﷺ: «يؤتى بالقرآن يوم القيامة، وأهله الذين

كانوا يعملون به، تقدمه البقرة وآل عمران». ثم وصفها النبي عليه الصلاة والسلام وقال: «تجاجان عن صاحبهما»<sup>(١)</sup>.

وشاهدنا قوله: «وأهله الذين كانوا يعملون به»، أولئك هم المنتفعون، أولئك هم المستحقون لشفاعة القرآن، أولئك الذين حييت به قلوبهم، وقويت به عزائمهم، ورشدت به عقولهم، واستقامت به أحوالهم، وكان حكمًا فيما بينهم، وفصلًا فيما يقع منهم من خلاف، تصديقًا لكتاب الله سبحانه وتعالى.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: (فما أحق من علم كتاب الله أن يزدجر بنواهيهِ، ويتذكر ما شرح له فيه، ويخشى الله ويتقيه، ويراقبه ويستحييه، فإنه قد حمل أعباء الرسل، وصار شهيدًا في يوم القيامة على أهل الملل).

ليس أمرًا هيئًا كلام الله عَزَّوَجَلَّ، كتابه وهدايته الأخيرة للناس، الذي تكفل بحفظه، فلذلك ينبغي أن يكون هذا هو الأصل الذي نتعامل به مع القرآن، حتى يحدث في نفوسنا أولاً التأثير المنشود، ثم يفيض على قلوبنا ومن قلوبنا ونفوسنا إلى واقع حياتنا، لتتحرك به ولنحرك به واقعنا، ونقوم به اعوجاجنا، ونستدرك به نقصنا، ونكمل به ما وقع من خلل في حياتنا، وذلك هو التأثير المنشود، الذي عندما فقدنا كثيرًا منه، ظل القرآن في حياتنا كأنها هو غائب شاهد، وكأنها هو قد عطل في واقع نفوسنا وقلوبنا، فتعطل في واقع حياتنا وأحوالنا.

وذلك ما كان أصحاب النبي ﷺ يحدرون منه، ويستحضرونه دائمًا، روى الإمام أحمد في كتاب الزهد، عن أبي الدرداء رَحِمَهُ اللهُ عَنهُ، وهو من أرق الصحابة وأكثرهم مواعظ، كانت مواعظ قلبه تفيض على لسانه، فإذا بها تلج إلى القلوب وتؤثر في النفوس، يقول في معاني الصلة بالقرآن الكريم رَحِمَهُ اللهُ عَنهُ وأرضاه: «أخوف ما أخاف أن يقال لي يوم القيامة: يا عويمر: أعلمت أم جهلت؟! قال: فإن قلت: علمت، لا تبقى آية أمرة أو زاجرة إلا أخذت بفريضتها، الأمر هل ائتمرت؟! والزجر هل ازدجرت؟! وأعوذ بالله من علم لا ينفع، وقلب لا يجشع، ودعاء لا يسمع».

(١) رواه مسلم (٨٠٥).



هكذا كانت قلوبهم ونفوسهم، هكذا أدركوا أنه لا بد من فهم وتدبير، يحصل به خشوع وتأثر، ينطبق ويليه استجابة وتمثل، وذلك الذي نحتاج إليه، ولعلنا هنا ونحن نريد أن نيسر الأمر على أنفسنا، وأن نعين أنفسنا على أن نبلغ مثل هذه الغايات، سيما في هذا الزمان الذي كثرت فيه الملهيات، وعظمت فيه المشغلات، وكثرت فيه الفتن، وتعاضمت فيه المحن، وصرفت القلوب بالشهوات، وضلت العقول بالشبهات إلا من رحم الله، أفلسنا في حاجة إلى عصمة نعتصم بها، وإلى ملجأ نلجأ إليه، فأبي ملجأ أعظم من الله؟! وأي عصمة أعظم من عصمة كتاب الله؟! وأي نور يبدد الظلمات أعظم وأقوى وأبلغ من نور الله عَزَّوَجَلَّ، ونور كلامه سبحانه وتعالى؟! كم نحن في حاجة ماسة إلى أن نعيد القول، ونرده ونكرره ونزيده في مثل هذه المعاني، ومهما زاد فإنه قليل؛ لأن البون شاسع، والهوة سحيقة، والفرق عظيم وهائل بين ما تنزلت به الآيات، وما دعت إليه الشريعة، وما هو واقع في الحياة، بل ما هو مستقر في القلوب والنفوس.

ولعلنا هنا نذكر بعضاً بما يعيننا على ذلك، ويؤدي بنا إليه في خطوات ميسورة بإذن الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأننا لا نريد أن نلقي القول على عواهنه، ولا نريد أن يكون حديثنا مجرد كلمات عظيمة أو ضخمة أو بليغة، أو ربما يكون فيها شيء من التعظيم والتأثير المؤقت، الذي لا يبنى عليه عمل، ولا نخرج به إلى تغيير واقع، ولا نبدأ فيه في تغيير أحوالنا، علَّ الله عَزَّوَجَلَّ أن يتداركنا برحمته، ويغير إذا غيرنا ما في نفوسنا وما في واقعنا، كما وعدنا الحق جَلَّ جَلَّالَهُ.

خطوات: أولها: حسن الاستماع والإصغاء لكتاب الله عَزَّوَجَلَّ، كم نسمع من نشرات الأخبار؟! كم نسمع كثيرون من المعازف والأغنيات؟! وكم نسمع من الأخبار والأحوال والأقوال، وكل ذلك يصب في قلوبنا كدرًا يخلط صفاء الإيمان، وظلمة تطفئ نور اليقين، وأحوالاً تقسو بها القلوب؟! كم نسمع من غيبة ونميمة؟! كم نسمع من لعن وشتيمة؟! أليس لنا حظ نظهر به القلوب، من إصغاء يفيض على قلوبنا الخير والنور والهدى والتقوى؟! كم نستمع قبل أن نتلو؟! كم نستمع من الآيات والقرآن؟ ونستطيع أن نسمعه إذا واطبنا على الصلوات في الجماعات، وهو يتردد في المحاريب آناء الليل وأطراف النهار.



ما حظ أذاننا من هذا الإصغاء، وما حظ قلوبنا من هذا الإصغاء، حسن الاستماع هو الأول والمبدأ والفاحة والبداية، ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الزمر: ١٨]، وتأمل بلاغة القرآن المعجزة: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ﴾ [الزمر: ١٨] وليس يسمعون، فالاستماع أعظم من السماع، السماع كلام عابر يمر على أذنك، تكون سائراً في طريقك، فهذا يتكلم لقد سمعته، لكنك لم تستمع له، لم تلتق له بالألأ، لم تعطه أذناً واعية، لم تعطه قلباً حاضراً، فذلك أمر آخر، إنما المقصود الاستماع الذي تتوجه له بكليتك، وتقصده بعنايتك، وتفرض له من وقتك، وتهيب له نفسك، وتستحضر له كل الأسباب التي يقع بها أثره.

﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الزمر: ١٨]، والفاء للتعقيب السريع، إن كان استماعاً حقيقياً فثمة بإذن الله عز وجل استجابة صادقة، ﴿فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الزمر: ١٨]، والله سبحانه وتعالى أمرنا بذلك، وبين أنه سمة هدايته: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الزمر: ١٨].

والحق جل وعلا يقول: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ، وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

وكذلك تأمل: ﴿فَاسْتَمِعُوا لَهُ، وَأَنْصِتُوا﴾ [الأعراف: ٢٠٤]، ثم حينئذ تنزل الرحمة، وتغشى النفوس والقلوب، ونرى حينئذ آثار الخشوع والسكينة، والتدبر والتأمل، عندما نحسن هذا السماع والإصغاء.

ومن كلام وهب بن منبه رَحِمَهُ اللهُ قال: (من أدب الاستماع سكون الجوارح، وغيض البصر، والإصغاء بالسمع، وحضور القلب، والعزم على العمل، وذلك هو الاستماع كما يجب الله تعالى).

ومن كلام سفيان الثوري رَحِمَهُ اللهُ: (أول العلم الاستماع، ثم الفهم، ثم الحفظ، ثم العمل، ثم النشر)، فما أحرانا أن نبدأ بهذا، وهذا ليس لأحد فيه عذر، حتى الأمي الذي لا يقرأ، عنده فرصة سانحة لينهل من هذا الكتاب العظيم، المشغول الذي لا يفرغ، ليست له حجة، عنده وقت في سيارته، عنده وقت وهو مستلق على فراشه، أن يستمع هذه الآيات، عنده وقت لأن هذه الأسباب قد توفرت وتيسرت، لكنها الصوارف المشغلة، لكنها الاهتمامات المنافسة، لكنها الدنيا التي استولت على قلوب الناس إلا من رحم الله.



الثاني: حسن النية: وقد أخرجها وحقها التقديم، لننظر أنها فاعلة فيما قبلها وبعدها، ونعني بذلك أن نُقبل بصدق، وأن نستمع، وأن نتلو، وأن نتعلق بالقرآن في كل أحواله وأحوالنا معه، بنية خالصة، بنية نبتغي بها وجه الله تعالى، بنية نتلمس بها علاج أدواء قلوبنا، وبرء علل نفوسنا، وذلك ما نحتاج إليه، نحتاج إلى هذه النية الخالصة حتى نتحقق لنا النتائج المثمرة، فإننا نعلم أن كل أمر وعمل بلا إخلاص لا ثمرة له.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: (العمل بلا إخلاص كالمسافر يملأ جرابه رملاً، يُثقله ولا ينفعه، يحمل حملاً كثيراً لكنه تراب، ليس له منه إلا ثقل الوزن دون النفع والفائدة)، ومن هنا قال القرطبي: (إذا استمع العبد إلى كتاب الله تعالى، وسنة نبيه بنية صادقة، ما الذي يحصل له؟! عامله الله سبحانه وتعالى بها يجب الله له، أفهمه كما يجب، وجعل له في قلبه نوراً).

ومن كلام ابن تيمية: (من تدبر القرآن طالباً الهدى منه، تبين له طريق الحق، والله عَزَّوَجَلَّ قد وعد من أقبل، أقبل الله عليه، ومن صدق وأخلص، أثاب الله عليه، ومن تجرد لله سبحانه وتعالى أعطاه الله عَزَّوَجَلَّ بقدر إخلاصه). ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩]. وذلك أمر نحتاج فيه إلى مجاهدة نفوسنا.

والثالث: حسن التلاوة: ﴿وَرَقِلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ [المزمل: ٤]؛ «ليس منا من لم يتغن بالقرآن»<sup>(١)</sup>، كما أخبر المصطفى ﷺ فيها رواه البخاري. قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: (اعلم أن التلاوة أفضل الأذكار، ليس هناك شيء أفضل من ذكر الله عَزَّوَجَلَّ، وأفضل ذكر الله كلامه سبحانه وتعالى، وتلاوة كتابه، فما بالناس كذلك منقطعين عن ذلك إلا نزرًا يسيرًا، نقرؤه بلا روية، وبلا حسن ترتيل، وبلا استحضر معانٍ، كما ينبغي أن يكون الأمر).

ولذلك قال العلماء: (المطلوب شرعاً إنما هو تحسين الصوت، الباعث على تدبر القرآن وتفهمه، والخشوع والخضوع، والانقياد والطاعة). كما ذكر ذلك ابن كثير، ومن هنا قال النووي: (الترتيل مستحب للتدبر ولغيره)، فكم حظنا من ذلك؟! وقد أشرنا من قبل إلى أنه

(١) رواه البخاري (٧٥٢٧).



ينبغي أن لا ننتقل عن هذا، وأن يكون لنا حظ من تلاوة متأنية، نحيا بها، ونحيا فيها، ونحيا معها، ونستعيد الله سبحانه وتعالى في أولها، لتصرف عنا شرور الشياطين، ومضلات العقول، وصوارف النفوس الأهواء: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ [النحل: ٩٨].

وذلك كله تهيئة للمقصد الأعظم، من بعد في حسن التفكير والتدبر، الذي لا يمكن أن يكون إلا بمثل هذه الأمور السابقة، وهو أمر عظيم وخطواته كثيرة، ونحن نشير إلى قليل، حتى يكون عوناً لنا، ونسأل الله أن لا يكون حجة علينا:

اجعل لنفسك حظاً من تلاوة على الصفة السابقة، في الأوقات التي تستحضر فيها فكري، وتحيي فيها قلبك، بعيداً عن الناس، وعن دنيا الناس، وعن شواغل وصوارف الدنيا.

وأفضل ذلك الليل؛ أوله وأوسطه وآخره، في أي وقت منه، عندما تخلد إلى بيتك، وتسكن إلى راحتك، وتنزل وحدك، اجعل أنيسك كتاب الله، فإن هذه التلاوة أعظم ما يفيض بها على قلبك النور والهدى، وعلى عقلك الفهم والإدراك بإذن الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾ [المزمل: ٦]. قالوا: هي أشد مواطأة بين القلب واللسان، يتفق القلب مع اللسان ويندمج معه، ويكون معه؛ لأنه لا صوارف تصرف، ولا شواغل تشغل، فحينئذ يكون الأثر أعظم، والطريق إلى التفكير والتدبر أيسر بإذنه سبحانه وتعالى، ومدارسة جبريل عَلَيْهِ السَّلَام لسيد الخلق ﷺ إنما كانت في الليل، وفي ليالي رمضان العظيمة، لماذا؟! لهذا المعنى الذي تشير إليه هذه الآيات العظيمة، قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: (المقصود من التلاوة الحضور والفهم، ومظنته الليل؛ لأن الليل مظنة ذلك، لما في النهار من الشواغل والعوارض الدنيوية والدينية، وكم في هذا من أثر عظيم).

ثم كذلك أمر آخر: الوقوف مع دلالات الآيات، كما روى حذيفة عن سيد الخلق ﷺ عندما قال: «صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة، فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى، فقلت: يصلي بها في ركعة، فمضى، فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح



آل عمران، يقرأ مترسلاً، إذا مر بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مر بسؤال سأل، وإذا مر بتعوذ تعوذ<sup>(١)</sup>.

أحضر ذلك في نفسك وطبقه عندما تتلو، كلما مر تسبيح سبح، كلما مر وعد أسأل الله عزَّوجلَّ، فإن ذلك يعين على ولوج هذه المعاني، وتعلُّق القلب بها، وحياة النفس معها، وذلك ما كان يفعله النبي ﷺ، كما روى ذلك كثير من أصحابه -رضوان الله عليهم-، ومن المعين على ذلك استحضار أحوال النزول، وذلك عندما نعرف بعض أسباب النزول ونعرف الوقائع.

ألسنا قد مررنا كثيراً ما جاء من الآيات بشأن غزوة الأحزاب، كيف كان هذا الوصف مؤثراً، لمن كان عالماً وعارفاً بهذه الأحداث وما مر فيها؟!

﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿ [الأحزاب: ١٠-١١].

عندما نتذكر كيف كان النبي ﷺ يربط على بطنه حجرين من شدة الجوع في ذلك الوقت، عندما نتذكر حادثة حذيفة عندما قال ﷺ: «ألا رجل يأتيني بنخب القوم، جعله الله معي يوم القيامة»<sup>(٢)</sup>، فلم يقم أحد من الصحابة، عندما نعرف تلك الملابس، نعرف كم كان لهذه الآيات من عظمة، ويكون لها في نفوسنا تأثير؛ ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

أصحاب النبي في يوم أحد وبعد أحد: ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

وكثيرة هي الأحوال التي إذا عرفنا شيئاً منها، أصبح للقرآن في قلوبنا أثراً غير ما نقرأ بلا تمنع ولا فهم ولا معرفة، ولعلنا نستعين على ذلك بأمرين اثنين أختم بهما:

أولاً: استحضار عظمة المتكلم سبحانه وتعالى، فهذا كلام رب الأرباب وملك الملوك، جبار السماوات والأرض، خالق الخلق وواهب الرزق، ليس كلاماً له مثيل في الحياة كلها،

(١) رواه مسلم (٧٧٢).

(٢) رواه مسلم (١٧٨٨).



ليس له نظير فيما تسمعه وتقرؤه من كلام الدنيا وأهلها كلهم، فإذا استحضرت ذلك كان له أثر.

الأمر الآخر وهو: استحضار عظمة الخطاب، إنه خطاب لك، إنه كما قال الحسن: (رأوها رسائل من ربهم، كانوا يتفكرون بها ويتدبرونها بالليل، وينفذونها ويعملون بها في النهار).

نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يرزقنا حسن الفهم لكتابه، وحسن العمل بأوامره ونواهيه، ونسأله أن يحيي به قلوبنا، ويرشد به عقولنا، ويحسن به أحوالنا. أقول هذا القول، وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.



الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحابه أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعلينا وعلى عباد الله الصالحين.

أما بعد:

أيها الإخوة المؤمنون: أوصيكم ونفسي الخاطئة بتقوى الله، فإن تقوى الله أعظم زاد يقدم به العبد على مولاه، فاتقوا الله في السر والعلن، واحرصوا على أداء الفرائض والسنن، واجتنبوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وإن ثمرة مثل هذه الخطوات، نراها في سيرة النبي ﷺ، وسيرة أصحابه، أذكر بعضاً منها في هذه الومضات.

أولها: الاستجابة الدائمة ليست المؤقتة ولا العارضة، ولا التي تنشأ عن تأثير محدد، بل دائماً، يكون حينئذ هذا الإنسان المؤمن قرآنيًا كما كانت عائشة تقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ليس في قولها: «كان خلقه القرآن»، فإن هذا معروف، ولكن قالت: «ما صلى النبي ﷺ صلاة بعد أن نزلت عليه: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١]، إلا يقول فيها: «سبحانك ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي»<sup>(١)</sup> لأنه جاءه الأمر فسبح بحمد ربك واستغفره، فجعلها النبي ﷺ في صلاته.

وروت عائشة قالت: كان النبي ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي، يتأول القرآن». يعني: أن يطبقه ويمثله.

ثانيًا: الاستحضار للاعتبار، إن هذه الخطوات تقودنا إلى هذا الاستحضار، الذي يقع به الاعتبار، ومثل ذلك في قصة أبي بكر وعمر يوم خرج هذا وخرج ذاك فليقها رسول الله ﷺ فقال: «ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة؟!»، قالوا: الجوع يا رسول الله، قال: «وأنا والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما». رسول الله يخرج من بيته من شدة الجوع، يلقي صاحبيه جائعين، يمضي إلى رجل من الأنصار فلا يجده في بيته، ثم يأتي الأنصاري فيفرح بهذه

(١) رواه البخاري (٤٩٦٧) ومسلم (٤٨٤).



الغنيمة، برسول الله ﷺ وصاحبيه رضوان الله عليهما، فيذبح لهم، ويستعذب لهم الماء، فيأكلون وجبة شهية هنية، فيقول النبي ﷺ والقرآن حي في قلبه: «والذي نفسي بيده، لتسألنَّ عن هذا النعيم يوم القيامة»<sup>(١)</sup>. نعيم يوم عابر، مر بعد جوع شديد، ومع ذلك استحضر النبي ﷺ: ﴿ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨].

لم تغب عنه الآيات، لم تغب عنه ذكراها، لم تغب عنه موعظتها، وإن كانت الحالة عابرة، فكم نحن في حاجة إلى مثل هذا، إذا أخذنا بذلك والعودة بعد الغفلة.

مثلها قصة أبي بكر، لما أوقف نفقته على مسطح بن أثاثة عندما تكلم في عائشة مع المتكلمين، وخاض مع الخائضين، فقال أبو بكر: «والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً»، فتزلت الآيات: ﴿وَلَا يَأْتِلُ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢].

قال أبو بكر: «بلى والله أحب أن يغفر الله لي، فأعاد النفقة وقال: والله لا أنزعها منه أبداً»، تلك القلوب العائدة، تلك القلوب المتذكرة، تلك الراجعة إلى الحق والآخرة، المرتقية إلى ذرا المعالي، عندما يحيا القرآن في قلوبها، كلنا نعرف قول الحق جل وعلا: ﴿لَنْ نَنالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ نُنْفِقُوا مِمَّا نَحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢].

نقرأ الآية مراراً وتكراراً، نرددها في صلواتنا، أي شيء أحدثت في واقعنا؟!!

أنس يروي عن أبي طلحة، وكان من أثرياء الصحابة، وكان له بستان قبالة مسجد رسول الله ﷺ اسمه (بيرحاء)، فيه شجر كثير وماء عذب، لما نزلت الآية، تحركت في نفسه معانيها، اشتاقت إلى ثوابها نفسه، فجاء إلى رسول الله: إن أحب أموالي إليّ بيرحاء، وإنها صدقة الله أرجو برها وذخرها عند الله، فضعها - يا رسول الله - حيث أراك الله، فأثنى النبي وقال: «بخ، ذلك مال رابح»، ثم قال: «أرى أن تجعلها في الأقربين»<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه مسلم (٢٠٣٨).

(٢) رواه البخاري (١٤٦١) ومسلم (٩٩٨).



ورواية ابن عمر قال: لما نزلت هذه الآية، بحثت عن أنفس شيء عندي، فكانت له جارية رومية هي نفيسة ومحبوبة لديه، قال: «فأعتقتها لوجه الله، ولو كنت راجعاً في شيء لرجعت فيها، فأنكحتها نافعاً». ذلك الذي كان يحركه إلى المعالي.

فمن منا يسعى لأن يكون القرآن ربيع قلبه؟ من يجعله بوصلة حياته ليوجه أقواله وأفعاله؟ من الذي يترنم به ويتغنى ويستغني به عن اللهو واللغو؟ من منا يجعله نور قلبه في الدنيا في ظلمات الليالي، ليكون نور قبره في تلك الظلمة الطويلة؟ ألا طوبى لأهل القرآن ثم طوبى لهم..

نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يحرك قلوبنا بالقرآن، وأن يقوي به عزائمنا، وأن يرشد به عقولنا، وأن يصلح به أحوالنا، وأن يؤلف به قلوبنا، وأن يجمع به صفوفنا، وأن يقوي به عزائمنا.



## أنبياء الله عَلَيْهِ السَّلَام

### الخطبة الأولى:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يُضِلِّ فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، جَلَّ عن الشبيه والمثيل والكفاء والنظير.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله، وخيرته من خلقه، وأمينه على وحيه، أرسله ربه رحمة للعالمين، وحجة على العباد أجمعين، فهدى الله تعالى به من الضلالة، وبصَّر به من الجهالة، وجمع به بعد الشتات، وأمَّن به بعد الخوف، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطيبين، وأصحابه الغرِّ الميامين، ما اتَّصَلَتْ عَيْنٌ بِنَظَرٍ، ووَعَتْ أذن بخبر، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فيا عباد الله اتقوا الله كما أمركم في محكم كتابه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

أيها الإخوة المؤمنون: روى الإمام أحمد في مسنده أن النبي ﷺ جلس إليه أبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: يا رسول الله: هل كان آدم نبياً؟! فقال عليه الصلاة والسلام: «نعم، كان نبياً مكلِّماً»، فقال أبو ذر: يا رسول الله: كم هو عدد الأنبياء؟! فقال عليه الصلاة والسلام: «هم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً»، قال كم الرسل من بينهم؟! قال: «هم ثلاثمائة وبضعة عشر رسولاً»، وفي رواية قال: «ثلاثمائة وخمسة وعشرون رسولاً»<sup>(١)</sup>.

(١) صححه الألباني في تخريج مشكاة المصابيح (٥٦٦٩).



هؤلاء الرسل -أيها الإخوة الكرام- اصطفاهم الله جل وعلا واختارهم من خلقه جميعاً ليبلغهم جل وعلا رسالاته حتى يكونوا رسلاً بينه وبين الناس، كما قال الله سبحانه وتعالى:

﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ [الحج: ٧٥]،

فجعل الله تعالى الرسالة اصطفاً واختياراً منه جل وعلا، لا يملك أحد أن يكون رسولاً من تلقاء نفسه، ولا أن يعترض على أحد من الرسل: لماذا اختاره الله جل وعلا؟!!

ولما اعترضت قريش على إرسال نبينا وسيدنا رسول الله ﷺ: ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْبِينَ عَظِيمٍ ﴾ [الزخرف: ٣١]، وحددوا رجلين كان لهما وجهة عندهم وعظم، هما: الوليد بن المغيرة من مكة، وعروة بن مسعود الثقفي من الطائف، فقالوا: لو كان الله سبيعت نبياً وسينزل قرآناً لأنزله على أحدهما، فكيف ينزله على رجل نشأ تيمياً وكان منا ليس في غنى ولا في مال كثير؟! ﴿ لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْبِينَ عَظِيمٍ ﴾ [الزخرف: ٣١] قال الله: ﴿ أَهْرَيْقِسْمُونَ رَحِمَتْ ﴾ [الزخرف: ٣٢].

الرسالة رحمة، الرسالة اصطفاً، لا علاقة لها بالمال والجاه، النبوة رفعة وعزة يمنُّ الله تعالى بها على من يشاء من عباده، قال الله تعالى: ﴿ أَهْرَيْقِسْمُونَ رَحِمْتَ رَبِّكَ لَمَّا نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ ﴾ [الزخرف: ٣٢]؛ فدل ذلك على أن النبوة هي أرفع من غيرها من الفضائل، أرفع من العلم، وأرفع من الولاية، وإذا اختار الله تعالى رجلاً فجعله نبياً فقد أعزّه وأعلى شأنه.

والرسل -أيها الإخوة الكرام- قد جعلهم الله تعالى رسلاً بينهم وبين الناس، وأوجب الله تعالى على الناس الإيمان بهم وتصديقهم، والرسل كثير، قد بين الله جل وعلا في كتابه عدداً منهم بأسمائهم، فذكر الله تعالى في كتابه خمسة وعشرين نبياً، منهم من فصل الله تعالى قصصهم كما فصل الله تعالى قصة موسى عليه السلام، وقصة آدم، وقصة عيسى وعدد من أنبيائه -عليهم الصلاة والسلام-، ومنهم من لم يفصل الله تعالى قصته، وإنما ذكر الله تعالى اسمه كما ذكر اليسع وذا الكفل وغيرهما من الأنبياء من غير أن يفصل الله تعالى صفاتهم.

وجب علينا الإيمان بهم كلهم، سواء من علمنا أسماءهم منهم من الكتاب أو من السنة أو من لم نعلم، كما قال الله تعالى: ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ ﴾ [النساء: ١٦٤]، فدل هذا على أن الله تعالى بعث إلى عدد من الأمم أنبياء كما قال جل وعلا: ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر: ٢٤]، وقال: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء: ١٥].

وربما بعث الله تعالى إلى الأمة الواحدة؛ بل إلى المدينة الواحدة، بل إلى القرية الواحدة أكثر من نبي، كما قال الله جل وعلا لما ذكر في أول سورة يس خبر أولئك الأنبياء: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِشَالِكِ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾ [يس: ١٤].

فبين الله تعالى أنها قرية واحدة بعث الله تعالى إليها ثلاثة من الرسل لإنذارهم وإخراجهم من الظلمات إلى النور.

أيها المسلمون: أمر الله تعالى بالإيمان بجميع الأنبياء، وهو من عقيدة المسلمين: ﴿كُلُّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِيَّتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، لا يجوز أن تؤمن بمحمد عليه الصلاة والسلام وتكفر بعبسى أو تكفر بموسى أو بنوح أو بلوط أو بغيرهم.

فالإيمان بنبي واحد يقتضي الإيمان بجميع الأنبياء، كما قال الله جل وعلا عن قوم عاد: ﴿كَذَّبَتْ عَادَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٢٣]، مع أنهم ما كذبوا إلا نبياً واحداً، لكنهم لما كذبوا نبياً واحداً كذبوا بجميع رسالات الأنبياء.

وقال الله جل وعلا مبيناً حال قوم نوح: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٥]، مع أنهم ما كذبوا إلا نوحاً عليه السَّلَامُ.

الإيمان بهم جميعاً بأنهم رسل من عند الله جل وعلا، لهم حق الطاعة، لهم حق الاحترام، لهم حق الاتباع، لهم حق التصديق فيما بلغوه عن ربنا جل وعلا.

ذم الله تعالى أهل الكتاب لما كانوا يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض، يؤمنون ببعض الأنبياء ويكفرون بغيرهم، قال الله جل وعلا: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ﴾ [البقرة: ٩١]، نحن نؤمن بما أنزل علينا، نؤمن بموسى وعيسى ويكفرون بما وراءه فجعلهم الله تعالى كفاراً بجميع الأنبياء.

الأنبياء - أيها المسلمون - فضّل الله تعالى بعضهم على بعض، فقال الله جل وعلا: ﴿تِلْكَ أَرْسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

ويجوز أن تقول: إن أولي العزم هم أفضل الرسل، لكن لا يجوز أن تقول ذلك على سبيل التنقّص من غيرهم، فإذا قلت مثلاً: إن موسى عليه السَّلَامُ أفضل من فلان من الأنبياء جاز ذلك



إن كنت تقصد أن موسى من أولي العزم وأنه نبي مكلم، لكن إذا كنت تعني تنقُصًا لذلك النبي أو أن ذلك النبي قَصُر في رسالته فهذا لا يجوز، كما قال عليه الصلاة والسلام: «لا تخيروا بين الأنبياء»<sup>(١)</sup>، يعني: لا تقولوا: هذا خيرٌ من هذا، حمل أهل العلم الحديث على أنه إذا كان على سبيل التنقص للنبي الآخر.

أيها الناس: لقد جعل الله تعالى للرسول أحسن صفات البشر، فأجمع أهل العلم على أن الرسل معصومون فيما يبلغونه عن ربنا جل وعلا، فلا يمكن أن يبلغ إلا الحق، ولا يمكن أن يغير ولا أن يبدل، فإذا أوحى الله تعالى إلى أي رسول بوحى فإن الله تعالى يعصمه من النسيان، يعصمه من الخطأ فيما يتعلق برسالته.

فهم معصومون فيما يبلغونه عن ربنا جل وعلا، وهم أيضًا صادقون فيما يخبروننا، كما قال الله جل وعلا: ﴿وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ٥٢].

فلا يمكن أن يُتهم نبي بأنه يكذب فيما يدعو إليه أو فيما يبلغه عن ربنا جل وعلا، ولما أقبل رجل إلى سيدنا رسول الله ﷺ وقال: يا محمد: اعدل؛ فإنك لم تعدل. غضب النبي ﷺ؛ وذلك لأن الرجل اعترض على قسمة قسمها النبي ﷺ في مال لم يأخذ لنفسه منه شيئًا، وإنما قسمه على أصحابه، فقال عليه الصلاة والسلام: «يأمني أهل السماء ولا تأمنوني؟!»<sup>(٢)</sup>. الله يأتمني على رسالته، الله يأتمني أن لا أزيد ولا أنقص، الله يأتمني على أن أحكم بالقرآن فأعدل، وأنت لا تأتمني على دريهمات قسمتها بينكم!؟

الرسل بلغوا كل الرسالة بأمانة وصدق، كما قال الله جل وعلا عن نوح عليه السلام لما قال لقومه: ﴿وَلِكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١١) أَبْلَغُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ ﴿[الأعراف: ٦١-٦٢].

كل الرسل بلغوا الرسالة تامة كاملة من الله جل وعلا، ولم يكتف رسول منهم أبدًا خبرًا واحدًا أمره الله تعالى ببلاغه.

(١) رواه البخاري (٢٤١٢) ومسلم (٢٣٧٤).

(٢) رواه البخاري (٤٣٥١).



وقال الله جل وعلا: ﴿يَأْتِيهَا الرِّسُولُ﴾ [المائدة: ٤١]، يعني نبينا وسيدنا رسول الله ﷺ: ﴿يَأْتِيهَا الرِّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]، بلغ الناس ما نزل من دم في اليهود والله يعصمك منهم، بلغ الناس حرمة الربا والله يعصمك من أذى المرابين، بلغ الناس بحرمة الزنا والله يعصمك من أذى المتعلقين بالزنا، بلغ الناس حرمة السرقة والله يعصمك من أولئك اللصوص، فلا يضرورك بتبليغك: ﴿بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧].

فمن جاء بعد ذلك من أهل الضلال وأهل الانحراف وأهل الزيغ والفجور، وزعم أن نبينا وسيدنا رسول الله ﷺ كتم شيئاً من الرسالة يتعلق بصحابي معين، سواء كان من عامة الصحابة أم من الخلفاء الراشدين، أم من آل البيت أم من غيرهم، أو زعم أن نبينا ﷺ كتم شيئاً من القرآن ولم يبلغه فقد كذب بهذه الآية، وكذب بقول الله جل وعلا: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُزِّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]. فإذا كان عليه الصلاة والسلام قد بلغ البلاغ التام وجب علينا أن نأخذ بكلامه جميعه - صلوات ربي وسلامه عليه -.

أيها المسلمون: وجعل الله تعالى في الرسل شجاعة في قول الحق، فيهم شجاعة في سيادة الناس، فيهم شجاعة في الثبات على مبادئهم، فيهم شجاعة في مواجهة الفتن، فيهم شجاعة في القتال والجهاد في سبيل الله. ألم تسمع ما ذكره الله جل وعلا عن نبيه إبراهيم حين ألقى به في النار فلم يتوان ولم يراجع ولم ينكص ولم يضعف؟ ألم تسمع ما ذكر الله عن نبيه هود عَلَيْهِ السَّلَام؟! لما هدده قومه وقف عَلَيْهِ السَّلَام أمامهم وقال: ﴿فَكِيدُوا فِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ﴾ [هود: ٥٥]؛ ذلك لما قالوا: ﴿يَهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِ هَارُونَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [٥٣] إِنْ نَقُولُ إِلَّا أَعْرَبْنَاكَ بَعْضَ آلِ هَارُونَ سِوَى﴾ [هود: ٥٤-٥٣] ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا أَعْرَبْنَاكَ بَعْضَ آلِ هَارُونَ سِوَى﴾ [هود: ٥٤] استمعوا للشجاعة ﴿قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [٥٤] مِنْ دُونِهِ ۗ فَكِيدُوا فِي جَمِيعًا﴾ [هود: ٥٤-٥٥]، أتحداكم! ﴿فَكِيدُوا فِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ﴾ [هود: ٥٥]، لا تتأخروا في كيدكم؛ فأنا شجاع معتمد على الله، واثق به: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هِيَ آخِذَةٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ [هود: ٥٦].



يقول علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «كنا إذا اشتد البأس اتقينا برسول الله ﷺ».

وفي معركة حنين لما تقدم الصحابة مع رسول الله ﷺ إذا بمالك بن عوف وأصحابه قد كمنوا لهم واختبؤوا بين صخور في أعلى وادي حنين، فلما دخل جيش المسلمين، وكانوا اثني عشر ألفاً، فإذا بهم يُمطرونهم بالنبل، فيتولى جميع الجيش إلا رسول الله ﷺ وتسعة من أصحابه. فإذا به عليه الصلاة والسلام يتقدم ويقول: «أنا النبي لا كذب»، أنا ما جئت أفترى، أنا ما جئت أفتح دياركم أبحث عن عز لقومي ولا شرف لمجدي ولا علو لذاتي، «أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب»<sup>(١)</sup>، إنه والله موقف تقشعر منه الأبدان، فلقد ثبت عليه الصلاة والسلام ثبات الجبال، ليكون ذلك برهان على أنه ليس بمُدَّعٍ ولا أفاك، عليه الصلاة والسلام.

وأحسَنُ منك لم تَرَ قَطُّ عيني      وأجملُ منك لم تَلِدِ النساءِ  
خُلِقْتَ مُبرَّأً مِنْ كُلِّ عيبٍ      كأنَّكَ قد خُلِقْتَ كما تَشَاءُ

لم يكن أحد من المرسلين خواراً ولا جباناً ولا مولياً دبره إذا حضر عدوه، كلا؛ بل كانوا شجعاناً، أبطالاً، خصهم الله تعالى بخصائص الكمال في البشر.

أيها المسلمون: هؤلاء هم رسل الله تعالى، الذين أمرنا باحترامهم وتقديرهم ومعرفة مكانتهم، لقد اصطفاهم الله تعالى واختارهم على علم سابق منه جل وعلا بصلاحهم وسلامة صدورهم، ومناسبتهم ليكونوا رسلاً بينه وبين عباده.

فصلَّى الله على نبينا، وصلى الله على جميع أنبياء الله ورسله ما ذكرهم المذكرون الأبرار، وصلى الله وسلم على نبينا وعلى أنبياء الله ورسله ما تعاقب الليل والنهار، وأسأل الله أن يجعلنا من زميرتهم، وأن يحشرنا يوم القيامة في صفهم.

أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كل ذنب فاستغفروه وتوبوا إليه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

(١) رواه البخاري (٢٩٣٠).

الخطبة الثانية:

أحمد الله تبارك وتعالى وأثني عليه بما هو أهله، وأستغفره وأستهديه وأتوب إليه وأؤمن به وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لا ملجأ ولا منجى منه إلا إليه، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدٌ عبدُ الله ورسولُهُ الداعي إلى سبيل ربه صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين، وعلى أصحابه أجمعين والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعد:

أيها الإخوة المسلمون: من أعظم ما جعل الله عَزَّوَجَلَّ من صفات الأنبياء (الذكاء)، فكانوا أذكىء حفاظاً، قادرين على قيادة الناس، وعلى المناظرة، وعلى المحاوره، وعلى التعليم، وعلى اتخاذ القرارات الصائبة الصارمة في المواقف الحالكة.

لم يكن نبي من الأنبياء -عليهم أفضل الصلاة والسلام- تغيب عنه الحكمة في المواقف التي يحتاج فيها إليها، مع وحي الله جل وعلا لهم فيما يحتاجون إليه من أمور الأمة.

أيها المسلمون: وقف إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أمام النمرود، فتحدث إبراهيم عن ربه جل وعلا، ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، قال النمرود، ذلك الملك الظالم: ﴿قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨]! ثم دعا رجلين قد حكم عليهما بالقتل، فأمر بأحدهما أن يُطْلَقَ فَأُطْلِقَ وأمر بقتل الآخر فقتل، قال: أنا أحييت هذا وأمّتُ هذا!

فقال إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وقد علم أنه يناظر رجلاً مجادلاً لا نية له في أن يتبع ميزاناً ولا قانوناً يهدي إلى الحق، ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ [البقرة: ٢٥٨]! إذا أنت ربُّ تتحكم في الكون وتفعل ما تشاء، فالوعد غدا صباحاً، الشمس كل يوم تطلع من الشرق، نريدك -يا من تدعي الربوبية- أن تُطْلِعَهَا غدا من الغرب! ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، لم يستطع أن يجادل فقد حاجه إبراهيم.

وأيضاً جاء عن سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه كان قد أوتي ذكاءً وحكمة وفهماً كما أوتي غيره من الأنبياء، ومن ذلك أن امرأتين في عهده عَلَيْهِ السَّلَامُ نزلتا إلى نهر كي تغسلا ثيابهما، وكان مع كل



منها طفل حديث الولادة، فوضعتا ولديهما وتوجهتا إلى النهر، فأقبل الذئب وأخذ ولد واحدة منها ومضى به، فاختلقتا في الولد الباقي، كل واحدة تقول: ولدي.

فاحتكما إلى داود عَلَيْهِ السَّلَامُ، فحكم به للكبرى، ثم احتكما إلى سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ، فلما رأى سليمان أن الكبيرة تبكي وتقول: هذا ولدي، والصغيرة تبكي وتقول: بل هو ولدي، وضعه أمامه ثم دعا بسكين، ووضع طرف السكين على رأسه، قالتا له: ماذا تفعل؟! قال: «أقسمه بينكما»، يفعل ذلك لينظر قلب الأم متى يتحرك، قال: أقسمه بينكما، وإذا بالكبيرة تثبت، وتنفجر الصغيرة باكية وتلقي بنفسها على الغلام وتقول: لا، لا تقتله، أعطه إلى هذه، لا تقتله؛ فعلم أن هذه هي أمه، فحكم به لها.

والقصص في حُكْمِهِ وفيما وهبه الله تعالى من ذكاء، وقصص الحكمة عند غيره من الأنبياء كثيرة متوفرة، فهؤلاء الأنبياء -أيها المسلمون- لهم جلالتهم، وينبغي الاقتداء بهم: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْيِهِمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠]، ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

أيها الناس: كيف يفلح جيل يتخبط في اختيار القدوات بين أهل اللهو والغفلات؟ كيف يترك الاقتداء بأكمل الناس وأفضلهم وخيرهم من أنبياء الله لبيحث عن أراذل الناس فيعظمهم ويتقفى آثارهم؟ هؤلاء أنبياء الله أعطانا الله قصصهم هدية ونعمة وعطية، لتكون لنا مناراً في أزمنة الفتن والتباس الأمور، فعلينا أن نقتدي بهم، وأن نتعلم سيرهم، وأن ندافع عنهم، وأن نعرف لهم مكانتهم وجلالة قدرهم.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجمعنا بأنبيائه في جنات النعيم..



## الرسل والرسالات

## الخطبة الأولى:

• إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى إخوانه من الأنبياء والمرسلين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، ورضي الله عن الصحابة أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا أيها الإخوة المسلمون، ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، وَتَبَصَّرُوا حَقِيقَةَ دِينِكُمْ، وَعُودُوا قَضِيَّةَ إِيمَانِكُمْ الَّذِي بِهِ تَلْقُونَ رَبَّكُمْ.

إن من قضايا العقيدة التي تحتاج إلى تذكير، الإيمان بالرسل والرسالات، والإيمان بالرسل أصل من أصول الإيمان، قال تعالى: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ءَ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ءَ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ءَ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ءَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٤].

والذين يزعمون أنهم مؤمنون بالله ولكنهم يكفرون بأحد من الرسل، أو ينكرون شيئاً مما أنزل الله عليهم، هؤلاء لا يقدر الله حق قدره، كما قال تعالى عن المشركين الذين أنكروا الرسالات: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ءَ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٩١].



وليس من الإيمان في شيء التفريق بين الله ورسله، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ۝١٥٠﴾ [النساء: ١٥٠-١٥١].

فقد نصت الآية على كفر من زعم الإيمان بالله وكفر بالرسول، كما في قوله تعالى: ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ [النساء: ١٥٠]؛ ولهذا قال الإمام القرطبي رَحِمَهُ اللهُ فِي تفسير هذه الآية: (نص سبحانه على أن التفريق بين الله ورسله كفر، وإنما كان كفرا لأن الله فرض على الناس أن يعبدوه بما شرعه على السنة الرسول، فإذا جحدوا الرسول ردوا عليهم شرائعهم، ولم يقبلوها منهم، فكانوا ممتنعين من التزام العبودية التي أمروا بالتزامها، فكان كجحد الصانع سبحانه، وجحد الصانع كفر لما فيه من ترك التزام الطاعة والعبودية، وكذلك التفريق بين الله ورسله).

أيها الإخوة المسلمون: اقتضت حكمة الله تعالى في الأمم الماضية أن يرسل في كل منها نذير، ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤]، ورسالة محمد ﷺ كانت عامة للبشر كلهم، وكانت خاتمة فلا رسالة بعدها.

واقضى عدل الله ألا يعذب أحداً من الخلق حتى يكون البلاغ وتقوم الحجة: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥].

ولهذا كان الأنبياء والمرسلون عدداً كثيراً، وجمّاً غفيراً، عن أبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال قلت: يا رسول الله، كم وفاء عدد الأنبياء؟ قال: «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، المرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جمّاً غفيراً»<sup>(١)</sup>.

وهذا العدد الكبير يجب الإيمان بهم كلهم، وإن لم نعرف منهم إلا القليل، ومحمد ﷺ وهو الموحى إليه من ربه قال الله له: ﴿وَرُسُلًا قَدْ فَصَّصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْضُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٤].

(١) صححه الألباني في تحريج مشكاة المصابيح (٥٦٦٩).

ولم يرد في القرآن الكريم إلا ذكر خمسة وعشرين نبياً ورسولاً، وهؤلاء ذكروا بأسمائهم، وهناك من ذكرت نبوته ولم يذكر اسمه، وهم الأسباط أولاد يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وعددهم اثنا عشر رجلاً، عَرَّفْنَا الْقُرْآنَ بِوَاحِدٍ مِنْهُمْ وَهُوَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أما الأحد عشر فقد أخبر الله أنه أوحى إليهم ويجب الإيمان بما أنزل عليهم، ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ﴾ [البقرة: ۱۳۶].

إخوة الإيمان: ولقد بين العلماء رَحْمَةُ اللَّهِ حَاجَةَ الْعِبَادِ إِلَى الرَّسْلِ وَتَعَالِيمِهِمْ، فقال ابن القيم رَحْمَةُ اللَّهِ: (ومن هنا تعلم اضطراب العباد فوق كل ضرورة إلى معرفة الرسول وما جاء به، وتصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، فإنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح في الدنيا ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسل، ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلا من جهتهم، ولا يُنال رضا الله البتة إلا على أيديهم).

فالطيب من الأعمال والأقوال والأخلاق ليس إلا هديهم وما جاءوا به، فيه الميزان الراجح الذي على أقوالهم وأخلاقهم توزن الأخلاق والأعمال، وبمتابعتهم يتميز أهل الضلال، فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه، والعين إلى نورها، والروح إلى حياتها. إلى آخر كلامه القيم رَحْمَةُ اللَّهِ.

ويفرق ابن القيم في كتابه القيم بين حاجة الأبدان إلى علوم الطب، والأرواح إلى تعاليم الرسل، فيقول: حاجة الناس إلى الشريعة ضرورية فوق حاجتهم إلى كل شيء، ولا نسبة لحاجتهم إلى علم الطب إليها، ألا ترى أن أكثر العالم يعيشون بغير طبيب ولا يكون الطبيب إلا في بعض المدن الجامعة؟ وأما أهل البدو كلهم، وأهل الكفور كلهم، وعامة بني آدم، لا يحتاجون إلى طبيب (في غالب أحيانهم) وهم أصح أبداناً، وأقوى طبيعة ممن هو متقيد بطبيب، ولعل أعمارهم متقاربة.

إلى أن يقول: فليس الناس قط إلى شيء أحوج منهم إلى معرفة ما جاء به الرسول ﷺ والقيام به، والدعوة إليه، والصبر عليه، وجهاد من خرج عنه حتى يرجع إليه، وليس للعالم صلاح بدون ذلك البتة، ولا سبيل إلى الوصول إلى السعادة والفوز الأكبر إلا بالعبور على هذا الجسر. اهـ.



أيها المسلمون: أصلُ بكم إلى بيان وظائف الرسل ومهامهم فتعلموها، ثم اعلّموا بما تطيقون منها، وتنبهوا إلى أن من يقوم بها إنما هو من ورثة الأنبياء، فالأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، وإنما ورثوا العلم.

وأول هذه الوظائف للرسول البلاغ المبين، قال تعالى لنبية ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]، والبلاغ يحتاج إلى الصدق والشجاعة وعدم الخشية من الناس حينما يأمرهم بما يستنكرون، أو ينهاهم عما يألّفون - مما أمر الله به أو نهى عنه - قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَلِغُونَ رِسَالَتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٣٩].

الثاني من وظائف الرسل: الدعوة إلى الله، فلا تقف مهمة الرسل وأتباعهم عند بيان الحق وإبلاغه للناس، بل عليهم دعوة الناس إلى الأخذ بدعوتهم، وترغيبهم في الخير، وتحذيرهم من الشر، وتحقيق هذا الخير في أنفسهم قولًا وعملاً.

وهذا لا شك يكلف الرسل وأتباعهم من الدعاة إلى الله والمصلحين، لكن من يتصدى لإصلاح الناس وتوجيه مسيرتهم وتعريفهم بربهم لا بد له من الصبر والتحمل وأجره على الله، ألا ما أكرم المرسلين وأتباعهم من الدعاة والمصلحين وهم يجهدون أنفسهم في سبيل تقديم الخير للآخرين وإنقاذهم.

وإليكم هذا المثل المعبر عن هذه الحقيقة، فقد جاء أن النبي ﷺ قال: «إني رأيت في المنام كأن جبريل عند رأسي، وميكائيل عند رجلي، يقول أحدهما لصاحبه: اضرب له مثلاً، فقال: اسمع سمعت أذنك، واعقل عقل قلبك، إنما مثلك ومثل أمتك كمثلي اتخذ دارًا، ثم بنى فيها بيتًا، ثم جعل فيها مائدة، ثم بعث رسولاً يدعو الناس إلى طعامه، فمنهم من أجاب الرسول، ومنهم من تركه، فالله هو الملك، والدار هو الإسلام، والبيت الجنة، وأنت يا محمد رسول، من أجابك دخل الإسلام، ومن دخل الإسلام دخل الجنة، ومن دخل الجنة أكل ما فيها»<sup>(١)</sup>.

(١) صحيح الجامع (٢٤٦٥).



ومن وظائف الرسل التبشير والإنذار، فهم يبشرون من أطاعهم بالجنة والمغفرة، ويخوفون وينذرون من عصاهم التعاسة والنار، وليست بشارتهم قاصرة على الآخرة؛ بل يبشرون الهداة الطائعين بالحياة الدنيا ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧]. وفي المقابل يخوفون العصاة المجرمين بالشقاوة في الدنيا قبل الآخرة: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ [طه: ١٢٤].

إخوة الإيمان: تأملوا هذا المثل الذي يوضح حال الدعاة والمدعويين، ويقرب الصورة لأثر الاستجابة لداعي الهوى، وعاقبة الإعراض لمن ضل وغوى، يقول إمام الدعاة محمد ﷺ: «مثلي ومثل ما بعثني الله كمثلي رجل أتى قومًا فقال: يا قوم، إني رأيت الجيش بعيني، وإني أنا النذير العريان، فالنساء النجاء! فأطاعه طائفة من قومه فأدجوا، وانطلقوا على مهلهم فنجوا، وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم، فصبّحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به، ومثل من عصاني وكذب بما جئت من الحق»<sup>(١)</sup>.

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه، أقول هذا القول وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه.

(١) رواه البخاري (٧٢٨٣) ومسلم (٢٢٨٣).



## الخطبة الثانية:

الحمد لله حمد الشاكرين الذاكرين، وأشهد ألا إله إلا الله رب العالمين، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله، وخيرته من خلقه، صلى الله عليه وعلى إخوانه وآله، ورضي عن أصحابه وأتباعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

إخوة الإيـان: اتقوا الله وأطيعوه، واهتدوا بهدي رسوله ولا تخالفوه، واعلموا أن الأجل قصير، والموت قريب، وكل آت قريب.

ثم اعلموا أن من وظائف الرسل عَلَيْهِ السَّلَامُ صلاح النفوس وتزكيتها، وهذه من رحمة الله بعباده أن يجيي نفوسهم بالوحي، وينور بصائرهم بالهدى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: ٥٢].

وتأملوا كيف سمى الله رسالته روحًا، والروح إذا عدم فقدت الحياة، ثم تأملوا -كذلك- كيف يضرب الله المثل ويشبه الوحي المنزل من السماء على أيدي الرسل بالماء الذي ينزل من السماء، فتكون به حياة الأرض، يقول تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَهُ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلَهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ [الرعد: ١٧].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ معلقًا على هذه الآية: (فشبه العلم بالماء المنزل من السماء، لأن به حياة القلوب، كما أن المراد بالماء حياة الأبدان وشبهه القلوب بالأودية لأنها محل العلم، كما أن الأودية محل الماء، فقلب يسع علمًا كثيرًا، وواد يسع ماءً كثيرًا، وقلب يسع علمًا قليلًا، وواد يسع ماءً قليلًا).

وأخبر تعالى أنه يعلو على السيل من الزبد بسبب مخالطة الماء وأنه يذهب جفاءً، أي يرمي به ويختفي، والذي ينفع الناس يمكث في الأرض ويستقر، وكذلك القلوب تخالطها الشهوات والشبهات، ثم تذهب جفاءً، ويستقر فيها الإيمان والقرآن الذي نفع صاحبه والناس (...). إلى آخر كلامه رَحِمَهُ اللهُ.

ومن وظائف الرسل عَلَيْهِ السَّلَامُ كذلك تقويم الفكر المنحرف والعقائد الزائفة، فحين كان الناس على التوحيد الخالص لله، والفترة السليمة التي فطرهم الله عليها، لم يحتاجوا إلى مرسلين عشرة أجيال بعد آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فلما تفرقوا واختلّفوا، ومالوا عن التوحيد إلى الشرك بعث الله فيهم المرسلين لتصحيح عقائدهم، وتقويم ما انحرف من أفكارهم، يقول تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [البقرة: ٢١٣]. أي كانوا أمة واحدة، فلما اختلفوا أرسل الله النبيين مبشرين ومنذرين.

وقد واجه الأنبياء عَلَيْهِ السَّلَامُ مع أقوامهم من الشدة والأذى في سبيل إصلاح معتقداتهم وتقويم ما انحرف من سلوكهم ما الله به عليم، فهذا ينكر عبادة الأصنام ويطلبها بالحجة والبرهان، ونبي آخر ينكر على قومه الاستعلاء في الأرض كما فعل هود عَلَيْهِ السَّلَامُ وثالث ينكر على قومه الفساد في الأرض واتباع المفسدين، كما هو شأن صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ، ونبي يحارب الفواحش التي انتشرت في مجتمعه كما فعل لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ، وخامس يقاوم جريمة التطفيف في المكيال والميزان كما صنع شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثم جاء خاتم المرسلين محمد ﷺ، ليحارب هذه الجرائم كلها، وينكر سائر المنكرات والفواحش التي تقع في الأمة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وما يزال أتباعه من الدعاة والمصلحين يكشفون تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، ويواجهون حرباً ضرورياً من أعداء دعوة الرسل، كان الله في عونهم، حيث لا رسل ولا رسالات بعد محمد ﷺ، فهم نواب الرسل، وليس لهم إلا عون الله، وميزان محمد ﷺ، يتقدمون به ليسقطوا كل راية تخالف هديه، ويكشفوا كل دسيسة تحاول النيل من الدين.

وإن أقل حقوق هؤلاء العلماء، والدعاة والمصلحين علينا أن نناصرهم ونناصرهم وندعو لهم، ونكون وإياهم يداً واحدة في سبيل الدعوة إلى الخير، والتحذير من الشر.

أيها الناس: إن من وظائف الرسل عَلَيْهِ السَّلَامُ إقامة الحجّة على الناس، فلا يعتذر أحد بالجهل، ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

ولهذا تسقط حجة المكذبين وهم يساقون إلى النار سواقاً: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلْتُمْ خَزَنَتَهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ (٨) قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي



ضَلَّلَ كَبِيرٌ ﴿١٠﴾ [الملك: ٨-٩]، ثم يعرفون ويندمون حيث لا ينفع ذلك: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَأَعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحِقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ [الملك: ١٠-١١].

وأخيراً؛ من وظائف الرسل عَلَيْهِ السَّلَامُ سياسة الأمم، فالرسل هم الذين يحكمون بين الناس في حياتهم، ويجب أن يتحاكم الناس إلى هديهم بعد مماتهم: ﴿فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [المائدة: ٤٨]، هكذا قيل لمحمد ﷺ، وقيل لداود عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ [ص: ٢٦].

وهكذا كان أنبياء بني إسرائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ يسوسون بني إسرائيل كلما هلك نبي قام نبي، كما ورد في الحديث عن النبي ﷺ (١).

أما الذين يشرعون للبشر من ذوات أنفسهم، أو يحكمونهم ويتحكمون فيهم بأهوائهم بعيداً عن شرع الله، ويضعون لهم من القوانين الأرضية الوضعية ما أحق وأولى، فهوؤلاء مخطئون في حق أنفسهم، وظالمون لرعاياهم، ومعتدون على حقوق ربهم؛ حيث شرعوا في الأرض ما لم يأذن به، وحكموا عباده بغير حكمه، وعليهم أن يتأملوا قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧].

أيها الناس: من منا يتأمل في سير الأنبياء؟ من منا يقصها ويعلمها لأولاده وأهل بيته؟ من منا يستخلص العبر ويستخرج الفوائد من قصصهم؟ أليس جديراً بنا أن نتعلم سير خير الخلق، لعلنا أن نسلك طريق الحق، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْ لَهُمْ أَقْتَدَهُ﴾ [الأنعام: ٩٠]..

نسأل الله تعالى أن يوفقنا إلى ما يحب ويرضى..



(١) رواه البخاري (٣٤٥٥) ومسلم (١٨٤٢).



### الخطبة الأولى:

الحمد لله على تقديره، وحسن ما صرف من أموره، نحمده سبحانه بحسن صنعه، شكرًا على إعطائه ومنعه، يصير الرزق للعبد وإن لم يشكره، ويستر الجهل على من يظهره، خوفاً من يغفل من عقابه، وأطمع العامل في ثوابه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له خير من يدعى لدى الشدائد ومن له الذكر مع المحامد، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر، قضى بالحق وبه عدل، ربّي فصقل وواعد ففعل، اللهم صلّ وسلم على عبدك ورسولك محمد، وارض اللهم عن خلفائه الأربعة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وعن سائر صحابة نبيك محمد وعن التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فأوصيكم أيها الناس ونفسي بتقوى الله سبحانه فاتقوه وراقبوه وأخلصوا له في السر والعلن، وتزودوا بطاعته فإن خير الزاد التقوى.

أما بعد: يحلو الحديث عن الرجال العظماء من الناس، ولكن الحديث عن هذا الرجل العظيم لا يجاريه أي حديث في روعته وحلاوته والطرب له والشوق إليه، رجل ملاً حبه القلوب، واصطفاه الله على الناس، فجعله أكرمهم وأحبهم إليه، وكان خليل الله، إنه رسول الله.

حديثنا اليوم عن الحبيب الذي تشتاق إليه النفوس، وبذكرة ترق وتلين القلوب، وعند الحديث عنه تطمع النفوس المؤمنة إلى رؤيته والالتقاء به في الجنان، والموعود حوضه الشريف حيث ينتظر المؤمنون، يأتون إليه غراً محجلين عن باقي الأمم كي يشربوا من حوضه الشريف شربه هنيئة لا يظمؤون بعدها أبداً.



هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب من بني هاشم من قريش، أعز الناس نسباً، وأشرفهم مكانة، ولد في بطحاء مكة، فرأت أمه نوراً أضاءت له قصور الشام، نشأ حين نشأ يتيماً، فكفله جده ثم عمه، واسترضع في ديار بني سعد، أرضعته حليلة السعدية، فكانت أسعد الناس به، نزلت الملائكة من السماء فشقت صدره وغسلت قلبه، فنشأ نشأة طهر وعفاف في مجتمع جاهلي يعجب بالشرك والظلم والمنكرات، لم يتجه يوماً بقلبه إلى صنم، ولم يعاقر خمراً، ولم يتسابق كغيره إلى النساء. صادق اللسان، لم يجرب عليه قومه كذبةً واحدة، أمين وأمي أمين.

تزوج في شبابه وقبل مبعثه بأكرم النساء وأحصنهن وأعفهن وأرجحن عقلاً أم المؤمنين خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فأنجب منها جل أبنائه وبناته. حبب الله إليه الخلوة والتعبد لربه بعدما كره بفطرته السليمة ما كان عليه قومه من عبادة الأصنام، فكان يصعد إلى غار حراء، فيمكث به الليالي ذوات العدد ناظراً للكعبة الشريفة والساء.

بشر بقدمه الأنبياء من قبله، وهتفت الجن ببعثته، وامتألت السماء حرساً شديداً وشهباً. بعثه الله للناس على رأس أربعين سنة من عمره حين بلغ أشده واستوى، فلما اقتربت طلوع شمسهِ كان لا يمر بحجر ولا شجر إلا سمع: السلام عليك يا رسول الله، فيلتفت فلا يرى إلا الحجر والشجر، فلما كان ذات ليلة على عادته في الغار وإذا بجبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ يأتيه رسول مرسل من ربه ب ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾﴾ [العلق: ١-٢]، فرجع بها إلى بيته خائفاً يرجف منها فؤاده قائلاً: «زملوني زملوني»<sup>(١)</sup>، فسكبت عليه خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أعذب الكلام وأروعته حتى هدأت نفسه: كلا والله، لا يخزيك الله أبداً؛ إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق.

ثم تتابع الوحي عليه من ربه أمراً له بالدعوة إلى الله، فخرج يدعو سراً من كان يرجو قبول الحق، فلما تكاثر المؤمنون من حوله أتاه الأمر: ﴿فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤]، فلقي منذ ذلك الوقت صنوف الأذى والسخرية والاستهزاء، وتحمل هو ومن معه من المؤمنين

(١) رواه البخاري (٤٩٥٤) ومسلم (١٦٠).



الذين كانوا يزدادون يوماً بعد يوم الشدائد لتمسكهم بالإسلام والمحافظة على هذا الدين العظيم، ثم يموت عمه الذي كان يحوطه ويحميه، وتموت زوجته التي كانت تؤنسه وتواسيه، ليس بينهما إلا أيام قلائل، فاشتد عليه الكرب واستبد به الحزن.

فلما رأى من قومه الصدود والإعراض بدأ بإخراج دعوته خارج مكة، فوصل الطائف ولاقى من أهلها أكثر مما لاقاه من قومه في مكة، فأخذ يعرض دعوته على القبائل حتى هيا الله له نفرًا من أهل المدينة قدموا مكة في الموسم، فعرض دعوته عليهم، فأوقع الله في قلوبهم الإيثار، فاتفق معهم على الهجرة للمدينة وأن ينصروه ويمنعوه مما يمنعون أبناءهم وأهليهم، فكانت تلك الهجرة العظيمة وذلك الحدث التاريخي الذي قلب الأمور على الأرض رأسًا على عقب، وانطلقت دولة الإسلام من المدينة، وبدأ الجهاد لما توافرت أسبابه، فجاهد رسول الله هو وأصحابه بأموالهم وأنفسهم حتى فتح الله له القرى وأمها، ودانت له جزيرة العرب وهابته الأعاجم في ديارها، فكان من آخر أمره حجه بالناس، فنصح وبلغ رسالة ربه حتى حانت ساعة وفاته عليه الصلاة والسلام التي نقف عندها بعد أن نقف على شيء يسير من صفاته وشئله وخصائصه التي خصه الله بها في الدنيا والآخرة.

فإن سألت عن شكل خلقته: كيف كان؟ فإنك تسأل عن القمر ليلة تمامه، فقد كان أجمل الناس وأبهامهم منظرًا، أبيض مُشربًا بحمرة، ربعة من الناس، ليس بالطويل ولا بالقصير، عظيم الهامة، واسع الجبين، مقوّس الحواجب في غير اقتران، طويل الأنف مع صغر أرنبته، له نور يعلوه، كث اللحية، واسع الفم، مفلوج الأسنان، ليس بالنعيف ولا بالسمين، مستوي البطن والصدر، عريض الصدر، بعيد ما بين المنكبين، أشعر الذراعين والمنكبين والصدر، لين الملمس كأن يده الحرير.

يمشي وكأن مشيته في منحدر، إذا التفت التفت بكل جسمه، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، تواضعًا وفكرًا، يمشي وأصحابه أمامه، طويل السكوت، دائم الفكرة، لا يتكلم في غير حاجة، يفتتح كلامه ويختتمه باسم الله تعالى، يتكلم بجوامع الكلم، ولا يضحك إلا تسميًا، لا يتكلم فيما لا يعنيه، يؤلف الناس ولا يفرهم، يتفقد أصحابه ويسأل عنهم، يحلم على الجاهل والسفيه، ويصبر على من يجادته حتى يكون محدثه هو المنصرف عنه، من سأله حاجة لم يردده إلا بها أو بميسور جميل من القول إن لم تكن عنده، قد وسع الناس بسطه وخلقته فصار لهم أبا.



مجلسه مجلس علم وحياء وأدب، لا ترفع فيه الأصوات، ولا تداع فلتاته، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بصخاب ولا فحاش ولا عياب، يبيع ويشترى، يضحك مما يضحك له الناس، ويتعجب مما يتعجبون.

بين كتفيه خاتم النبوة، وهي غدة حمراء بها شعرات مجتمعات، كان شعره إلى أنصاف أذنيه، وعدت شعيراته البيضاء فبلغت عشرين شعرة، وقال عنها: «شيتني هود وأخواتها»<sup>(١)</sup>. يحسبه الرائي له أنه يخضب بالحناء شعره، ولكنه كان وبيص الطيب الذي يضعه، يحب الطيب وأمر بأن لا يُرد الطيب إذا أُهدي.

عاش عيشة الزهد، فلم يشبع من خبز الشعير قط، يمر على بيوته الهلال ثم الهلال ثم الهلال ولا يوقد في بيوت آل محمدٍ نار، ربما وضع حجرين على بطنه ليسكت جوع بطنه. كان يأكل بأصابعه الثلاث ويلعقها إذا انتهى بأدب. أحب من الطعام الدباء والخلوى والعسل، وكان لا يذم طعامًا قط.

قسم وقته داخل بيته ثلاثة، فقسم لله، وقسم لأهله، وقسم لنفسه، وقسم الذي لنفسه ما بينه وبين الناس. كان يباح أصحابه ولا يقول إلا حقًا، وكان يسمر مع نسائه ويحدثهن ويحدثنه فيستمع إلى أحاديثهن.

كان راجح العقل، صادق الفراسة، ثابتًا في الشدائد، صابرًا في البأساء والضراء وحين البأس، حليماً وقوراً وقياً للعهد والناس، يصفح ويعفو عمن أساء له، فعفا عمن سحره، وعفا عمن دس له السم، وصفح عن أهل مكة. كان وسطاً يحب الاعتدال، كريماً سخياً كالريح المرسلة.

أيها المؤمنون: ولقد انفرد نبيكم عن إخوانه من الرسل والأنبياء والناس أجمعين بخصائص في الدنيا والآخرة لم تكن لغيره كرامة وتشريفاً لهذا النبي الكريم.

منها: أن الله أخذ العهد والميثاق على الأنبياء من قبله على الإيمان به ونصرته والبشارة به. ومنها أن رسالته كانت للناس كافة وكانت رسالة من قبله من الأنبياء لأقوامهم خاصة.

(١) صححه الألباني في تحريج مشكاة المصابيح (٥٢٨٣).



ومنها أنه خاتم الأنبياء والمرسلين وكانت رسالته رحمة للعالمين، ومنها أنه النبي الوحيد الذي خاطبه الله بوصف النبوة والرسالة، فكان القرآن ينزل بـ ﴿يَأْتِيهَا النَّوِيُّ﴾ [الأنفال: ٦٤] و﴿يَأْتِيهَا الرَّسُولُ﴾ [المائدة: ٤١]، ونادى بقية الأنبياء بأسمائهم.

ومن خصائصه عليه الصلاة والسلام: أن جعل الله له ولأمته الأرض مسجداً وطهوراً، ونُصر على أعدائه بالرعب، وغفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. كانت معجزات الأنبياء من قبله وقتيةً تنتهي بموتهم وكانت معجزته خالدة إلى يوم الدين: القرآن الكريم.

تفرد عن بقية الأنبياء بالإسراء والمعراج حتى أذناه الله منه في سدره المنتهى.

خصه الله يوم القيامة فأعطاه الله الوسيلة والفضيلة والمقام المحمود، وهو مقام الشفاعة العظمى للخلائق عند ربهم حتى يفصل فيهم، ويشفع لأمته حتى يبلغوا ثلثي أهل الجنة.

أكرم الله أمته كرامة له، فكانت خير الأمم أخرجت للناس، وأحل الله لها الغنائم، ووضع عنها الآصار والأغلال التي كانت على من قبلهم، وتجاوز عنهم الخطأ والنسيان وما استكروها عليه، وحفظ هذه الأمة من الهلاك والاستئصال، وجعلها أمة لا تجتمع على ضلالة، وأعطاهم الله الأجر العظيم على العمل القليل، ويأتون يوم القيامة غراً محجلين من أثر الوضوء، ويسبقون الأمم إلى الجنة.

أظهر الله على يديه من المعجزات ما يبهر العقول، ففلق له القمر فلقتين، وتكلمت الحيوانات بحضرته، وسبح الطعام بين يديه، وسلم عليه الحجر والشجر، وتكاثر له الطعام والشراب كرامة، وأخبر بالمغيبات، فما زالت تتحقق في حياته وبعد وفاته.

فاللهم اجز نبينا عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء وأوفره، اللهم وآته الوسيلة والفضيلة والدرجة العالية الرفيعة، وأوقفه المقام المحمود الذي وعدته، إنك لا تخلف الميعاد.

عباد الله: استغفروا ربكم يغفر لكم، إن ربكم لغفور رحيم.



## الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم صل عليه وعلى آله وصحبه وأتباعه إلى يوم الدين.  
أما بعد: فاتقوا الله أيها المسلمون، واعلموا أن الدنيا ليست بدار قرار.

أيها المسلمون: لقد عاش نبيكم ثلاثاً وستين سنة، قضى منها ثلاثاً وعشرين في النبوة والرسالة والبلاغ والإنذار والجهاد، فلما أتم الله الدين وكملت الرسالة بدأت الإشارات بدنو ساعة رحيل الحبيب، فكان أول هذه الإشارات نزول قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وقول الحق تبارك وتعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١]، وكان يقول في حجة الوداع: «خذوا عني مناسككم؛ علي لا أحج بعد عامي هذا»<sup>(١)</sup>، وكان يخبر الناس بعد حجة الوداع: «إن عبداً خيره الله بين الدنيا وبين لقاء ربه فاختر لقاء ربه»<sup>(٢)</sup>.

في العام الحادي عشر من الهجرة الشريفة وفي غرة شهر ربيع الأول رجع النبي من البقيع فدخل بيته ووجد أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تشكي رأسها وتقول: وارأساه، فيقول لها النبي: «بل أنا وارأساه يا عائشة»<sup>(٣)</sup>، فكان بداية مرضه وجعا في رأسه الشريف، ثم بدأت به الحمى، وأخذت تشتد عليه حتى بلغت منه مبلغاً عظيماً، فكان يصب عليه من سبع قرب من الماء ليبرد، وكانت توضع على جسده الشريف القطيفة فيجد اللامس حرارته من فوقها، وكان من شدتها بعد ذلك أن كان يغمى عليه المرة تلو المرة وهو يحاول القيام للصلاة بالناس فلا يستطيع، فيأمر صاحبه في الغار أن يصلي بالناس، فلما روجع في اختياره لأبي بكر لرقه أبي بكر في الصلاة أصر عليه الصلاة والسلام على إمامته للناس. واستأذن في أثناء ذلك من جميع زوجاته أن يبيت ويمرض في بيت عائشة فأذن له.

(١) صحيح النسائي (٣٠٦٢).

(٢) رواه البخاري (٣٩٠٤).

(٣) حسنه الألباني في تحريج مشكاة المصابيح (٥٩١٧).



صلى الناس في أحد أيام مرضه الظهر فوجد رسول الله خفة فخرج للمسجد، وكاد الناس أن يفتنوا في صلاتهم حينما رأوا نبيهم وحببيهم يخرج إليهم، فتأخر أبو بكر وتقدم رسول الله ليكمل الصلاة بالناس، فكان يصلي جالساً وأبو بكر يقتدي به والناس يقتدون بأبي بكر.

واشتد المرض عليه، وكان يقول: «ما زلت أجد ألم الطعام الذي أكلت بخير، فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم»<sup>(١)</sup>، وكان يدخل عليه العارفون بالطب فلم يجدوا له علاجاً، وكانت عائشة تأخذ يده الشريفة لتضعها بالماء ثم تضعها على وجهه الشريف رجاء بركتها.

وفي مرض موته عليه الصلاة والسلام كان يوصي بآخرو وصاياه للأمة من بعده، فأوصى الأمة بالصلاة، وأوصى الرجال خيراً بالنساء، وأوصى أن لا يجعل قبره وثناً يعبد، وأن لا تتخذ القبور مساجد.

وفي صلاة الفجر من يوم الاثنين الذي مات فيه كشف الستار الذي على الحجرة ونظر إلى جموع المسلمين من أمته صفوفاً خلف أبي بكر، فتقر عينه بهذا المنظر الذي كان ثمرة ثلاث وعشرين سنة من الدعوة والجهاد.

وفي ساعته الأخيرة يدخل عليه عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما وفي يده سواك، فجعل النبي يطيل النظر إلى السواك ولا يستطيع الحديث، فتفهم عائشة رضي الله عنها مراده وتأخذ السواك من أخيها فتقضمه ثم تلينه بفمها له ثم تعطيه إياه، فجعل يستاك به كأحسن ما يكون لآخر مرة في حياته، وكان يشتد عليه الألم فيقول: «لا إله إلا الله، إن للموت لسكرات»<sup>(٢)</sup>، ثم سمعت منه عائشة رضي الله عنها وهو واضع رأسه الشريف على صدرها وهو يقول: «بل الرفيق الأعلى»، فكان آخر ما نطق به وخرجت روحه الشريفة الطاهرة إلى روح وريحان ورب راضٍ غير غضبان، ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً ﴿٢٨﴾ فَأَدْخِلِي فِي عِبْدِي ﴿٢٩﴾ وَأَدْخِلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر: ٢٧-٣٠].

(١) رواه البخاري (٤٤٢٨).

(٢) رواه البخاري (٤٤٤٩).



ومات نبي الله، وهو في حُضن أم المؤمنين عائشة، بين سحرها ونحرها، مات رسول الله، وبموته انقطع الوحي من السماء، وما إن علم الناس حتى طاشت منهم العقول، ودُهلت منهم الأبواب. فيخرج عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يهدد ويتوعد كل من يقول إن رسول الله قد مات، رافضاً وجدانه تصديق خبر موته، ولكن يصل أبو بكر الصديق وكان في ناحية من المدينة، ويدخل حجرة عائشة حيث رسول الله مسجى، فيكشف عنه ويقبله ويبكي قائلاً: أما الموتة التي كتبت عليك فقد ذقتها، والله لن يجمع الله عليك موتتين أبداً، ثم خرج للناس وهم في هياج وحيرة، فحاول إسكات عمر فلم يستطع، فتوجه بكلامه للناس، كلاماً لا يصدر إلا من أبي بكر في مثل هذه المواقف: «أيها الناس، من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت»، ثم تلا على مسامعهم قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإَيْنَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنُصِّرَنَّ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، يقول عمر بعد ذلك: «وكأني أسمع هذه الآية لأول مرة». فعقر عمر مكانه، وسقط حتى لم تستطع رجلاه أن تنهض به.

ودفن عليه الصلاة والسلام في المكان الذي توفي فيه في حجرة عائشة، وهكذا تدفن الأنبياء، وأخذ الناس يدخلون عليه جماعات يصلون عليه، تقول فاطمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا لأنس بن مالك بعدما فرغوا من دفنه عليه الصلاة والسلام: «يا أنس: أطابت أنفسكم أن تحثوا التراب على رسول الله؟!». تحثوا التراب على رسول الله؟!». .

يقول أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «والله ما هو إلا أن دفنا رسول الله حتى أنكرنا نفوسنا».

أيها المسلمون: تلکم لمحّة عن الحبيب المصطفى، ألا وإن في القلوب لهيب الشوق إليه، لا يطفئه إلا لقاءه على الموعد في جنات عدن، فنسأ الله بأسمائه الحسنی وصفاته العلی أن لا يجرنا رؤيته ولقاءه والشرب من حوضه يا رب العالمين.

أيها المسلم المحب لرسول الله، الحريص على اتباعه، والاقتراء به، والاهتداء بهديه وسنته وآدابه وأخلاقه، هنيئاً لك ذلك، فليس من يقتدي بخير الناس كمن يقتدي بغيره، لقد اختار الله لك خير قدوة وأعظم أسوة، فهل ترضى به بديلاً؟ وهل تستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير؟ كلا، حاشاك.



وأبشرك بقول حبيبيك: «المرء مع من أحب»<sup>(١)</sup>، أي: يُحشر مع من أحب ويكون معه يوم القيامة، ولكن ذلك الحب وحده لا يكفي، وتلك العاطفة وحدها لا تبلغ المقصود، ولكن هذا الحب يجب أن يترجم إلى تعظيم لسنة الحبيب والعمل بها واتخاذ أسوة حسنة في أقوالنا وأفعالنا، في غدونا ورواحنا، في يسرنا وعسرنا، في منشطنا ومكرهنا، في رضانا وغضبنا. نسأل الله أن يوفقنا لاتباع سنة نبيه، وأن يرزقنا شفاعته، وأن يسقينا من حوضه شربة هنيئة لا نظماً بعدها أبداً..



(١) رواه البخاري (٦١٦٩) ومسلم (٢٦٤٠).



## قصة نوح عَلَيْهِ السَّلَام (١)

### الخطبة الأولى:

الحمد لله خلق النفوس فألمها فجورها وتقواها، وأرشدنا إلى هداها، وحذرنا من رداها، أحمده سبحانه وأشكره، شكر من عرف نعمه فرعاها، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له رضيت به رباً وإلهاً، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبد الله ورسوله، أرفع الخلق قدراً، وأعظمهم جاهاً، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

أيها الناس: اتقوا الله، واعرفوا ما منّ به عليكم من النعم الكثيرة، فلقد أرسل الله لعباده رسلاً يبشروهم وينذروهم ويرشدوهم لأفضل الطرق وأحسن السبل، ولقد جعل الله هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس، فأرسل إليها خير رسوله، وأنزل عليها أحسن كتبه، وهو القرآن الكريم الذي نهل منه وتعلم، أنزله لنا لكي نعتبر ونتذكر ونعرف سنن المرسلين وما حلّ بأقوامهم، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧].

ربنا تعالى أكثر من قصص القرآن تثبيتاً لقلب النبي، وأمره أن يقص القصص ليتفكر فيها كفار قريش وغيرهم لعلهم يتوبوا إلى ربهم ويعودوا إلى رشدهم، قال تعالى: ﴿فَأَقْصِصْ أَلْقِصَّصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٦]. ولقد أخبر الله نبيه بأنه لم يقصص عليه جميع قصص الأنبياء: ﴿وَرُسُلًا قَدْ فَصَّصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصِصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٤].

(١) عبدالرحمن القايدى.



وأول الرسل الذين أرسلهم الله إلى الأرض نبي الله نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، أرسله الله إلى الأرض بعد أن انتشرت عبادة الأصنام، وحدث التبديل والتحريف في الدين، وانقلب الناس من عبادة الله وحده إلى عبادة الأولياء والطواغيت، وعظمت الضلالة والكفر، علما بأنهم كانوا مسلمين، فعن عكرمة قال: (كان بين آدم و نوح عشرة قرون كلهم على الإسلام).

فبدأ نوح يدعو، واجتهد في دعوة قومه إلى توحيد الله تعالى، ولكنهم كانوا معاندين، يرفضون حتى السماع له، ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا﴾ [نوح: ٥-٦]. ولقي عَلَيْهِ السَّلَامُ منهم الأذى، وصبر عليهم صبرا عظيما، ولم يلق منهم سوى التكذيب والسخرية، ولبث يدعوهم ألف سنة إلا خمسين، فلم يستجب لدعوته إلا القليل، بل إن زوجته وابنه لم يؤمنا به، وكانوا يتواصلون جيلا بعد جيل ويتواصلون بعدم الإيمان به ومحاربتة ومخالفتة، وكان الوالد إذا بلغ ولده أو صاه أن لا يؤمن بنوح ما عاش أبدا، فكانت طبائعهم تأبى الإيمان واتباع الحق، ولهذا قال: ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فِجْرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٧].

ولما طال عليهم الزمن أخبره الله بأنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن، وأمره بأن يصنع الفلك أي: السفينة، فكان قومه يمرون عليه ويسخرون منه؛ كيف يصنع سفينة في البر؟!، قال تعالى: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ [هود: ٣٨].

ثم ازداد طغيانهم وتحديهم لنوح، ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَدَدْتَنَا فَأَكَرْتَجِدَلْنَا فَإِنَّا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [هود: ٣٢]، عند ذلك أدرك نوح استفحال الشر منهم وما هم عليه من الضلالة والجحود، والتجأ إلى الله وهددهم وأنذرهم، فلما أدرك أنه لن يؤمن منهم أحد دعا عليهم: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦]، طلب من الله استئصالهم.

وتأملوا في الجانب الآخر عن النبي الذي سماه ربه رؤوفا رحيمًا محمد، حينما آذاه قومه وأهانوه كما ذكرت أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد؟ قال: «لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي،

فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلم علي، ثم قال: يا محمد، فقال: ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين»، فقال النبي: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً»<sup>(١)</sup>. الله أكبر! ما أرحمه من نبي! فلقد تمثل القرآن، وكان خلقه القرآن كما وصفته أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

معاشر المسلمين، وبعد أن صنع نوح الفلك وحمل فيها من كل زوجين اثنين كما أمره ربه، قال له ربه بعد ذلك إذا حل بهم بأسه الذي لا يرد عن القوم المجرمين أن لا يعاوده فيهم أو يراجعه، فإنه لعله تدركه رقة على قومه عند معاينة العذاب النازل بهم؛ ولهذا قال: ﴿وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ [هود: ٣٧].

وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ﴾ [هود: ٤٠] ومعنى التنور هنا عند جمهور المفسرين: وجه الأرض. وقد ذكرت قصة نوح في أكثر من تسع سور من القرآن، وبعد أن دعا عليهم قال تعالى: ﴿فَفَنَحْنَا أَسْمَاءَ بِمَاءٍ مُّهِمِرٍ﴾<sup>(١١)</sup> وَفَجَرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ<sup>(١٢)</sup> وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ<sup>(١٣)</sup> تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرًا<sup>(١٤)</sup> وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مَّدَكِرٍ<sup>(١٥)</sup> فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرٍ﴾ [القمر: ١١-١٦].

الله أكبر! السماء أصبحت أبواباً فتحت بماء منهمر شديد، والأرض تفجرت عيوناً، فأصبح الوضع رهيباً مخيفاً. وأهلك الله قوم نوح، كبيرهم وصغيرهم، ذكرهم وأنثاهم، ولم ينج إلا أصحاب السفينة التي كنت تجري تحت عناية ورعاية المولى تعالى. نفعني الله وإياكم بالقرآن والسنة..

(١) رواه البخاري (٣٢٣١).

الخطبة الثانية:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:  
فاتقوا الله عباد الله، واعتبروا بما قص الله عليكم، فإنما قص الله علينا هذه القصص لنعبر  
ونحذر من الغفلة والبعد عن الله والإصرار على المعاصي التي وقعوا فيها،  
فيصينا ما أصابهم.

فهكذا دمر الله كل الكفرة الذين على وجه الأرض من قوم نوح وغيرهم: قال تعالى:  
﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَسْمَأُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا  
لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [هود: ٤٤] أي: لما فرغ من أهل الأرض وأبادهم ولم يبق بها أحد من عبد غير  
الله عَزَّوَجَلَّ أمر الله الأرض أن تبتلع ماءها، وأمر السماء أن تقلع أي: تمسك عن المطر، ﴿وَوَغِيضَ  
الْمَاءِ﴾ [هود: ٤٤] أي: نقص عما كان، ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ [البقرة: ٢١٠] أي: وقع بهم ما قدره الله  
وسبق في علمه من الإغراق والتدمير.

﴿ قِيلَ يَا نُوْحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ وَأُمَّمٌ سَنُنَتِّعُهُمْ ثُمَّ يُمَسِّحُهُمْ  
مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [هود: ٤٨]، هذه أوامر لنوح عَلَيْهِ السَّلَامُ لما نضب الماء على وجه الأرض وأمكن  
السعي فيها أن يهبط من السفينة التي كانت قد استقرت بعد سيرها على ظهر جبل الجودي،  
وهو جبل بأرض الجزيرة، أي: اهبط بسلام مبارك عليك وعلى أمم سوف يولدون من  
أولادك، فإن الله لم يجعل لأحد ممن كان معه من المؤمنين نسلا سوى نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال تعالى:  
﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُرًّا بَالِقِينَ ﴾ [الصفات: ٧٧]، فكل من على وجه الأرض اليوم من سائر الأجناس  
من بني آدم ينسبون إلى أولاد نوح الثلاثة وهم: سام وحام ويافت..

أحبتني في الله: هذه من القصص التي استضاء بها النبي وتعزى بها، فكانت له هداية  
وتشبيها وتذكيرا، ﴿ وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقِّ  
وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [هود: ١٢٠]، فكل القرآن لنا عبرة وتبصرة كما قال تعالى: ﴿ فَاعْتَبِرُوا  
يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴾ [الحشر: ٢].



إن سنن الله تعالى لا تحابي ولا تجامل أحدًا، وإن الأمم السابقة ما أهلكتها إلا عتوها وطغيانها، واتباع شهواتها وأهوائها، فهلا اعتبرنا؟ هلا اتعظنا وتذكرنا؟ ﴿إِنَّمَا يَنْذَرُكُمْ﴾ [الرعد: ١٩].

إن المتأمل في سير الأقاليم والشعوب والمجتمعات والأفراد، يدرك أنه ما نزل بلاء على الفرد أو الجماعة إلا بذنب ولا رفع إلا بتوبة، فتوبوا إلى الله، فقد تهلك الجماعة بالذنوب إذا كثرت الخبث، تواصلوا بالحق والصبر والرحمة، وتعاونوا على البر والتقوى، وأصلحوا قلوبكم، وزكوا نفوسكم، فقد أفلح من تزكى.

اللهم آت نفوسنا تقواها، زكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها..





## إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَام (١)

## الخطبة الأولى:

• إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُونُ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ءِالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

أيها الأحبة: وقفنا لهذه الجمعة، سوف تكون مع خليل الله، أبي الأنبياء إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَام. ولد إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَام كما ذكر ابن كثير بأرض بابل، وكانت ولادته بعد أن بلغ والده من العمر خمسًا وسبعين سنة، وكان اسم والده أزر، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَأَزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءِالِهَةً ۗ إِنَّي أَرِنَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٧٤]. وكان مولد خليل الرحمن، إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَام، في عهد النمرود، وكان النمرود حاكمًا مستبدًا جبارًا، كانت رعيته تتقلب في دياجير الجهل وظلمات الضلالة، كما كانوا يعبدون الحجارة الصماء، والتماثيل السكماء. وقد استخف النمرود بقومه، فنصّب نفسه إلهًا لهم، ودعا الناس إلى عبادته، فأطاعوه.

(١) ناصر الأحمد.

وفي هذه البيئة الفاسدة، ولد إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ. وكان أبوه آزر، من ألد أعدائه، وكذلك كان أقرباؤه وأشقاؤه وأترابه وهذا يعني أنه كان غريباً بين أهله وذويه، ولما شب إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، تزوج بامرأة تسمى سارة، وكانت من أجمل النساء، لكنها كانت عقيماً لا تلد. وقد عُرف إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، منذ نعومة أظفاره بصائب رأيه، وثاقب فكره، ووقفه الله أن أدرك الوحداية، وأن الله واحد أحد، ليس له شريك في الملك، وألقى الله في قلبه كره الأصنام، التي كان يعبدها قومه، لأنها لا تجلب لهم نفعاً ولا تدفع عنهم ضرراً.

عباد الله: ابتعث الله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بالرسالة، وهو في بابل، فقام بالواجب الذي أمره الله به خير قيام، وصبر على الأذى والابتلاء، وقابل التهديد والوعيد، بعزيمة أشد رسوخاً من الجبال، وعندما تأكد من إعراض قومه عن دعوته، هاجر في أرض الله الواسعة، يبذر بذور الإيمان في كل أرض تطوَّها قدماه، فاستحق بصبره ورأيه، أن يكون أباً للأنبياء، وإماماً للأتقياء، وقدوة للموحدين الأمناء.

أيها المسلمون: ونظراً لأهمية الدور الذي قام به إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقد ذكرت قصته في خمس وعشرين سورة، وفي ثلاث وستين آية من القرآن.

عباد الله: إن البيئة التي نشأ فيها إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، سيطر عليها تعدد الآلهة، ونُصبت فيها التماثيل لعبادتها، لذلك عزم إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، على هداية قومه، وتخليصهم من هذه الأباطيل، وهذا ما يذكره الله لنا بقوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُمْ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأنبياء: ٥١-٥٦].

كان تعليل هؤلاء القوم لعبادتهم الأصنام، هو أنهم وجدوا آباءهم عابدين لها فاقتدوا بهم، وهذا هو التقليد الأعمى الذي حذر منه القرآن الكريم، فإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، أراد أن يحرر قومه من عبادة الأصنام، وما يستتبع ذلك من الاعتقاد بالخرافات والأساطير، قال تعالى: ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾

﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾  
 وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خِطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿الشعراء: ٧٥-٨٢﴾.

هذا هو إيمان إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ يا عباد الله، إنه إيمان المستسلم لربه بكل جارحة من جوارحه، إنه الإيمان الذي ينزع من النفس همومها وأحزانها، ويسبغ عليها طمأنينة وسعادة، إنه الإيمان الذي يخلص النفس من الاستسلام للخرافات، فلا رازق ولا شافي، ولا محيي، ولا مميت، ولا غافر للذنوب إلا الله رب العالمين.

أيها المسلمون: كان والد إبراهيم في مقدمة عابدي الأصنام، بل كان ممن ينحتها ويبيعها، وقد عزَّ على إبراهيم فعل والده وهو أقرب الناس إلى قلبه، فرأى من واجبه أن يخصه بالنصيحة، ويحذره من عاقبة الكفر. ولكن بأي أسلوب خاطب إبراهيم أباه؟ لقد خاطبه بلهجة تسيل أدباً ورقة، مبيناً بالبرهان العقلي بطلان عبادته للأصنام، قال تعالى: ﴿وَأذْكَرٌ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنْتَهَ لِأَرْجَمْنَاكَ وَهَجَرْنَا مِنَّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلِّمْ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعِزَّنَا لَكُمْ وَمَا نَدْعُونَكَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَادْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي سَاقِيًّا ﴿٤٨﴾﴾ [مريم: ٤١-٤٨]. هذا كلام يهز أعطف السامعين انظر كيف استهل إبراهيم كلامه عند كل نصيحة، بقوله: ﴿يَا أَبَتِ﴾، توسلاً إليه واستعطافاً لقلبه، مع استعمال الأدب الجم.

ومن ناحية أخرى يحاول إبراهيم أن يكسر بذلك الأسلوب الجذاب، حدة أبيه، حتى يستطيع أن يبلغه رسالة الله، وهذا أمر معلوم، فإن غالب الآباء هداهم الله، لا يمكن أن يقبل شيئاً من ولده لأنه يرى أنه أقل منه، وأنه خرج أساساً من صلبه، فلا يمكن أن يصل إلى مستواه، وهذا الذي كان يفكر فيه والد إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولا شك أن هذا، تفكير غير صحيح، فقد يكون الوالد صالحاً، ويخرج أولاده على غير صلاح الأب، والعكس أيضاً أمر وارد، فيكون الولد مهتدياً بنور الله عَزَّوَجَلَّ والأب يعيش، في ظلمة الجهل والهوى، كما كان حال



إبراهيم مع أبيه، فحاول إبراهيم أن يقيم الحجة على أبيه وهو هادئ غير ثائر، بعد أن ناداه بذلك الأسلوب الموجب للحنان والعطف، ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ [مريم: ٤٢]. كيف تعبد يا أبت إلهًا لا يسمعك إذا ناديت، ولا يبصرك إذا اقتربت منه، ولا يجلب لك نفعًا أو يدفع عنك مكروهًا. ﴿يَتَأْتِبُنِي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعُلَمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبَعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ٤٣]. لم يبدأ إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، حواراً مع أبيه، بالحديث عن غزارة علمه، وقوة حجته، وشدة ذكائه، كما أنه لم يصف أباه بالجهل، ولو قال ذلك لكان صادقاً، وهذا ما يجب أن يتنبه إليه الأبناء، وهم يواجهون من هم أكبر منهم، سواء كانوا الآباء، أو من القرابات والأرحام، فإن طبيعة النفوس لا تقبل النصيحة ممن هو أصغر منها، ولو كان على علم ودراية.

لكن كيف كانت مقابلة الوالد لولده إبراهيم لم يتقبل النصيحة، وصار يُهدد إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِنْ عَلَّمْتُ ابْنِي فَلْيُكَلِّمْهُمْ لِنِ لَمْ يَكُنْ لَكَ لِحْمٌ مِنْ لَحْمِي وَلَا يَكُنْ لَكَ عِظٌ مِنْ عِظِي وَلَا يَكُنْ لَكَ سُلْبٌ مِنْ سُلْبِي﴾ [مريم: ٤٦]. لئن لم تنته يا إبراهيم عن ضلالك، وتعود عن باطلك، لأرمنك بالحجارة، وما عليك الآن إلا أن تخرج من داري وتعتزل مجالسي.

وهكذا طرد إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، من منزل أبيه، لأن ذلك الوالد، لم يرد الهداية، ولا يريد أن يكون ولده محافظاً على أوامر الله عَزَّوَجَلَّ أمامه، والأب يخالف الله، فأفضل حل أن يطرده ولا يراه أمامه.

بماذا قابل إبراهيم معاملة أبيه القاسية؟ لم يقابل والده إلا بقوله ﴿سَلِّمْ عَلَيَّ﴾ [الأنعام: ٥٤]. كما قال تعالى: ﴿قَالَ سَلِّمْ عَلَيَّ سَأَسْتَغْفِرَ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ [مريم: ٤٧]، أي لن يصلك مني أي مكروه، ولن ينالك مني أذى، بل أنت سالم من ناحيتي، وفوق كل هذا، سادعو الله أن يغفر لك، مع أنك عاص له، بالأ يعاقبك.

عندها خرج إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ من عند أبيه، واعتزل القوم كلهم، كما قال سبحانه: ﴿وَأَعْتَرُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ [مريم: ٤٨]. اعتزل إبراهيم أباه وقومه، فكان لا يحضر في أفراحهم ولا أعيادهم ولا ندواتهم، ومع ذلك كان يدعو لأبيه في ظهر الغيب، عسى الله أن يهديه، ولكن هذه الدعوة لم تستمر،



فبعد أن علم أن أباه لا يمكن أن يهتدي، وأنه سوف يلقي الله عَزَّوَجَلَّ وهو كافر، أمره الله عَزَّوَجَلَّ أن يتبرأ منه، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ١١٤].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم..



### الخطبة الثانية:

الحمد لله أولاً وآخراً، والشكر له باطنًا وظاهرًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمدًا عبد الله ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعد:

أيها المسلمون: بعد ذلك، عزم إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، على تحطيم أصنام القوم، ورأى أنها هي الطريقة العملية، لإقامة الحججة عليهم، بأن هذه الأصنام لا تضر ولا تنفع، فالبرهان العملي له في النفس البشرية وقع كبير، هو أشد أثرًا من الوعظ والإرشاد.

تحين إبراهيم الفرصة المناسبة لتحقيق ما عزم عليه، حتى كان يوم عيد عندهم، خرج معهم إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثم انتهز فرصة غفلتهم، ورجع أدراجه نحو المكان الذي فيه أصنامهم، وكان قد صمم على تحطيمها، وصل إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى الهيكل الذي أقيمت فيه أصنامهم، وكان بعضها إلى جانب بعض، يتصدرها كبيرها، ورأى أمامها ما تركه القوم، قربانًا لها من الطعام والشراب، لتأكله في زعمهم، فخاطبها إبراهيم ساخرًا، ألا تأكلون، فلما لم يجبه أحد، قال: ما لكم لا تنطقون، ثم انحنى عليها ضربًا بيده فكسرها كلها بفأس كان معه، وجعلها قطعًا صغيرة، أما الصنم الكبير فأبقاه ولم يكسره، وهو أكبر الآلهة عندهم، وعلق الفأس بيده ثم غادر الهيكل، قال سبحانه: ﴿فَنَوَلُّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿١٠﴾ فَرَاغَ إِلَيْهَا الْهَمِيمُ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿١١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ﴿١٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿١٣﴾ [الصفات: ٩٠-٩٣]، وجاء في آية أخرى: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُدُودًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [الأنبياء: ٥٧-٥٨].

فإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، أراد بتحطيمه لهذه الأصنام أن يقيم دليلًا حسيًا لقومه، على بطلان عبادة الأصنام، فلو كانت آلهة حقيقة لدافعت عن نفسها.

رجع القوم بعد أن احتفلوا بعيدهم، فرأوا ما حل بأصنامهم، فراعهم ذلك، وتساءلوا فيما بينهم عن الفاعل الذي نال من مقدساتهم، فقال بعضهم: سمعنا فتى يذكر هذه الأصنام بسوء



يسمى إبراهيم، كان من عادته أن يعيها ويستهزئ بها، وهو الذي نظنه فعل بها هذا الفعل.  
 وصل الخبر إلى الحكام، فقالوا لجنودهم: أحضروه لنحاكمه على مشهد من الناس، جيء  
 به عليه الصلاة والسلام، فسأله الحكام ﴿أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِعَاهِلَتِنَا يَا بَرَّهَيْمُ﴾ [الأنبياء: ٦٢]،  
 عندها وجد إبراهيم الفرصة سانحة ليلبغ قومه ويوصلهم إلى الحقيقة، فقال: ﴿فَسَأَلُوهُمْ إِنْ  
 كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٣]، عندها أدرك القوم، فأطرقوا رؤوسهم من الخجل، لكنهم  
 بكفرهم وعنادهم عادوا إلى مجادلة إبراهيم قائلين، إنك تعلم أن هذه الأصنام لا تتكلم،  
 فكيف تطلب منا أن نسألها، عندها برزت حجة إبراهيم مدوية مجلجلة، تفرع آذانهم، في مثل  
 قوله تعالى: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ [٦٦] ﴿أَفِ لَكُمْ  
 وَإِلْمًا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٦، ٦٧].

وبعد ما رأى القوم أنه لا يمكن مناظرة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بالحجة، استخدموا القوة معه،  
 فأصدروا حكمهم عليه بالموت حرقاً، كما قال تعالى: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا إِلَهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ  
 فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٦٨]، وهذا هو سلاح أهل الباطل، الذي يلجئون إليه دائماً في كل عصر،  
 فأجمع القوم على إحراقه بالنار، ولكن أي نار، بنوا بنياناً شاهقاً، ووضعوا فيه كميات كبيرة  
 من الحطب، شارك القوم كلهم في جمعها، قال تعالى: ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾  
 [الصافات: ٩٧]، قال ابن إسحاق: (وجمعوا من الحطب، شهراً ثم أوقدوها، فاشتعلت النار  
 واشتدت حتى إن الطائر ليمر بجنباتها فيحترق من شدة وهجها، وعندما أرادوا حرق  
 إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، لم يستطيعوا الاقتراب من النار لشدة حرها، فوضعوه في المنجنيق، وألقوه من  
 بعيد مكتفياً مغلولاً).

وفي تلك اللحظات كان إيمان إبراهيم بربه أشد رسوخاً من الجبال الرواسي، وكان ثقته  
 بنصر الله وتأييده أقوى من الأرض ومن عليها، ولهذا لم يكثر لجماهيرهم المحتشدة،  
 ونيرانهم الملتهبة، وكلماتهم النابية. عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «كان آخر قول إبراهيم حين  
 ألقى في النار: حسبي الله ونعم الوكيل»<sup>(١)</sup>. وقالها أيضاً رسولنا محمد ﷺ، حين قالوا:

(١) رواه البخاري (٤٥٦٤).



﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (١٧٣) فَأَنْقَلَبُوا  
بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّهُمْ سُوءٌ ﴿[آل عمران: ١٧٣-١٧٤]. وكذلك إبراهيم انقلب بنعمة  
من الله وفضل لم يمسسه سوء.

فوالله إنها لكلمة نافعة في مواقف الضيق وعندما يشتد الكرب بالمسلم، لو قالها من قلب  
صادق موقن بنصر الله عَزَّوَجَلَّ حسبنا الله ونعم الوكيل. عندها نزلت رحمة الله عَزَّوَجَلَّ على نبيه:  
﴿قُلْنَا يَنْزَارُ كُوفِي بَرْدًا وَسَلَّمًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩]، فسُلبت النار الخاصية التي أعطها الله  
عَزَّوَجَلَّ وهي الإحراق، لتكون بأمره عَزَّوَجَلَّ بردًا وسلامًا: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ،  
كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

خرج خليل الرحمن من النار سليماً معافى، وقومه يشاهدونه ولا يتعظون، لأن الله قد كتب  
عليهم الهلاك بكفرهم وعنادهم.

﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٠].

ومن سنن الله أن ينصر رسله إذا بلغت الشدة بهم متتهاها، ويخذل أعداءه قال تعالى:  
﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوْا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مِنْ نَّشَأٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا  
عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [يوسف: ١١٠].

أيها المسلمون: نود أن نقف وقفه بسيطة، مع حرق نبي الله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بالنار، فنختار  
لكم قصة الوزغ. روى البخاري في صحيحه، عن سعيد بن المسيب، عن أم شريك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا،  
أن رسول الله ﷺ أمر بقتل الوزغ وقال: «كان ينفخ على إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ»<sup>(١)</sup>. وفي رواية أن  
امرأة دخلت على عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فإذا رمح منصوب، فقالت: ما هذا الرمح؟ فقالت تقتل به  
الوزغ، ثم حدثت عن رسول الله ﷺ: «أن إبراهيم لما أُلقي في النار، جعلت الدواب كلها  
تطفئ عنه إلا الوزغ، فإنه جعل ينفخها عليه»<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه البخاري (٣٣٥٩).

(٢) صحيح الترغيب (٢٩٧٩).

سبحانك يا رب، أي دين أعظم من هذا الذي هديتنا إليه ورزقتنا اتباعه، أية مشاركة وجدانية، تلك المشاركة التي أوجدها الإسلام بين أفرادهِ. منذ آلاف السنين، وكلما رأى المسلمون وزغاً سارعوا إلى قتله، لأنه كان ينفخ النار على أبنينا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولأن عدو إبراهيم عدو لكل مسلم، وسيبقى المسلمون على ذلك، حتى يرث الله الأرض ومن عليها، كالجسد الواحد، شعورهم واحد، مهما اختلفت أقطارهم وأمصارهم، وألوانهم وبلدانهم، بعضهم أولياء بعض.

عباد الله: هل هناك قصص أحسن من قصص القرآن؟ وهل هناك أنفع مما ذكره الله من قصص أنبيائه في غابر الأزمان؟ وإن قصة خليل الرحمن من أعظم القصص عبراً وفكراً، ومن أكثرها فوائد وفرائد، فتأملوها وربُّوا أنفسكم وأولادكم وأهليكم على أخلاق الأنبياء، وشيائل الأولياء، وسيروا على ملة إمام الحنفاء، الذي جعله الله للناس إماماً، والذي سماكم المسلمين من قبل، فلا ترتضوا لأنفسكم تسمية سواها، ولا صبغةً غيرها، ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَكِيدُونَ﴾ [البقرة: ١٣٨].

علموا أبناءكم الثبات على الحق في زمن الفتن، كما ثبت الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ، واصبروا على الشدائد كما صبر أولو العزم من الرسل الكرام، ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى ﴿ [يوسف: ١١١].





## إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ (١)

## الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ءِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] ﴿يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

أيها المسلمون: نقف اليوم معكم حول مواقف من قصة خليل الرحمن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ. أيها الناس: من معالم صبر إبراهيم عليه الصلاة والسلام وثباته وصدقه مع نفسه أنه حرر العقل وتحرى الحق، واتبعه وثبت عليه رغم وقوف جميع الناس ضده، وحارب الشرك فكسر الأصنام وحطمها جميعها إلا كبيرهم، علم القوم بأن إبراهيم هو الذي فعل هذا أجمعوا على حرقه عليه الصلاة والسلام بالنار، فأوقدوا له تلك النار العظيمة وألقوه فيها، ولكن رحمة الله عَزَّوَجَلَّ وقدرته على كل شيء سلب النار خاصية الإحراق، فكانت بردًا وسلامًا على إبراهيم المؤمن الصابر المتوكل على الله، الذي لا يرهب سواه.

(١) ناصر الأحمد.



خرج عليه الصلاة والسلام من النار سالمًا معافي والقوم ينظرون إليه عندها أيقن القوم أنهم عاجزون عن قتل خليل الرحمن أو حتى زحزحته عن عقيدته التي يدعو إليها، وعندها وقف طاغوتهم النمروذ حائرًا لا يدري ماذا يفعل بعد أن عجزت نيرانهم المتأججة عن التهام ظفر من أظفار إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، أو حتى حرق قطعة صغيرة من ملابسه.

وأيقن إبراهيم عليه الصلاة والسلام أن جذور الشرك عميقة وعميقة جدًا في قلوب قومه وعقولهم، لقد أقام عليهم الحجج الدامغة، ورأوا معجزات تبهر العقول فما زادهم ذلك كله إلا إصرارًا على الباطل وإعراضًا عن الحق ولم يعد ينفع معهم أو فيهم النصح والموعظة، إذًا لا فائدة من بقاء إبراهيم عليه الصلاة والسلام في أرض جرداء قاحلة لا تمسك ماء ولا تنبت كلاً، وبين قوم يستعجلون عذاب الله ويزهدون برسله وأنبيائه، عندها جاء أمر الله سبحانه وتعالى وأمره بالهجرة، أمر إبراهيم عليه الصلاة والسلام بأن يهاجر ومن معه من المؤمنين إلى الأرض المباركة كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ (٧٠) وَبَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَدَرْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ (٧١) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ (٧٢) وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴿ [الأنبياء: ٧٠-٧٣].

هاجر الخليل عليه الصلاة والسلام كما هاجر نوحٌ قبله وكما هاجر محمدًا ﷺ بعدهما، أخرج البخاري في صحيحه من حديث أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وعن أبيها: «أن ورقة بن نوفل قال لرسول الله ﷺ: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعًا، ليتني أكون حيًّا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: أو مخرجي هم، قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك لأنصرنك نصرًا مؤزرًا» (١).

تخلّى إبراهيم عليه الصلاة والسلام عن وطنه وعن مسقط رأسه وملاعب صباه كما تخلّى عن أقرب الناس إليه من أهله وقومه، وفر بدينه عليه الصلاة والسلام في أرض الله الواسعة وليس معه من المسلمين إلا ابن أخيه لوط عليه الصلاة والسلام وزوجه سارة، وهؤلاء

(١) رواه البخاري (٣).

الثلاثة إبراهيم ولوط وسارة هم جماعة المسلمين في ذلك الوقت، وليس على وجه الأرض من يذكر الله تعالى غيرهم.

وفي هذا عبرة يا عباد الله لمن يعول على الكثرة، ويقول بأن المسلمين قلة، وأن أعداءهم كثير، فهذا عذر غير مقبول في حقل العمل الإسلامي، فهناك مواطن قاساها الأنبياء والصالحون، كان أهل الإسلام فيها أفرادًا وبقية أهل الأرض على الشرك، فإبراهيم عليه الصلاة والسلام، خرج من قومه وليس معه إلا زوجه وابن أخيه فصار يتنقل بأرض الله تعالى داعيًا إلى الله غير مكترث بالقلّة، فهذا هو الواجب على كل مسلم، سار إبراهيم عليه الصلاة والسلام ومن معه حتى وصلوا إلى أرض حرّان في بلاد الشام، وكان أهلها يعبدون الكواكب من دون الله، فدعاهم إبراهيم عليه الصلاة والسلام إلى توحيد الله وعدم الإشراك به فلم يستجيبوا له، وبعد أن مكث في حرّان ما شاء الله له أن يمكث، رحل بعدها إلى أرض بيت المقدس وما والاها ثم ارتحل بعد ذلك إلى مصر.

وهناك جرت له قصة مع ملك مصر وقد ذكر هذه القصة الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى في صحيحه عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَطُّ إِلَّا ثَلَاثَ كَذِبَاتٍ: ثَنَيْنِ مِنْهَا فِي ذَاتِ اللهِ، قَوْلُهُ: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩]، وَقَوْلُهُ: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ [الأنبياء: ٦٣]، وَوَاحِدَةً فِي شَأْنِ سَارَةَ، فَإِنَّهُ قَدْ قَدِمَ أَرْضَ جَبَارٍ وَمَعَهُ سَارَةُ، وَكَانَتْ أَحْسَنَ النِّسَاءِ، فَقَالَ لَهَا -إِبْرَاهِيمُ يَقُولُ لَزَوْجَتِهِ سَارَةَ-: «إِنْ هَذَا الْجَبَارُ - هَذَا الْمَلِكُ الْكَافِرُ الطَّاعِيَةُ فِي هَذَا الْبَلَدِ- إِنْ يَعْلَمُ أَنَّكَ امْرَأَتِي يَغْلِبُنِي عَلَيْكَ، فَإِنْ سَأَلَكَ فَأَخْبِرِيهِ أَنَّكَ أَخْتِي، فَإِنَّكَ أَخْتِي فِي الْإِسْلَامِ، فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ مُسْلِمًا غَيْرِي وَغَيْرِكَ، فَلَمَّا دَخَلَ أَرْضَهُ رَأَى بَعْضَ أَهْلِ الْجَبَارِ، أَتَاهُ -هَذَا الْقَرِيبُ لِلْجَبَارِ أَتَى الْجَبَارَ- فَقَالَ لَهُ: لَقَدْ قَدِمَ أَرْضُكَ امْرَأَةٌ لَا يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تَكُونَ إِلَّا لَكَ، فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهَا، فَأَتَى بِهَا، فَقَامَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الصَّلَاةِ، فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ لَمْ يَتِمَّ لَكَ أَنْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَيْهَا، فَقَبِضَتْ يَدَهُ قَبْضَةً شَدِيدَةً، فَقَالَ: ادْعِي اللَّهَ أَنْ يُطَلِّقَ يَدِي وَلَا أَضْرِكَ، فَفَعَلْتُ، فَعَادَ، فَقَبِضَتْ أَشَدَّ مِنَ الْقَبْضَةِ الْأُولَى، فَقَالَ لَهَا مِثْلَ ذَلِكَ، فَفَعَلْتُ، فَعَادَ، فَقَبِضَتْ أَشَدَّ مِنَ الْقَبْضَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ، فَقَالَ: ادْعِي اللَّهَ أَنْ يَطْلُقَ يَدِي، فَلِكِ اللَّهُ أَلَا أَضْرِكَ، فَفَعَلْتُ وَأَطْلَقَتْ يَدَهُ، وَدَعَا الَّذِي جَاءَ بِهَا، فَقَالَ لَهُ: إِنَّكَ إِنَّمَا أَتَيْتَنِي



بشيطان، ولم تأتني بإنسان، فأخْرِجْهَا من أَرْضِي وأَعْطِهَا هَاجِرًا، قال: فأقبلت تمشي، فلما رآها إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ انصرف، فقال: مَهَيِّمٌ؟ قالت: خيرًا، كَفَّ اللهُ يَدَ الْفَاجِرِ، وأَخْدَمَ خَادِمًا قال أبو هريرة: فتلك أمكم يا بني ماء السماء»<sup>(١)</sup>.

مكث إبراهيم عليه الصلاة والسلام في مصر ما شاء الله له أن يمكث، ثم غادرها راجعًا إلى أرض بيت المقدس ومعه من الأنعام والعييد والمال ما لا يحصى، ونعم الله سبحانه وتعالى التي أنعمها على إبراهيم عليه الصلاة والسلام تذكرونا بهجرة المسلمين إلى الحبشة وما لاقوه عند النجاشي من إكرام وحرية وأمن مما دعا الصحابي الجليل عبد الله بن الحارث بن قيس أحد المهاجرين إلى القول برسالة بعثها إلى إخوانه المقيمين في مكة يقول فيها رَضِيَ اللهُ عَنْهُ :

«يا رَاكِبًا بَلَّغْنِي عَنِّي مَغْلَفَةً      من كان يرجو بلاغ الله والدين  
كل امرئ من عباد الله مضطهد      ببطن مكة مقهور ومفتون  
إننا وجدنا بلاد الله واسعة      تنجي من الذل والمخزاة والهون  
فلا تقيموا على ذل الحياة وخزي      في الممات وعيب غير مأمون»

ما أشد بعد المصلحين اليوم في فهم معاني هذه الآيات والتأسي بإبراهيم عليه الصلاة والسلام في هجرته وغرْبته عن وطنه وأهله، لقد كانت الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى في غربة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ عن وطنه وأهله هي من أهم القضايا التي عاجلها كتاب الله سبحانه وتعالى، فلم يتعلق قلبه عليه الصلاة والسلام بالأرض التي ولد فيها ولا على التراب الذي نشأ فيه، فكيف بنا يا عباد الله ويا دعاة الإسلام لو فارق الشخص الوطن الذي يحنو إليه لعارض مؤقت جلس يكتب الرسائل والقصائد التي تعبر عن حبه لوطنه وحنينه إليه، وإن العقيدة عند الأنبياء أهم من التراب والطين والوطن، وأعلى من الأهل والعشيرة والقوم، فثقتهم بالله سبحانه وتعالى أقوى من أن تزعزعها الأهواء والمحن وما يغلق في وجوههم في أرض يفتح سبحانه وتعالى لهم في أرض أخرى، قال عز من قائل في هذا المقام: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١٠٠].

(١) رواه البخاري (٣٣٥٨).

أيها المسلمون: عاد إبراهيم عليه الصلاة والسلام من مصر إلى أرض فلسطين ومعه زوجته والحارية هاجر وكانت نفس إبراهيم عليه الصلاة والسلام ترغب في ولد، فدعى الله سبحانه وتعالى أن يهبه ولدًا صالحًا كما قال سبحانه: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصفات: ١٠٠]، وكان زوجه سارة شعرت بما يجول في خاطر زوجها فقالت له: إن الله حرمني الولد فأرى أن تتزوج جاريتي هاجر لعل الله أن يرزقك منها ولدًا وكانت سارة قد تقدمت في السن وكانت عقيمًا لا تلد ولا يرجى أن ترزق بولد.

تزوج إبراهيم عليه الصلاة والسلام بهاجر فولدت له إسماعيل، وبعد أن رزق إبراهيم بإسماعيل بدأت سارة تحس أن هاجر تنية عجبًا وتعتر بهذا الولد مما أثار الحسرة والغيرة في نفس سارة فطلبت من إبراهيم عليه الصلاة والسلام إقصاءهما عن وجهها.

استجاب إبراهيم عليه الصلاة والسلام إلى رغبتها لأمر يريده الله سبحانه وتعالى فأوحى الله إلى إبراهيم أن يأخذهما ويذهب بهما إلى مكة، وكان إسماعيل يومئذٍ رضيعًا، اصطحب إبراهيم الغلام وأمّه هاجر وسار بهما سيرًا طويلًا، إلى أن أمره الله سبحانه وتعالى بالتوقف في أرض خلاء بعيدة عن العمران في المكان الذي سبيني فيه البيت الحرام. أنزل إبراهيم هاجر وطفلها في المكان المقفر الذي ليس فيه ماء ثم تركها وقفل راجعًا، تبعته هاجر عليها الصلاة والسلام وهي ملتاعة وقالت: إلى أين تذهب؟ ولمن تتركنا في هذا الوادي الموحش المقفر؟ وهو يمضي في سبيله لا يلتفت إليها، عندئذٍ قالت: الله أمرك بهذا؟ قال: نعم قالت: إذا لا يضيعنا الله عزَّوجلَّ ثم رجعت إلى المكان الذي وضعها إبراهيم فيه مع ولدها.

انطلق إبراهيم عليه الصلاة والسلام وقلبه منقطرٌ أسىً على فراق زوجته وولده لكن مشيئة الله عزَّوجلَّ فوق مشيئة العبد فاستسلم لربه وقفل راجعًا وهو يبتهل لربه ويدعوا بهذه الكلمات التي قصها الله علينا في كتابه ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْنِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ (٣٧) رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعَلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿ [إبراهيم: ٣٧-٣٨].



بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من المواعظ والذكر الحكيم،  
أقول ما سمعتم وأستغفر الله العلي العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه  
إنه هو الغفور الرحيم.

## الخطبة الثانية:

الحمد لله.. الحمد لله رافع السماء وبانيها، وساطح الأرض وداحيها، وجاعل الجبال أوتادًا في أركانها ونواحيها، أحمده سبحانه وأتوب إليه وأستغفره.. أنعم علينا نعمًا لا نحصيها، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها.. وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبد الله ورسوله بشير البشرية ونذيرها وهاديها، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه.. رفعوا رايات الملة حتى علت مبانيها، والتابعين ومن تبعهم بإحسان ما تعاقبت الأيام بلباليها، وسلم تسليًا كثيرًا.

أما بعد:

أيها المسلمون: امتثلت هاجر إلى أمر الله عَزَّوَجَلَّ وتحلت بالصبر ومكثت تأكل من الزاد وتشرب من الماء الذي تركه لها إبراهيم عليه الصلاة والسلام إلى أن نفذ كله، فعطشت وعطش ابنها معها وجعلت تنظر إليه وهو يتلوى من الظم، لم تحتمل هذا المشهد المؤلم وهبت قائمة، وسارت هائمة على وجهها، تعدو وتهول وتكاد تفقد وعيها، صعدت هاجر مكائنًا مرتفعًا يعرف بالصفاء، فنظرت لعلها ترى ماءً، فلم تر شيئًا، فهبطت وسعت سعي الإنسان المرهق، حتى أتت مكانًا مرتفعًا آخر يعرف بالمروة فنظرت فلم تر شيئًا ثم رجعت إلى الصفاء فنظرت فلم تر شيئًا فعلت ذلك سبع مرات، ثم لما أشرفت أخيرًا على المروة، سمعت صوتًا فتلفتت فإذا بملك من الملائكة عند موضع بئر زمزم، فبحث بجناحه حتى ظهر الماء وقيل في رواية أخرى أن إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يفحص بقدميه الأرض فنبع الماء من تحتها والله أعلم بالصواب وكله حاصل بأمر الله عَزَّوَجَلَّ وإرادته.

رأت هاجر هذا المشهد المثير فغمرها الفرح والسرور ثم جعلت تغرف من الماء وتسقي ولدها وتروي نفسها، ولما نبع الماء اجتذب الطير إليه وكان قوم من قبيلة جُرهم يسرون قرب هذا المكان فرأوا الطير تحوم حوله ثم سأل بعضهم بعضًا: إن هذا الطير ليحلق على ماء فهل علمتم أن بهذا الوادي ماءً قالوا: لا، فأرسلوا أحدهم يستطلع الخبر فرجع يزف إليهم بشرى وجود الماء فجاؤوا إلى هاجر فقالوا: لو شئت كنا معك نوانسك، والماء ماؤك، فرحبت



هم، فاستوطنوا بجوارها حتى شب إسماعيل عليه الصلاة والسلام ثم تزوج بعد ذلك بامرأة جرمية وتعلم العربية منهم.

أيها المسلمون: ترك إبراهيم عليه الصلاة والسلام ولده إسماعيل في مكة، ولكنه لم ينسه ولم يغفل عنه بل كان يزوره من حين إلى آخر، وفي إحدى هذه الزيارات رأى إبراهيم عليه الصلاة والسلام في منامه أن الله يأمره بذبح ولده إسماعيل، ورؤيا الأنبياء حق يا عباد الله لأنها بمثابة الوحي من الله، لذلك عزم إبراهيم على تنفيذ أمر الله ولم يثنه عن عزمه أن إسماعيل ابنه الوحيد وأنه أصبح في سن الشيخوخة، وهذا ما يقصه الله علينا في كتابه بقوله تعالى: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَأَمَّا بَلَّغَ مَعَهُ السَّعَىٰ فَكَالِ يَبْتُنَىٰ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَأَنْظِرْ مَاذَا تَرَىٰ ۗ قَالَ يَا بَتِ أَيْمَنُكَ مَا تَأْمُرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَدَيْنَاهُ أَنِ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّكَ هَذَا لَهُوَ الْبَلْتَأُ الْمُئِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَّمَ عَلَيْنَا مِنْ إِزْهِيمٍ ﴿١٠٩﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [الصافات: ٩٩-١١٢].

أي امتحان يا عباد الله أصعب من هذا، يؤمر خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام بذبح ولده وكان وحيد آنذاك، إن هذا أيها الأخوة من أعظم الحوادث وأجلها في تاريخ التضحيات، وبالأخص إذا نظرنا إليهما من الزوايا التي أحيطت بهذه التضحية بإبراهيم عليه الصلاة والسلام الحريص على الذرية والذي رزق ولدًا في سن الشيخوخة، هذا الولد الذي هو مهجة قلبه وأمل حياته ووارث اسمه يأمره الله أن يضحي به ليمتحن إيمانه ويرى مبلغ استجابته لأمره سبحانه وتعالى ودرجة طاعته حدث إبراهيم ولده في هذا الشأن الخطير ويكاد قلبه لينخلع من الحزن فيجيبه إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ بقوله: ﴿يَدَّابَّتْ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الصافات: ١٠٢].

إن اللسان أيها الأخوة ليعجز عن وصف مضمون هذا القول الذي يتمثل فيه الرضا التام بتضحية النفس في سبيل الله تضحية من وجهين تضحية الوالد بولده وتضحية الابن بنفسه، هذه هي أرفع صور الإيمان وأجلها في تاريخ الإنسانية، فليس الإيمان يا عباد الله ادعاءات

تلوكها الألسن، وليس الإيمان تسليية للأحزان لفترة ما، وليس الإيمان نظرية من النظريات يغوص العقل في كشف خفاياها، بل الإيمان هو إيثار ما يجب الله على ما تهواه النفس، الإيمان هو الاندماج الكلي في إرادة الله سبحانه وتعالى التي تتركز في العمل بوصايا الله وأوامره، والتضحية بكل غالٍ ونفيس في سبيله.

ما أحوجنا إلى هذا الدرس في هذا الزمن الذي أصبح فيه المال والولد والزوجة يستأثرون بحب الإنسان الذي يؤثرهم على ما يحبه الله ويرضاه، وما أحقر الإنسان يا عباد الله إذا تعلق بزينة الحياة الدنيا الفانية وترك الحقيقة الخالدة التي هي مصدر وجوده ومصدر استمرار حياته.

فهل خاب إبراهيم حينما أثر ما يحبه الله على ما تحبه النفس؟ كلا، بل كل من تاجر مع الله رجع بأربح صفقة، فلقد أراد الله بهذا الاختبار والامتحان الصعب أن يخلص إبراهيم من كل شيء يتعلق به قلبه سوى ربه، ليرفعه لمنزلة الخُلَّة، ﴿وَأَتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥]، وهكذا كل من ترك شيئاً لأجل الله أسرع إليه العوض من الله بأكثر مما ترك، ومن ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه، وهو أكرم الأكرمين سبحانه.

وفوق هذا فقد رزق الله نبيه إبراهيم الذرية الصالحة التي كان يتمناها، فرزقه إسماعيل من هاجر، ومن سارة إسحاق، وجعل في ذريته النبوة والكتاب، فما من نبي بُعث بعد إبراهيم عليه الصلاة والسلام إلا كان من ذريته، وما من كتاب نزل من السماء إلا نزل على نبي من نسله وعقبه، سواء من بني إسرائيل الذي هو يعقوب بن إسحاق، أو على نبينا ﷺ الذي هو ابن إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

أيها المسلمون: ومرة قدم إبراهيم يوماً إلى مكة وأتى بيت إسماعيل فلم يجده، ووجد امرأته، وكانت تجهل أنه والد زوجها فسألها إبراهيم عن إسماعيل فأخبرته أنه خرج يصطاد ثم سألها عن حالهم فقالت: نحن في شدة وضيق وشكت إليه سوء الحال ثم قال لها إبراهيم: هل عندك ضيافة من طعام وشراب فقالت: لا، ليس عندي. ولما لقي منها إبراهيم من البخل والتسخط وعدم الرضا بقسمة الله سبحانه وتعالى قال لها: إذا جاء زوجك فاقريه السلام وقولي له فليغير عتبة بابه.



انطلق إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وجاء الزوج وكأنه أنس أن أمرًا حدث خلال غيابيه فقال: هل جاءكم أحد؟ فقالت نعم جاءنا شيخ كبير صفته كذا وكذا وسألني عنك فأخبرته، فقال لها: هل أوصاك بشيء؟ قالت: نعم، أمرني أن أقرأ عليك السلام، وطلب مني أن أقول لك أن تغير عتبة بابك، فقال إسماعيل: ذاك هو أبي وقد أمرني أن أفارقك فالحقني بأهلك.

ثم طلقها عليه الصلاة والسلام، وتزوج امرأة أخرى، غاب إبراهيم عن إسماعيل بعض الزمن ثم أتاه بعد فترة فلم يجده كذلك، ووجد امرأته الجديدة، فاستقبلته ورحبت به، فسألها إبراهيم: هل عندك ضيافة قالت: نعم فضيفته وأكرمته ثم سألتها عن حالهم فقالت: نحن بخير وسعة والحمد لله، وأثنت على الله سبحانه وتعالى، فقال لها إبراهيم: إذا جاء زوجك فاقريه السلام، وقولي له أن يثبت عتبة بابي.

ثم انصرف عليه الصلاة والسلام، رجع إسماعيل بعد زمن إلى منزله في المساء فأخبرته زوجته بمجيء شيخ كبير في غيبته ووصفت له هيئته وأخبرته بوصيته له فقال لها إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ: إنه أبي وقد أمرني أن احتفظ بك وأن لا أفارقك، فلازمها إسماعيل طوال حياته وكانت أمًا لأبنائه.

واعلموا رحمكم الله أن الله أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه وثنى فيه بملائكته المسبحة بقدهس وثلاث بكم أيها المؤمنون من جنه وإنسه فقال عز من قائل عليم حكيم: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر وارض اللهم عن خلفائه الأربعة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وعن سائر الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وعنا معهم بعفوك ومنك وكرمك وجودك وإحسانك يا أرحم الراحمين اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين واحم حوزة الدين وانصر عبادك الموحدين اللهم آمنا في أوطاننا وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا واجعل اللهم ولايتنا فيمن خافك واتقاك واتبع رضاك يا أرحم الراحمين واغفر اللهم للمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات إنك سميع قريب مجيب الدعوات ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.



عباد الله: إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر  
والبغي يعظكم لعظكم لتذكرون وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها  
وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً إن الله يعلم ما تصنعون.





## قصة إبراهيم وابنه إسماعيل عَلَيْهِمَا السَّلَامُ (١)

### الخطبة الأولى:

الحمد لله باري البريات، غافر الخطيات، عالم الخفيات، المطلع على الضمائر والنيات، أحمدُه حمد مُعترفٍ بالتقصير، وأستغفرُه استغفارَ مُذنبٍ يخافُ عذابَ السعير، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أحاطَ بكل شيءٍ علماً، ووسِعَ كلَّ شيءٍ رحمةً وحِلماً، وأشهد أن نبينا وسيدنا محمداً عبده ورسوله نبي الرحمة الداعي إلى سبيل ربه بالحكمة، صلى الله وسلّم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، وسلّم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيا أيها الناس.. اتقوا الله؛ فإن تقواه أفضلُ مُكتسب، وطاعته أعلى نسب، ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونُ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

### أيها المسلمون:

في سير السابقين عظةٌ وهداية، وفي قصص الأنبياء عبرةٌ ودلالة، وما أحوج الأمة إلى النظر في تلك القصص والأنباء؛ لتكون علماً ومانراً، ومحجّةً وإسفاراً، ﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَحْنُ بِهٖ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقِّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ١٢٠].

وقصةُ أبي الأنبياء وإمام الحنفاء إبراهيم ﷺ، أشرف أولي العزم بعد نبينا وسيدنا محمد ﷺ، قصةٌ مجللةٌ بالآيات والعظات، مكلمةٌ بالعبر والدلالات، إبراهيم الخليل الذي جعلت الإمامة مُتصلةً بسببه، وباقيةٌ في نسبه، وخالدةٌ في عقبه، لا ينالها الظالمون من ذريته.

ومن خصائصه وفضائله: خلعةٌ سنينةٌ لا تُضاهى، ومرتبةٌ عاليةٌ لا تُباهى، وخصوصيةٌ فريدةٌ لا تُسامى، فكلُّ كتابٍ أنزل بعده من السماء على نبيٍّ من الأنبياء فذلك النبيُّ من ذريته وسلالته، قال جل في علاه: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ [العنكبوت: ٢٧].

(١) لم تتمكن من معرفة صاحب الخطبة، وهي من أفضل الخطب في هذا الباب.



ولما كَبُرَ إبراهيمُ وعَقَمَت سارة اشتدَّت لوعَةُ الوحدةِ ومرارةُ الوحشةِ؛ فدعا إبراهيمُ رَبَّهُ أن يَهَبَ له عَقِيْبًا صالحًا، فدخل - بمشورة سارة - على هاجر الأمانة المؤمنة، فأنجبت له إسماعيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ومن هذا الفرع الشريف والعُصْن المُنِيف خَرَجَت الجوهرةُ الباهرةُ والدُّرَّةُ الزاهرةُ وواسطةُ العقدِ الفاخرةُ، وُوِلِدَ خيرُ أهلِ الأرضِ على الإطلاقِ، وسيدُ ولدِ آدمَ باتفاق: نبيُّنا وسيدُنا محمدٌ ﷺ، الذي اختارَه رَبُّه واصطفاه، ولم يُوجِد نبيًّا من سُلالةِ إسماعيلِ سِواه.

ودبَّت الغيرةُ في نفس سارة، وتشعَّبَ لُبُّها، وثارَ حُرْجُها وشجَنُها، وتمنَّت على إبراهيمَ أن يذهبَ بهاجر وابنها إلى حيث لا تراهما، فركبَ إبراهيمُ بهما يطوي المراحلَ، ويحدو الرواحلَ، حتى جاء - بأمر رَبِّه - موضعَ البيتِ الحرامِ في موطنٍ مُقفِرٍ هواءً، ومكانٍ خلاءً، وبلادٍ جرداء، وواديٍّ مُوحشٍ ليس به زرعٌ ولا ضرعٌ، ولا أنيسٌ ولا حسيسٌ، فتركها هناك لا يملكُ سوى جرابٍ به قليلٌ من الغذاء، وسِقَاءٍ به يسيرٌ من الماء.

فتبعته أمُّ إسماعيلِ فقالت: يا إبراهيم! أين تذهبُ وتركننا في هذا الوادي؟ إلى من تتركنا؟ فقال إبراهيم: إلى الله، قالت: رضيتُ بالله. وفي لفظٍ: قالت: إذا لا يُضيِّعُنَا.

يا لها من عقيدةٍ صادقةٍ تُوقظُ الضمائرَ، وتُرهِفُ المشاعرَ، استسلمت لقضاء الله وخضعت لحُكمه، وانقادت لأمره بلا تردُّدٍ ولا تعنُّت، وفوضت أمرها، وألجأت ظهرها، ووجهت وجهها إلى الحيِّ الذي لا يموت.

فلتأخذ المرأةُ المسلمةُ اليوم من هاجر المؤمنة نبراسًا في الاتباع، وقُدوةً في الانقياد، وأُسوةً في الصبر والثبات.

وانحدرَ إبراهيمُ مُفارقًا حُشاشةَ نفسه، مُودِّعًا قطعةَ قلبه، مُستسلمًا للقضاء، صابرًا على البلاء، داعيًا دعاءَ الموقنِ بإجابة الدعاء: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

ومكثت هاجرٌ تُعالجُ القضاءَ المحتومَ، فنقدَ زادها وجفَّ ضرعُها، حتى لا تجد لابنها ماءً يُبَلُّ صداه، ولا لبنًا تتندى به شفتاه، في مخمصةٍ مُقسِعة، ومسعبةٍ مُعطبة، فهاجها التباغُ طفلها،



## قصة إبراهيم وابنه إسماعيل عَلَيْهِمَا السَّلَامُ

ونحيبٌ صغيرها، وهو يتلو ويقلب، ويفحص الأرض برجليه، ويضرب الصلط بقدميه، كأنه ينشط للموت.

فانطلقت كراهية أن تنظر إليه - وقد تقطعت نياط قلبها -، فقامت على الصفا واستقبلت الوادي لعلها ترى أحداً، ثم استبتنت الوادي ورفعت درعها، وسعت جهدها، حتى أتت المروة فقامت فوقها، ونظرت لعل أحداً يأتي نحوها.

فلما أتمت سبعاً بين الصفا والمروة إذا هي بصوتٍ، فنادت نداء اللهبان، واستغاثت استغاثة الظمان: أغث إن كان عندك غوث، أغث إن كان عندك غوث.

فإذا هي بجبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، فيحث بعقبه الأرض، فانبثق الماء وفار، وتفجر نبع زمزم وحرار.

والله لا يضيع من اتقاه، ولا يُحيب من رجاه.

فرحم الله ضعفها، وفرج كربها، وأنبع الأرض تحتها، فجعلت نحوضه بيديها وتعرفه بكفيها، وتسقي وليدها، وتملأ سقائها. فقال رسول الله ﷺ: «يرحم الله أم إسماعيل؛ لو تركت زمزم - أو لو لم تعرف من زمزم - لكانت زمزم عيناً معيناً»<sup>(١)</sup>.

وها هي زمزم تسقي - بأمر ربها - الحجيج، وتطفئ لب الأجاج، ويسمع لها ثجيج، خير ماء وجد على وجه الأرض، يقول فيها رسول الله ﷺ: «إنها لمباركة، هي طعام طعم، وشفاء سقم»<sup>(٢)</sup>.

وحلق الطير فوق الماء، وحوم حول الرّواء، وصفق بجناحيه في السماء، فرأته رُفقة من جرهم مُقبلين من طريق كداء، فأقبلوا يستأذنونها في النزول بجوارها والإقامة في ناحيتها، فآلقت ذلك أم إسماعيل وهي تحب جنسها، وأذنت لهم حتى أضحو أنسها، وتوافدت أبيات منهم عليها، وهو أفدّة من الناس إليها، ونشأ إسماعيل بين ولدانهم، وتكلم بلسانهم، ونطق بعربيّتهم، وأنفسهم فقرّبوه، وأعجبهم فزّوجوه.

(١) رواه البخاري (٣٣٦٤).

(٢) صحيح الجامع (٢٤٣٥).



ثم فُجِعَ إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ بموت أمه الصابرة، وانتقال هاجر إلى الدار الآخرة، بعد أن أرضعته جميل الشائل والخصال، وبأدرته بالتأديب حتى بلغ مبلغ الرجال. وتربية الأولاد هي مهمة المرأة العظيمة، ووظيفتها الأولى، ومتى ضيَّعت ضاعت الأمة وأجياؤها، وفسدت أوضاعها وأحوالها.

وكان إبراهيم ينفذ إلى ابنه لمامًا، ويتفقده أحيانًا، تُهيجُه حُرقة الاشتياق، ويُزعجه ألم الفراق، والشوق إلى الولد لا يردُّه صبر، ولا يستقلُّ به صدر.

فجاء يومًا وإسماعيل يبري نَبَلًا، فلما رآه قام إليه، فصنعا كما يصنع الوالد مع ولده من الاعتناق عند التلاق بعد طول الفراق، ثم أخبر إبراهيم ابنه بما أمره ربُّه؛ من بناء البيت على أساس من التوحيد والحنيفية ونبد الشرك والوثنية، فرجع إبراهيم القواعد من البيت، وإسماعيل بين عينيه، وطوع يديه، ورهن كفيه، يأتي بالحجارة، ويُعين أباه في البناء والعمارة، فلما ارتفع البناء جاء له بحجر ليقوم عليه، فقام إبراهيم على حجر المقام حافي القدمين بيني وإسماعيل يناوله الحجارة، وهما يقولان: ﴿رَبَّنَا اقْبَلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

وما شأن العمل بلا قبول، وما قيمته بلا رضا، وما فائدته بلا أجر ولا ثواب؟! فاتخذوا من الإخلاص وسيلة إلى القبول، ومن الموافقة والاتباع للرسول ﷺ وسيلة إلى حصول الأجر والثواب المأمول؛ فالمرائي لا ينتفع بعمله، والمبتدع لا يُثاب على سعيه. وتم البناء، وصدح إبراهيم في الأرض بالأذان والنداء، فأقبلت الوفود وتقاطرت الحشود من عهد أبينا إبراهيم ﷺ وإلى يومنا هذا والمسلمون يأُمون الكعبة المعظمة والبطاح المقدسة والمشاعر المحرمة، وقد توحد منهم اللباس على اختلاف الأجناس، وتوحدت المناسك على اختلاف البلدان والممالك، اجتمعوا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص وعلى دين نبينا محمد ﷺ، وعلى ملة أبينا إبراهيم حنيفًا مسلمًا وما كان من المشركين.



## قصة إبراهيم وابنه إسماعيل عَلَيْهِمَا السَّلَامُ

بنيانٌ واحد، وجسدٌ واحد، يسعدُ بسعادةٍ بعضه، ويتألمُ لألمه ومرضه، يقول رسول الله ﷺ: «من صَلَّى صلاتنا، واستقبلَ قبَلتنا، وأكلَ ذبيحتنا، فذلك المسلم، الذي له ذمَّةُ الله وذمَّةُ رسوله، فلا تُخْفِرُوا اللهَ في ذمَّته»،<sup>(١)</sup>.

وأصبحت الكعبةُ المشرفةُ قبلَةً لأمةِ محمد ﷺ: ﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مَوْلِيهَا﴾ [البقرة: ١٤٨]، ولكلِّ طريقةٍ يرتضيها، ووجهُ السلم حيثُ توجهَ به دينه، لا يخرج عن جهته، ولا يُبازلُ غيره في نحلته وحليته، ولا يُشابهُه في سُنَّته وهيئته، ولا يُقارِبُه في خلقه وطريقته. وأنَّى لأهل الإسلام أن يتوجَّهوا غيره والوحيُّ نزل عليهم، ورسولُ الله ﷺ بعث فيهم، حتى صاروا ببركة رسالته ويؤمن سفارته ونور دعوته ودلالته خيرَ الأمم.

فالثبات الثبات - يا أهل الإسلام -، والحذر الحذر أن تزلَّ بكم الأقدام؛ فدينكم هو القبلةُ الصحيحة، وشريعَتكم هي الوجهةُ المستقيمة، وعقيدتكم هي الفطرةُ السليمة. ثبَّتني الله وإياكم على الحقِّ والهدى حتى نلقاه. أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كلِّ ذنبٍ وخطيئةٍ، فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

(١) رواه البخاري (٣٩١).



### الخطبة الثانية:

الحمد لله الكبير المتعال، أحمده على جزيل النوالي وكريم الإفضال، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تقدّس عن الأنداد والأضداد والأمثال، وأشهد أن نبينا وسيدنا محمداً عبده ورسوله كريم الخصال وشريف الخلال، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ خَيْرِ صَحْبٍ وَأَكْرَمِ آلٍ.

أما بعد:

فيا أيها المسلمون:

اتقوا الله عَزَّوَجَلَّ؛ فبالتقوى تحصلُ البركة وتندفعُ الهلكة، إن العاقبة للمتقين. ورأى إبراهيمُ في منامه رؤيا - ورؤيا الأنبياء حقٌ -، محنةٌ تدكُّ الجبال، وتثقلُ الرجال، شيخٌ كبيرٌ جالد الأيام، وأحنته الأحداثُ الجسام، يُؤمرُ بذبح ولده، وفري أوداجِ فلذة كبده وإنهار دمه بيده.

أي نفسٍ تطيقُ هذا البلاء، وأي قلبٍ يقوى هذا العناء؟! وأي رجلٍ يقوى على ما قوى عليه أبو الأنبياء؟ لكنه الابتلاء والاصطفاء من رب الأرض والسماء.

ودخل إسماعيلُ ليُقصَّ عليه أبوه رؤياه، ويُخبره بمحنته وبلواه: ﴿بُنِيَ إِيَّيَّيْ فِي الْمَنَاءِ إِيَّيَّيْ أَذْبَحُكَ فَأَنْظِرْ مَاذَا تَرَى﴾ [الصفات: ١٠٢]، فيقول إسماعيلُ - طائعا لربه ومُلييا، صابرا ومُؤدبا، مُنقادا وراضيا -: ﴿قَالَ يَتَابِتْ أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ الصَّابِرِينَ﴾ [الصفات: ١٠٢].

﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ [الصفات: ١٠٣] طَوَّعَهُ الابنُ الصالحُ بالتمكين، وكان لأبيه خيرٌ مُعين ﴿قَالَ يَتَابِتْ أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ الصَّابِرِينَ﴾ [الصفات: ١٠٢].

فلما أمرَ على حلقه بالسكين ناداه أرحمُ الراحمين: ﴿وَنَدَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ إِنَّكَ هَذَا لَهُوَ الْبَلْتَأُ الْمُؤْمِنُ﴾ [الصفات: ١٠٤-١٠٦]، وقدأه ربه بذبحٍ عظيم، وخلَّصه بكبشٍ لحيم؛ ليعلمَ أن البلاء ليس للتعذيب، ولكنه للتمحيص والتهذيب.

فحينَ تعلقَت شُعبَةٌ من قلب إبراهيم بمحبة إسماعيل، وقد اتخذَ اللهُ إبراهيمَ خليلاً، مرّ بذبح المحبوب، فلما شرعَ في ذبحه دلَّ على أن محبةَ اللهَ أعظمُ عنده من محبة ولده نفسه، فخلصت الخلة من شوائب المشاركة، ولم يبقَ في الذبح مصلحة.

فأين من هام قلبه، وتشتت نفسه في العشق والوَلَه، والعلقِ والسفَه، والهوى والعَلَه:  
فيوماً بالعديبِ ويوماً بالخليصاءِ

وتارةً ينتحي نجدًا وأونةً شعبَ العقيق وطورًا قصر تيماء

حبُّ لغير الله، وخلةٌ لم تُؤسَّس على تقواه، موطنٌ زلق، ومسلكٌ خطر، وخزايةٌ لا تبلى، ومسببةٌ لا تبنى، ومعابةٌ لا تُنسى. ولا يجتمعُ حبُّ الربِّ الأعلى بحبِّ المعشوقِ أبدًا:  
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧].

فيا لها من موعظةٍ فأين السامع؟ ويا لها من تذكرةٍ فأين التائبُ الراجع؟ ويا لها من موعظةٍ فأين النادمُ الخاشع؟! يُؤمِّرُ الخليلُ بذبح ولده، فيبشِّرُ الذبحَ بيده، وتستكبرُ نفوسٌ على الشرع الحكيم، وتستكفُّ أن تلينَ وتستكينَ لأحكام الدين.

فويلٌ للمستنكفين المستكبرين، الراضين للحق، المضلِّ للخلق، يوم يُحشرون صاغرين حقيرين ذليلين، ﴿يَوْمَئِذٍ يُوفِيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٢٥].  
أيها المسلمون:

لقد مضت سنة الأضاحي علمًا للملَّة الإبراهيمية، وسنةً في الشريعة المحمدية، تُذكرُ بالتضحية والفداء، والصدق والوفاء، والصبر والثبات عند المحنة والبلاء، وحسن الاستجابة لله في السرِّاء والضرِّاء.

مضت قصة إبراهيم وهاجر وإسماعيل تُبينُ بأن الإسلام ليس بمحضِ التسمي والانتماء، ولا بمحضِ الانتساب والادِّعاء، ولكنه إيمانٌ راسخ، يقينٌ صادق، علامته الخُضوع والانقياد الذي لا يصدُّ عنه صادٌّ، ولا يردُّ عنه رادٌّ، ولا يحملُ على تركه مُضاد.

مضت قصة الابتلاء العظيم تُذكرُ أمة الإسلام وهي تُعالجُ أمواج البلاء بأنه لا حُجَّةَ في الزيغ عن منهاج الاستقامة، ولا شبهة للحِياد عن وجه الحق، ولا تعللٌ للتعالِي عن واضح



المحجّة، ولا معاذيرَ في الملائنة على حساب العقيدة والدين. فسلامٌ على أبي الأنبياء، وإمام  
الحنفاء، ﴿ سَلِّمْ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [الصفات: ١٠٩].

عباد الله: إن الله أمركم بأمرٍ بدأ فيه بنفسه، وثنى بملائكته المسبحة بقُدسه، وأيه بكم -  
أيها المؤمنون - من جنّه وإنسه، فقال قولاً كريماً: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا  
الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمد، وارض اللهم عن خلفائه الأربعة،  
أصحاب السنة المتبعة: أبي بكرٍ، وعمر، وعثمان، وعليٍّ، وعن سائر الصحابة أجمعين،  
والتابعين لهم وتابعيهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، وعنا معهم بمنك وكرمك وجودك وإحسانك  
يا أكرم الأكرمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، وأذل الشرك والمشركين، ودمر  
أعداء الدين، وانصر عبادك الموحدين، ودمر الطغاة والبغاة والمعتدين، ودمر الطغاة والبغاة  
والمعتدين يا رب العالمين.

اللهم أصلح أحوال المسلمين في كل مكان، اللهم احقن دماءهم، وضمن أعراضهم،  
واحفظ أموالهم وأمنهم واستقر أرواحهم يا كريم يا رب العالمين. اللهم ارفع الفتن والشورور  
والحروب عن بلاد المسلمين.

اللهم لا تُشمت بنا أحداً، ولا تجعل لكافرٍ علينا يداً.

اللهم اشف مرضانا، وعاف مَبْتَلانَا، وفك أسرانَا، وارحم موتانا، وانصرنا على من عادانا  
يا رب العالمين.

اللهم من أرادنا وأراد بلادنا وأراد المسلمين بسوءٍ اللهم فأشغله بنفسه، واجعل كيده في  
نحره، واجعل تدبيره تدميره يا رب العالمين، اللهم اكشف أمره، واهتك ستره، واجعله عبرة  
يا رب العالمين يا قويُّ يا عزيز.



## عبر وعظات من قصة موسى وفرعون<sup>(١)</sup>

### الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ، وَلَا تَمُونُ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ، وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى حق التقوى.

عباد الله: لقد قصَّ الله علينا نبأ أنبيائه، ومنهم ما قصه عن النبي الكريم موسى الكريم، الذي هو أكثر نبي قصَّ الله سيرته واستعرض مسيرته في الدعوة إلى دين الله، والصبر على الأذى والعنت من بين إسرائيل، حتى أنه لم يذكر نبياً في كتابه الكريم كما ذكر موسى الكليم عليه وعلى نبينا أتم الصلاة وأزكى التسليم، ذلك لما فيها من العظات والعبر لمن تدبَّر واعتبر.

(١) عبدالعزيز آل الشيخ.



موسى بن عمران كلیم الرحمن أحد أولي العزم من الرسل الذين قال الله فيهم: ﴿فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، وهم المعنيون في قوله: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى﴾ [الشورى: ١٣].

ربُّنا جل وعلا قصَّ علينا في القرآن نبأ هذا النبي الكريم في معظم أي القرآن، ما بين مبسوط وما بين موجز، وما كانت تلك القصة عبثاً، ولا مجرد تاريخ يُحكى، ولكنها العبر والعظات، ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١].

قصَّ الله علينا نبأ هذا النبي الكريم من حين وُلد، ذلك أنه عَلَيْهِ السَّلَامُ وُلد في عامٍ كان فرعون يقتل فيه الذكور من بني إسرائيل، ويستبقي فيه النساء، ولكن الله جل وعلا حفظ هذا النبي من كيدهم، حفظه من كيدهم، ووقاه شرَّهم، وتربَّى في بيت آل فرعون لما الله في ذلك من الحكمة البالغة.

عندما ولدته أمه ضاقت بها الأرض ذرعاً، وتعلم أنه إن علم به قتل، فأوحى الله إليها: ﴿فَأَلْفَيْهِ فِي الْيَمِّ﴾ [القصص: ٧]، ترضعه، وتضعه في صندوق وتلقيه في البحر، ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٧]. إنه وعدٌ حق لا شك فيه، ترضعه أمُّه وتلقيه في اليم، ﴿فَالْقَلْبَ أَلْفَرَعُونَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨]، ولكن الله ألقى في قلب امرأة فرعون محبته والشفقة عليه والحنان عليه، فصارت أعظم من أمه رفقا ورحمةً به، ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

بُحث له عن مرضعة، ولم يلتقم ثدي أيِّ مرضعة، وامرأة فرعون حريصةٌ على حياته وعلى سلامته، فحرم الله المراضع عليه لما له في ذلك من الحكمة، وتبعث امرأة فرعون من يبحث عن مرضعةٍ وإذا أخته تجربهم عن مرضعة له، فجاؤوا بها فالتقم ثدي أمه، وقررت أمُّه عيناً بوعد الله لها، فنعد ذلك قُرْبت أمُّه وأكرمت، ولا يعلمون أنها أمه، وإنما يعدونها مرضعةً أجيبة، تأخذ أجرَةً على الإرضاع، والله حكيم عليم فيما يقضي ويقدر.

بلغ هذا النبي أشدَّه واستوى وآتاه الله حكمةً وعلماً، ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي

الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأنعام: ٨٤].

أمره الله أن يأتي فرعونَ الذي يقول: إنه الرب الأعلى، أن يأتيه يدعوهُ إلى الله، وإلى عبادة الله، وأن يخلي بينه وبين بني إسرائيل. وشدَّ عضده بأخيه هارون، فأتيا إلى فرعون يدعوانه إلى الله، ويرشدانه إلى الحق، والله يقول لهما: ﴿فَقُولَا لَهُ، قَوْلًا لِنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: ٤٤]. ولما خافا قال لهما: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ مَأْسَمِعُ وَأَرَى﴾ [طه: ٤٦]، فقوي قلب موسى، قوي قلبه، وعظمت ثقته بربه، فجاء لذلك الطاغية، يدعوهُ إلى الله وإلى عبادته، ويترك ما هو فيه من الباطل والضلال، ولكن فرعون لجَّ في طغيانه، وتمادى في باطله، وقال لموسى مستهزئاً: ﴿فَمَنْ رَبُّكُمَا يُمُوسَى﴾ [طه: ٤٩]، وقال: ﴿وَمَارَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣]، والله يعلم أن فرعون كاذب في دعواه، ﴿وَحَدِّثُوا بِهَا وَأَسْتَيْقِنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل: ١٤].

دعاه إلى الله، وناظره وجادله، وأقام الحجة والبراهين على فساد طريقته، وأن ما هو عليه باطل وضلال، وطلب فرعون آيةً من موسى، وكان إذ ذاك، كان السحرة في عهد فرعون لهم الشأن والقوة، وكانوا المقدمين في الأمور، فأعطى الله موسى من الآيات الباهرات ما حير عقول السحرة كما سيأتي بيانه، فطلب آيةً من موسى، فأخرج موسى يده فإذا هي بيضاء تحاكي الشمس في قوتها وبياضها، وألقى عصاه فإذا هي حية تسعى، فعند ذلك أصاب فرعون ما أصابه من الخوف والحجل، وعلم أن ذاك حق، ولكن الشقاوة إذا غلبت على العبد فليس فيه حيلة، ﴿وَمَا تَعْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١].

أقام موسى يدعو فرعونَ إلى الله، وينشر دينَ الله، ويدعو إلى عبادة الله، ويقىم حجة الله على خلقه، إنها لدروس وعظات، إنها لدروس وإنها لعظة وعبرة، تبين للداعي إلى الله أن الدعوة إلى الله طريقُ الأنبياء والمرسلين، وأن الدعوة إلى الله لا بد للداعي فيها من صبر وقوة جأش وتحمل لكل الأمور، ولا بد من علم وحجج يقيمها على المعاند، ولا بد من يقين أن الله ناصر دينه، ومعل كلمته، وأن الباطل مهما عظم فإن الباطل زهوق، ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨]، ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]، وبالصبر والثبات والاستمرار على الخير يتحقق بتوفيق الله للعبد ما يريده، إما هداية، وإما أن يلقي الله على ما هو عليه من الخير، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ



﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]، ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَاتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُتَرَلِّينَ﴾ ﴿١٧١﴾ ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾ ﴿١٧٢﴾ ﴿وَإِنْ جُنَدَانَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٢].

استمرَّ موسى في دعوته، ومضى في طريقه، فضاق بفرعون الأرض بما رحبت، وعلم أن استمرارَ موسى في هذا المنهج سيقتضي عليه وعلى أتباعه؛ لأن موسى جاء بحق، وفرعون على باطل، وفرعون يتناقض باطله، تحوّل موقف الكبرياء والعظمة بالإنكار، ثم طلبوا المناظرة والآيات، مما يدلُّ على تناقض الباطل وضعفه أمام قوة الحق والهدى.

طلب من موسى المناظرة، وأن يجتمعا في يوم من الأيام في يوم الزينة، ليظهر من المحق من المبطل، وحشد السحرة على اختلافهم، ووعدهم ومناهم أنهم المقربون عنده، وأن لهم النفوذ عنده، فأجابوه واجتمعوا هناك، اجتمع فرعون وسحرته وجنده، وجاء موسى يحمل عصاه وحده، ﴿قَالُوا يَمُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوْلَ مَنْ أَلْقَى﴾ ﴿١٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقَوْنَا إِذَا جَاءَهُمْ وَعَصِيهِمْ يُحَيِّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُ سَعَى﴾ [طه: ٦٥-٦٦]، فعند ذلك امتلأ الوادي من العصي، وامتلاً من كل شيء، ظنَّه من يراه حقيقة، ولكنه تحيّل وسحر من أنواع السحر، ﴿فَأَوْحَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾ [طه: ٦٧] مما رأى وشاهد، فقال الله له: ﴿فَلَمَّا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ [طه: ٦٨]، وأمره الله أن يلقي عصاه التي يحملها، ﴿فَأَلْقَاهَا فِإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ [طه: ٢٠]، أتت على كل ما في الوادي فابتلعت كلّه، فرأى السحرة بقوة فكرهم وعقولهم أن هذا أمرٌ لا قدرة لهم به، وآيةٌ لا يستطيعون مقاومتها، وأن هذا أمرٌ ربانيٌّ هم عاجزون أن يقفوا أمامه؛ عصاً يحملها في يده، يلقيها فتفتح فاها فتلتقم كل ما في الوادي!! ولولا هروب البشر لالتقتهم معه. إنما المعجزة عظيمة، وآية عظيمة، حرَّ السحرة لله سُجْدًا، ﴿قَالُوا أَمْ نَآبِرُ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ [طه: ٧٠]، وتوعدّهم فرعون وتهدّدهم، ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ ﴿٧٢﴾ إِنَاءَ مَا نَبْرِنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِئَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَبِيرٌ وَبَقِي﴾ [طه: ٧٢-٧٣]، دخلوا الجنة وما عملهم إلا سجدةٌ سجدوها لله، فختم الله بها أعمالهم، وعذبهم فرعون إلى آخر ذلك.

أيها المسلم: إن الحقَّ يعلو ولا يُعلى عليه، وإن الباطل أمام الحق ضعيف، لكن إذا وُجد أهل الحق والهدى، ذوو الصبر والتقى والإخلاص لله، واليقين بنصر الله.



إن السحرة أمام الحق ذهب سحرهم، وتبعثر سحرهم، ذاك أن الساحر إنما عمدته شركٌ بالله، واستعانة بالشياطين، واستعمال الأمور التي يُظنُّ أنها حقائق، ولكنها باطل وكذب، فالساحر أمام صاحب الحق لا بد أن ينهار، وإذا قرئ القرآن عليه بطل سحره وذهب باطله الذي كان رائجا عنده. إن الحقَّ يعلو ولا يُعلى عليه، إنها دعوة موسى وسائر أنبياء الله، تلكم الدعوات الصادقة التي أخلص فيها أنبياء الله في دعوتهم، وصدقوا الله في دعوتهم، فوفقههم الله وأعانهم.

وبعد ذلك ما زال فرعونُ في مكيدته بموسى ومن معه، فعزم موسى على مفارقة دار فرعون، وخرج وقومُه يقصدون البحر، فجاء فرعون بقوته ليقضي عليهم، فلما قرب من البحر قال له قومه: ﴿إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ ﴿١١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿الشعراء: ٦١-٦٢﴾، وأوحى الله إليه: ﴿أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ﴾ ﴿الشعراء: ٦٣﴾، فضربه بعصاه، فانقسم البحر إلى اثني عشر طريقًا، عدَّة قوم موسى، سلكوه آمنين مطمئنين، ﴿يَسَآءَلَا تَخَفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى﴾ ﴿طه: ٧٧﴾. رأى فرعون تلك المعجزة فظنَّ أنه سيظفر بها، فتقدَّم فلما اكتمل عددهم أمر الله البحر فأطبق عليهم فأغرقهم، فلما أحسَّ بذلك قال: ﴿ءَأَمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتُ بِهِ بُنَا إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿يونس: ٩٠﴾، فانظر إلى نصر الله، وتأيبده لنبيه، وهكذا المسلم الداعي إلى الحق والهدى إن هو صدق في دعوته، وتحمل كلَّ المشاقِّ في دعوته، وكان صادقًا محتسبًا، على حقٍّ ومنهجٍ قويم، فالنصر لأولياء الله، ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَأَمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ ﴿غافر: ٥١﴾.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفَعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروا وتوبوا إليه، إنه هو الغفور الرحيم.



الخطبة الثانية:

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.  
أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى حق التقوى.

عباد الله: لما أنجى الله موسى وأغرق فرعونَ صام موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يومَ العاشر من محرم شكرًا لله على نعمته وفضله عليه بإنجائه وقومه وإغراق فرعونَ وقومه، صامه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وتلقته الجاهلية من أهل الكتاب، فكانت قريشُ تصومه في جاهليتها، وكان النبي يصومه معهم.

قدم المدينة مهاجرًا، واليهود إذ ذاك بها، فوجدهم يصومون اليوم العاشر، سأهم: ما سبب الصيام؟ قالوا: يومٌ أنجى الله فيه موسى ومن معه، وأغرق فرعونَ ومن معه، فصامه موسى شكرًا لله، فنحن نصوم، قال لهم: «نحن أحق وأولى بموسى منكم»<sup>(١)</sup>، نحن أحق وأولى بموسى من أهل الكتاب. أجل، إن محمدًا وأُمَّته أولى بموسى وأولى بكل الأنبياء؛ لأنهم آمنوا بالأنبياء، وصدَّقوا رسالاتهم، ﴿ءَاْمَنَ الرَّسُوْلُ بِمَا اُنزِلَ اِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُوْمِنُوْنَ كُلُّهُمْ اٰمَنَ بِاللّٰهِ وَمَلٰئِكَتِهٖ وَكُتُبِهٖ وَرُسُلِهٖ لَا نَفْرَقُ بَيْنَ اَحَدٍ مِنْ رُسُلِهٖ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، ﴿اِنَّ اَوْلٰى النَّاسِ بِاِبْرٰهِيْمَ لِلَّذِيْنَ اتَّبَعُوْهُ وَهٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِيْنَ ءَاْمَنُوْا وَاللّٰهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِيْنَ﴾ [آل عمران: ٦٨]، فصامه محمدٌ شكرًا لله على ما منحه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فصامه وأمر الناس بصيامه، وأرسل إلى قري الأنصار: «من أصبح صائمًا فليتمَّ صومه، ومن أكل فليتمَّ بقية يومه»<sup>(٢)</sup>، فلما افترض رمضان أخبرهم أن من شاء صام، ومن شاء لم يصم، لكنه رغَّبنا في صيامه فيقول عبد الله بن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «ما رأيت رسول الله يصوم يومًا يتحرَّى فضله على الأيام من هذا اليوم، يعني: يوم عاشوراء،

(١) رواه البخاري (١٩٠٠)، ومسلم (١١٣٠)..

(٢) رواه البخاري (١٩٦٠) ومسلم (١١٣٦).



وهذا الشهر، يعني: شهر رمضان». وقال أبو قتادة: قال رسول الله: «صوم يوم عاشوراء أحسبُ على الله أن يكفر السنة التي قبله»<sup>(١)</sup>.

صام تسع سنين صامَ عاشوراء، وفي العام الأخير قال: «لئن عشتُ إلى قابل لأصومنَّ التاسع»<sup>(٢)</sup>، يعني مع العاشر، وتوفي قبل أن يصومه، وقال لنا: «صوموا يوماً قبله، أو يوماً بعده، خالفوا اليهود»<sup>(٣)</sup>. نسأل الله أن يوفقنا لكل عمل صالح.

أيها الإخوة: قد يورد إنسان سؤالاً فيقول: صُمتم يومَ عاشوراء لأن موسى صامه؛ لأن الله أنجاه من فرعون وأغرق فرعون، أفلا نصوم يوم مولد النبي؟! أفلا نصوم صبيحة ليلة الإسراء؟! أفلا نصوم يوم الهجرة؟! أفلا نصوم يوم البعثة؟!

نقول: يا أخي، إن عبادتنا ليست بأهوائنا واستحساننا، وإنما نعبد الله على ما شرع لنا على لسان نبيه، فلو شرع لنا صيام يوم المولد بذاته لقلنا: نعم، لكن شرع لنا صيام يوم الاثنين؛ لأن النبي رغبنا فيه وأنه يوم أوحى إليه فيه، ويوم بُعث فيه، لكن ما شرع لنا أن نتعبد بيوم مولد أو بيوم هجرة، إنما نحن نصوم كما أمرنا، فصيامنا يومَ عاشوراء اقتداءً نبينا، وصيامنا يومَ الاثنين ويومَ الخميس اقتداءً بالنبي، فعباداتنا لا تنطلق من مجرد أهوائنا، إنما هي من تشريع الله لنا، فلو كان مولد النبي وافق اليومَ الثاني عشر من ربيع الأول يوم الجمعة أو يوم السبت أو يوم الأحد أو يوم الثلاثاء أو يوم الأربعاء قلنا: لا يشرع لنا صيام ذلك اليوم؛ لأن النبي ما علق الصوم بذات الولادة، إنما شرع لنا صيام يوم الاثنين في عموم السنة، شكرًا لله على إنزال الوحي إليه وعلى بعثته، لكن لو كان للثاني عشر في غير يوم الاثنين لم يشرع لنا الصيام لأن الصيام يوم الاثنين لم يختص بشهر معين، وإنما صيامه عام في السنة، والمسلم يتبع ولا يبتدع، ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

(١) صحيح الجامع (٣٨٥٣) وأصله في مسلم (١١٦٢).

(٢) رواه مسلم (١١٣٤).

(٣) صحيح ابن خزيمة (٢٠٩٥) وصححه الألباني موقوفًا.



واعلموا رحمكم الله أن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة، وعليكم بجماعة المسلمين، فإن يد الله على الجماعة، ومن شذَّ شذَّ في النار.

وصلوا رحمكم الله على عبد الله ورسوله محمد امتثالاً لأمر ربكم حيث يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].  
اللهم صلِّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وارض اللهم عن خلفائه الراشدين..



## قصة موسى والخضر عَلَيْهِمَا السَّلَام (١)

### الخطبة الأولى:

الحمد لله الذي لم يزل بصفات الكمال متصفًا، جوادًا كريمًا، إذا وعد أنجز ووفى، تواب حلِيم إذا عصي تجاوز وعفا، أحمده سبحانه وأشكره على ما بسط من آلائه وأوفى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له هو حسبي وكفى، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبد الله ورسوله، أزكى البرية أصلًا، وأعلى الأنام شرفًا، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الأئمة الخنفاء.. السادة الخلفاء، والتابعين ومن تبعهم بإحسان وسار على نهجهم واقتفى.

أما بعد:

فأوصيكم -أيها الناس- ونفسي بتقوى الله عَزَّوَجَلَّ، فاتقوا الله -رحمكم الله- فإن تقوى الله عروة ما لها انفصام، من استمسك بها حمته -بإذن الله- من محذور العقبة، ومن اعتصم بها وقته من كل نائبة، فعليكم بتقوى الله فالزموها، وجدوا في الأعمال الصالحة واغتموها، فالزمان يطوي مسافة الأعمار، وكل ابن أنثى راحل عن هذه الدار.

أيها المسلمون: تحدثنا في خطب سابقة عما في سورة الكهف من العبر والحكم، وذكرنا أصحاب الكهف وقصتهم، واليوم سوف نتحدث عن قصة موسى عَلَيْهِ السَّلَام مع الخضر، فلقد روى البخاري ومسلم من حديث سعيد بن جبیر قال: قيل لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إن نوفًا البكالي يزعم أن موسى الذي صاحب الخضر ليس هو موسى بنى إسرائيل، قال ابن عباس كذب عدو الله، حدثني أبي بن كعب عن النبي قال: «خطب موسى في بنى إسرائيل يومًا حتى ذرفت العيون ووجلت القلوب، فلما انصرف تبعه رجل فقال: يا نبي الله، هل هناك أعلم

(١) عبدالرحمن القايدى.



منك في الأرض؟ قال: لا، فعتب الله عَزَّوَجَلَّ عليه إذ لم يُرجع العلم إليه، قال: بلى إن لي عبداً في مجمع البحرين هو أعلم منك، قال موسى: وكيف لي به؟ قال: خذ حوتاً واجعله في مكتل - وفي رواية: خذ نوناً ميتاً، والنون هو الحوت وإليه يُنسب يونس عَلَيْهِ السَّلَام في قوله تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْرِباً﴾ [الأنبياء: ٨٧]، فالنون هو الحوت-، قال: خذ نوناً ميتاً فاجعله في مكتل فحيث فقدته فهو ثم، -أي: حيث يُفقد هذا الحوت فالخضر هناك-. فانطلقا حتى إذا كان بقعة من الأرض قال موسى لفتاه: لا أكفلك كثيراً، أيقظني إذا رد الله الحياة في الحوت، قال: ما كلّفت، ثم إن الحوت ارتدت إليه الحياة، وقفز في البحر، فأمسك الله عليه الماء وحبسه، فلم يستطيع أن يذهب، فلما استيقظ موسى نسي غلامه أن يخبره أن الحوت قفز إلى الماء، فانطلقا بقية يومها وليلتها، فلما كان من الغد قال موسى لفتاه: ﴿إِنَّا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ [الكهف: ٦٢]، عند ذلك تذكر الفتى أن الحوت المشوي الذي كانا سيتغذيان به قفز إلى الماء، ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ وَمَا أَنْسَنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ [الكهف: ٦٣]... الآية فَازْتَدَا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا -أي: أنهما رجعا يقصان الآثار مرة أخرى-، فلما وصلا إلى هناك وجدا رجلاً مسجى ببرد خضراء تحت قدميه وتحت رأسه -كالذي يلتحف بلحاف فيجعله تحت رأسه وتحت قدميه-، فسلم عليه موسى، فكشف عن وجهه وقال: وهل بأرضي سلام؟! -أي: وهل في أرضي هذا من يعرف السلام؟! - قال: من أنت؟ قال: أنا موسى، قال: أنت موسى بنى إسرائيل؟ قال: نعم- وهذا هو الشاهد الذي قال من أجله ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: كذب عدو الله؛ لأن الخضر عَلَيْهِ السَّلَام قال: أنت موسى بنى إسرائيل - قال: وما تريد؟ -أي: ما تريد بمجيئك إلى هنا؟-، قال: أريد أن أتعلم ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٦٧] ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ [الكهف: ٦٩]، فجاء عصفور فنقر من ماء البحر نقرة، فقال الخضر: يا موسى، إن مثل علمي وعلمك بجانب علم الله عَزَّوَجَلَّ كمثل الماء الذي أخذه هذا العصفور بمنقاره، ثم واصل وقال له: ﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: ٧٠]، فانطلقا ووقفا على شاطئ البحر، فمر مركب فأراد الخضر وموسى أن يركبا، فقال الغلمان: عبد الله الصالح لا نحمله بأجر، فلما استقرا في السفينة عمد الخضر إلى مكان في

السفينة فخلع منه لوحًا بقدوم ووضع مكانه خشبة، قال موسى: قوم حملونا بغير أجرة تخلع لوحًا من سفينتهم لتغرق أهلها! هذا جزاء الإحسان؟ لقد جئت شيئًا إمرا، ﴿قَالَ الرَّاقِلُ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٢]، قال نبينا محمد: «وكانت هذه من موسى نسيانًا، فلما نزلنا من السفينة وجدا أغيلمة يلعبون، فعمد الخضر إلى ولد وضيء جميل فأخذه وأضجعه على الأرض وذبحه بالسكين، فقال موسى مستغربًا: عمَدتَ إلى نفس لم تعمل سوءًا فقتلتها بغير نفس! لقد جئت شيئًا نكرا، فقال الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالَ الرَّاقِلُ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٥]» قال نبينا: «وكانت هذه شرطًا لأن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قال له: ﴿إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّحْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾ [الكهف: ٧٦]».

فهناك فرق في التحذيرين، بين المرة الأولى والثانية، ففي المرة الأولى قال له الخضر: ﴿قَالَ الرَّاقِلُ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٢] وفي المرة الثانية قال له: ﴿قَالَ الرَّاقِلُ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٥] فكانه استدار إليه والتفت إليه وحذره وأشار: ألم أقل لك - أي: في المرة الثانية-: إنك لن تستطيع معي صبرا، «فدخلوا قرية وكانوا جوعى، فلم يستضيفهم أحد ويطعمهم، فأثناء خروجهم من القرية وجدا جدارًا على وشك السقوط، فقام الخضر فأصلح الجدار بيده حتى لا يسقط، فقال موسى: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الكهف: ٧٧] واشترينا به طعامًا، فقال الخضر: ﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ سَأْنِيكَ بِأَوْبِلٍ مَا لَمْ تَسْتَطِيعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٨]. قال نبينا: «يرحم الله موسى وددنا أنه صبر حتى يقص الله عز وجل علينا من أخبارهما»<sup>(١)</sup>، وكل ذلك من علم الغيب الذي يصعب علينا كبشر فهمه لأول وهله.

نفعني الله وإياكم بالقرآن والسنة، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العلي العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب.

(١) رواه البخاري (٣٤٠١) ومسلم (٢٣٨٠).



### الخطبة الثانية:

الحمد لله المبدئ المعيد، الغني الحميد، ذو العفو الواسع والعقاب الشديد، نحمده سبحانه وتعالى على إحسانه المديد، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الفعال لما يريد، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله المبعوث رحمة للعالمين، اللهم صل وسلم وبارك وأنعم عليه وعلى آله أجمعين.

أما بعد:

فهكذا -أيها المؤمنون- قام الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ ووضح لموسى أسباب خرق السفينة بأنها كانت لمساكين، وفي الطريق يوجد ملك جبار يأخذ كل سفينة صالحة تمر بالطريق بالقوة، فألمه الله الخضر أن يقوم بأخذ لوح كبير منها لتبدو غير صالحة، فتسلم من الملك الجبار. وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين، فكان يعلم الله كافرا لو كبر، وحتى لا يفتن أبواه أماته الله مبكراً قبل أن يبلغ الحلم حتى يدخله معها الجنة؛ لأنه لو أبقاها حتى يشب ربما حب والديه له قد يجعلها يكفران. وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة التي أهلها بخلاء، ترك لهما أبوهما كنزاً وبنى عليه جدارا ليخفيه من أهل القرية اللئام، وأوشك هذا الجدار على السقوط، ولو سقط لوجده أهل القرية وضاع نصيب اليتيمين، ولكن الله ألهم الخضر أن يصلحه وقبل مسحه بيده فاستقام الجدار حتى يكبرا وبعد ذلك يتمكنان من الاستفادة من هذا الكنز.

أيها المسلمون: استفاد من هذه القصة أشياء كثيرة:

فأولاً: التواضع بالعلم، فإن الله عتب على موسى إذ لم يرد العلم إليه، وأيضاً: تواضعه عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد ذلك وحرصه في الذهاب إلى مجمع البحرين، وتواضعه مع الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ثانياً: صلاح الآباء سبب في حفظ الأبناء، كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ [الكهف: ٨٢] فحفظ الله كثرهما بصلاح أبيهما، وقِيض للجدار من يصلحه ليحتفظ بالكنز حتى يكبرا.

ثالثاً: قدر الله لا يدركه الإنسان ولا يعرف حكمته إلا بعد أن يتحقق ويفسر، ولقد رأينا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يتعجب من تصرفات الخضر الفورية ولا يرى لها تفسيراً؛ لأن هذا قدر مؤجل النتائج، وأيضاً قد يشتد حزن أبوي الغلام عليه لفقده، ولكنها لا يدركان أن تلك رحمة من الله لا نعمة.

فعلى المسلم أن يرضى ولا يتضجر بقضاء الله وقدره لأننا لا نعلم شيئاً، ﴿وَمَا أُوْتِيتُمْ مِنْ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]، فأى شيء يحدث لك أو لغيرك لا تقول: لو كان كذا لصار كذا، «فإن لو تفتح عمل الشيطان ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل»<sup>(١)</sup>، وتذكر ما حدث لك من مصائب وكيف تحولت إلى خير وأنت لا تدري، ولو لم يترك سيدنا إسماعيل وأمه في الصحراء لم يكن ماء زمزم الذي نشرب منه، ولو لا أن فدى الله إسماعيل بكبش لأصبح علينا أن نضحى بابن من أبنائنا، ولو أخذنا نعدد قدر الله الذي استبان لنا لوجدنا العجب، فعلينا أن نرضى بقدر الله حتى نعيش سعداء في هذه الدنيا.

فمثلاً الذي تأخر عنه أمر يتمناه لا تقلق، فما تدري كم من الخير ينتظرك ما دمت قد أخذت بالأسباب، وأنت الذي تبحث عن عمل أو وظيفة لا تحف على رزقك ورزق أولادك، فأنت لا تدري ما هو مدخر لك حتى يأتي وقته، ولا أقصد بذلك أن نتواكل ونترك البحث، بل كما قيل: الجوارح تعمل بالأسباب، والقلوب تتوكل على رب الأرباب، فاسع وتحرك وكلٌ ميسر لما خلق له، وكما سأل عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الرسول حينما نزلت هذه الآية ﴿فَمَنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [هود: ١٠٥]، فقال: فعلى ما نعمل؟ على شيء قد فرغ منه أو على شيء لم يفرغ منه؟ فقال النبي: «بل على شيء قد فرغ منه وجرت به الأقلام يا عمر، ولكن كل ميسر لما خلق له»<sup>(٢)</sup>.

عباد الله.. هل يدرك الإنسان عواقب الأمور؟ هل يعرف الغاية من المقدور؟ كلا، فذلك لله وحده، وتديبره لك خير من تدبيرك لأمورك، وهو أرحم وأعلم بك من نفسك، ﴿وَلِلَّهِ عَقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١].

فاتقوا الله أيها المسلمون: واسعوا الرضوان الله، وارضوا بقدر الله ولا تسخطوا. ثم صلوا وسلموا على صفوة خلق الله كما أمركم بذلك..



(١) رواه مسلم (٢٦٦٤).

(٢) صحيح الترمذي (٣١١١).



## دروس وعبر من قصة يوسف عَلَيْهِ السَّلَام (١)

### الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فيا عباد الله اتقوا الله كما أمركم في محكم كتابه: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿الأحزاب: ٧٠-٧١﴾.

أيها الناس: نفث اليوم وإياكم مع قصة الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم، يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، عليهم وعلى نبينا أتم الصلاة وأزكى التسليم. قصة يوسف عَلَيْهِ السَّلَام من أعجب القصص في القرآن، وقد ذكرها الله جميعاً متصلة، وأفردتها بسورة واحدة مطولة مفصلة تفصيلاً واضحاً، ساق فيها سبحانه وتعالى حالة يوسف من ابتداء أمره إلى آخره، وما بين ذلك من التنقلات واختلاف الأحوال وقال فيها: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَاتٍ لِّلرَّسَالِينِ ﴿يوسف: ٧﴾، وقد اشتملت هذه القصة على جملة من الفوائد والعظات نذكر طرفاً منها، فنقول:

أولاً: إن هذه القصة من أحسن القصص وأوضحها لما فيها من أنواع التنقلات من حال إلى حال، ومن محنة إلى محنة، ومن محنة إلى منحة ومنة، ومن ذل إلى عز، ومن أمنٍ إلى خوفٍ،

(١) عبدالله بن محمد الطيار.



ومن مُلْكٍ إلى رِقٍ، ومن فُرْقَةٍ وشتاتٍ إلى اجتماعٍ وانضمامٍ، ومن سُرورٍ إلى حُزنٍ، ومن رَحَاءٍ إلى جَدبٍ، ومن ضِيقٍ إلى سَعَةٍ.

ثانياً: ما فيها من أصولٍ تعبيرِ الرؤيا المناسبةِ، وأن عِلْمَ التَّعبيرِ عِلْمٌ مُهِمٌّ يَهَبُهُ اللهُ لِمَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ، وَهُوَ دَاخِلٌ فِي الْفَتَوَى، فَيَنْبَغِي لِمَنْ لَا يُحْسِنُ الْخَوْصَ فِي بَحْرِهِ أَلَّا يَلْجَأَ فِيهِ لِسُلَا يَنْدَمَ عَلَى ذَلِكَ.

ثالثاً: حَيْثُ قَصَّ اللهُ مَا فِيهَا مِنَ الْأَدَلَّةِ وَالْبَرَاهِينِ عَلَى نُبُوَّةِ نَبِينَا مُحَمَّدٍ هَذِهِ الْقِصَّةُ الْكَامِلَةُ الْوَاقِعَةُ وَهُوَ لَمْ يَقْرَأْ كُتُبَ الْأَوَّلِينَ، بَلْ هُوَ أُمِّيٌّ لَا يَقْرَأُ وَلَا يَكْتُبُ، وَصَدَقَ اللهُ: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ [يوسف: ١٠٢].

ومن الفوائد: أنه ينبغي للعبدِ البعدُ عن أسبابِ الشرِّ وِكْتِمَانِ بَعْضِ أُمُورِهِ الَّتِي يَخْشَى مَضْرَةَ مِنْ إِفْشَائِهَا وَالتَّحَدُّثِ بِهَا، وَقَدْ وَجَّهَ يَعْقُوبُ ابْنَهُ بِذَلِكَ قَائِلاً: ﴿لَا تَقْضُصْ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ [يوسف: ٥].

ومنها: أن النعمَ الكبيرةَ الدنيويةَ و الدنيويةَ لا بد أن يتقدمها أسبابٌ ووسائلٌ إليها لأن الله حكيمٌ و لَهُ سُنَنٌ لَا تَبْدَلُ وَلَا تَتَّغَيَّرُ، فَضَى سُبْحَانَهُ بِأَنَّ الْمَطَالِبَ الْعَالِيَةَ لَا تُنَالُ إِلَّا بِالْأَسْبَابِ النَّافِعَةِ خُصُوصًا الْعُلُومِ النَّافِعَةِ وَمَا يَتَفَرَّعُ عَنْهَا وَهَذَا قَالَ: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْنِبُكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنَ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾ [يوسف: ٦].

ومنها: أن العدلَ مطلوبٌ في جميعِ الأمورِ الصغارِ والكبارِ ومن ذلكَ مُعَامَلَةُ الْوَالِدَيْنِ لِلْأَوْلَادِ فَلَا بَدَّ مِنَ التَّسْوِيَةِ بَيْنَهُمْ، وَعَدَمِ إِثَارِ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ، وَمَتَى حَصَلَ ذَلِكَ اخْتَلَّتْ نِظَامُ الْأَسْرَةِ وَوَقَعَ مَا يَكْدُرُ الصَّفْوَ وَيَعْكُرُ طَعْمَ الْحَيَاةِ، وَهَذَا مَا حَصَلَ لِيَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ومن أهم ما نستفيدُه من قصة يوسف: الحذرُ من سُؤْمِ الذُّنُوبِ وَعَوَاقِبِ الطَّمَعِ فَكَمْ مِنْ ذَنْبٍ وَاحِدٍ اسْتَتَبَ ذُنُوبًا كَثِيرَةً، وَهَذِهِ حَالُ إِخْوَةِ يَوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا أَرَادُوا التَّفْرِيقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِيهِ، وَهَذَا ذَنْبٌ عَظِيمٌ تَرْتَبُ عَلَيْهِ ذُنُوبٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الْكُذْبِ وَرَمِي يَوْسُفَ، وَهَكَذَا الطَّاعَةُ تَتَّبِعُهَا فِي الْغَالِبِ الطَّاعَةُ، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى بَرَكَةِ الطَّاعَةِ وَشُؤْمِ الْمَعْصِيَةِ.



ومنها: أن العبرة بالنهاية لا بالبداية، وهكذا كان أمر إخوة يوسف تآبوا واستغفروا وسمَّح لهم يعقوب ويوسف وإذا سمح العبدُ فالله أولى بذلك وهو خير الراحمين.

ومنها: أن بعض الشرِّ أهونٌ من بعضٍ، فرمي يوسف في البئرِ أهونٌ من قتله، ولهذا أخذ الإخوة بهذا الرأي وكان من تدبير الله ليتحقق ليوسف ما كتب الله له.

ومن أبلغ العبر: الحذر من الخلوة بالنساء الأجنبيةات وخصوصاً اللاتي يُخشى منهنَّ الفتنة، وقد جرى ما جرى ليوسف بسبب الخلوة لكنَّ الله عصمه، فليُتَّبَع من ذلك فإنه بابٌ شرٌّ عظيم، ومن حام حول مواطن الشبهات والشهوات لم يكد يسلم منها، ولذا قال الله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى﴾ [الإسراء: ٣٢].

وأيضاً: الهُمُّ بالسوء والتفكير بالمعصية الذي يعرض للإنسان إمَّا أن يجد ما يدافعه من نوازع الخير فهنا يتقزم هذا الهُمُّ ويتضاءل ويزول، وإمَّا ألا يجد ما يُقاومه فينمو ويكبر ويتحقق، وهكذا حال يوسف عَلَيْهِ السَّلَام رأى البرهان من ربه فطرد همه وامرأة العزيز لم يوجد عندها من نوازع الخير ما يُقاومُ همَّها فاستمرت وطالبت بأن يتحقق واقعا.

من الفوائد: أن العبد إذا ابتلي بمواطن الريبة وأماكن الفتنة فينبغي له أن يهرب لئلا تُدركه أسباب المعصية فيقع ثمَّ يندم، وكان هذا حال يوسف عَلَيْهِ السَّلَام فرَّ هارباً وهي تُمسك بثوبه من خلفه.

ومما أخذَه العلماء من قصة يوسف عَلَيْهِ السَّلَام أن القرينة يُعمل بها عند الاشتباه في الدعاوى إذا كانت شهادة الشاهد على القرينة: ﴿إِنْ كَانَتْ فَمِصُّهُ، قَدْ مِنْ قُبُلٍ﴾ [يوسف: ٢٦]، وكذلك وجود الصُّواع في رَحْلِ أخيه وقد أخذ يوسف بهذه القرينة واستبقى أخاه عنده.

ومن أبرز الدروس المستفادة: ما كان عليه يوسف عَلَيْهِ السَّلَام من الجمال الظاهر والباطن، أمَّا الظاهر فهو الذي بسببه حصل له ما حصل من الابتلاء من امرأة العزيز ومن النساء اللاتي كُنَّ يَلْمُنَّها على فعلها، وأمَّا جمال الباطن فهو العِفَّة العظيمة مع وجود الدواعي الكثيرة لوقوع السوء منه، لكن ما قذف الله في قلبه من الإيمان والإخلاص وقوة الحق طرد عنه الرذيلة، وجعله بعيداً عن السوء، وهذا ما جعله عظيماً في نفوسهم أجمعين.



ومنها: اختيار يوسف عَلَيْهِ السَّلَام السَّجَن وتقدمه على الوقوع في المعصية، وهكذا ينبغي للعبد إذا كان الخيار بين أمرين أحدهما عُقوبة له عاجلة تؤول إلى أجرٍ عظيمٍ في الآخرة والأخرى مَعْصية، فينبغي ألا يتردد في ذلك ويُقدم ما فيه الخير له في الآخرة وإن كان ظاهراً عُقوبة في الدُّنيا، وقد كان السَّجَنُ طَرِيقاً ليوسف إلى العزة في الدُّنيا والفوز في الآخرة.

ومنها: أن العبد الصادق مع ربه يبغي أن يلتجئ إليه ويحتمي بحماه عند وجود أسباب المعصية، ويتهرب من حوله وقوته لأنه عبدٌ ضعيفٌ، وقد كان ذلك من يوسف عَلَيْهِ السَّلَام ﴿وَالَّذِي أَطَّرَفَ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣]،

أيضاً: على العبد أن يعبد ربه حال الرِّخاء والشُّدة على حدِّ سواءٍ فيوسف عَلَيْهِ السَّلَام لم يزل يدعو إلى الله فلمَّا دخل السَّجَن استمر على ذلك ودعا من يتصل به من أهل السَّجَن، ودعا الفتيين إلى التوحيد، ومَهاهما عن الشركِ وذلك قبل أن يُعبر لهما الرؤيا، وهكذا الداعية إلى الله ينبغي أن يغتنم الفرصَ فيدعوا إلى الله في كلِّ مكانٍ وزمانٍ بما يتناسبُ مع الظروف والأحوال والأشخاص، وكم أدرك الدُّعاة الأَكفاء والعلماء والأعلام في هذه المناسبات من المكاسبِ العظيمة.

أيها الأحبة.. يقول تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَٰكِن تَصَدِّقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١].

الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي جعل في قصص الأنبياء عظةً وعبرةً وتسليّةً للمؤمنين، وأشهد أن لا إله إلا الله وإني الصالحين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله إمام الأنبياء وقُدوة الدعاة الصالحين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

أيها الأحبة: من الفوائد واللطائف القيمة التي نستفيدها من قصة يوسف عَلَيْهِ السَّلَام: أن من وَقَعَ في مكروهٍ وشدة فلا بأس أن يستعينَ بمنَّ له قُدرةٌ على تخليصه بفعله أو الإخبار بحاله، وهذا ليس شكوى إلى المخلوق بل هو من فعل الأسباب المعينة على الخلاص من الظلم والشدة، ولذا قال يوسف للذي ظنَّ أنه ناج منهما: ﴿أذْكُرُنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ [يوسف: ٤٢].

وقيل: إن التعلق الأكمل بالله أن لا تسأل الناس شيئاً ولا تترجو شفاعته من مخلوق، ولذا لبث يوسف في السجن بضع سنين لما رجا شفاعته الرجل.

ومنها: أنه ينبغي للمعلم والداعي إلى الله استعمال الإخلاص التام في تعليمه ودعوته، وأن لا يجعل ذلك وسيلة إلى معاوضة في مالٍ أو جاهٍ أو نفع دنيوي كما لا يمتنع من التعليم إذا لم يستجب المتعلم لما كلفه به المعلم، وهذا حال يوسف وصَّى أحد الفتيين فلم يُنفذ الوصية، ثم رجع نفس الفتى يسأل يوسف عن الرؤيا فأجابهُ ولم يعنِّفه أو يؤبِّخه أو يحاسبه على عدم تنفيذ الوصية.

ومنها: أنه لا بأس أن يُخبر الإنسان عمّا في نفسه من الصفات الحسنة من العلم وغيره إذا كان في ذلك مصلحة للناس، وسلم من الكذب، لقوله: ﴿أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥]، فليس هذا من التباهي والتفاخر وإنما لئلا يتولى على الناس من يعبث بأموالهم ويفسد معاشهم غير يوسف.

من الفوائد: أن حسن التدبير مطلوبٌ والإخلاص في العمل شرطٌ لقبوله، وقد تحقّق ذلك ليوسف فكثرت الخيرات في عهده، وهكذا من ولي من أمر المسلمين شيئاً سواها كانت الولاية صغيرة أو كبيرة عليه أن يرفق بهم، وأن يُساعدهم، وأن ينصح لهم ليتحقّق على يديه الخير لهم - إن شاء الله -.



ومنها: مشروعية الضيافة، وأنها من سُنَنِ المرسلين: ﴿الآتَوْتِ أُنَىٰ أَوْ فِي الْكَيْلِ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ [يوسف: ٥٩]، أي المضيفين.

ومنها: جواز استعمال الأسباب الرافعة للعين وغيرها من المكاره أو الرافعة لها بعد نزولها غير ممنوع وإن كان لا يقع شيء إلا بقضاء الله وقدره فإن الأسباب أيضا من القضاء والقدر، لقوله يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿يَبْنِي لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَجِدِ وَأَدْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [يوسف: ٦٧].

مما يستفاد من قصة يوسف: أنه لا يسوغ أن يشهد العبد إلا بما علم وتحقق منه برؤية أو سماع: ﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾ [يوسف: ٨١].

ومنها: إذا حصلت النعم على العباد فينبغي أن يتذكروا ما كانوا عليه في السابق من أجل شكر النعم لأنها إذا شُكرت قُرت، وإذا كُفرت فُرت.

من الفوائد: الإلحاح على الله بالدعاء وسؤاله التثبيت لأن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء.

من أبلغ العبر: فضيلة الصبر والتقوى وأن عواقبه حميدة، وهكذا كان حال يعقوب ويوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال الله: ﴿إِنَّهُ، مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠] فقد اجتمعت التقوى والصبر والإحسان في يوسف، ومن كان كذلك كانت عاقبته إلى رفعة وتمكين ولا بد.

ومن آخر هذه الفوائد القيمة: أن يوسف كان مملوكًا في القصر وبيع لعزيز مصر، فلو أطاع شهوة لحظة - وحاشاه - لم ينل ما ناله من الرفعة والمكانة، ولم يؤت النبوة، ولم يُذكر في كتاب الله ويكون له لسان صدق في الآخرين إلى قيام الساعة، فلقد أصبح بعفته وصبره وخشيته لله في الغيب: ملك القصر وعزيز مصر، ومن ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه.

ومنها: حسن أخلاق يوسف حيث قال لإخوته: ﴿لَا تَتْرِبْ عَلَيْكُمْ أَيُّومَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [يوسف: ٩٢] أي: لا عتاب، فلم يعاتبهم بل دعا لهم، ثم لم يذكرهم بفعالهم، حتى حين قال لأبويه: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجْتَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾ [يوسف: ١٠٠]، فلم يذكر فضل الله عليه بإخراجه من الحب، مع أنه مقرر بذلك،

والجب أخطر من السجن لأنه مظنة الموت والهلاك، من أجل أن لا يخرج إخوته بتذكيرهم بماضيهم وخطئهم، ثم قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾ [يوسف: ١٠٠]، فرد الأمر إلى نزغ الشيطان، وجعل الأمر مشتركاً بينه وبين إخوته، عاذراً لهم من الغيرة التي كانت في قلوبهم والتي نفخ الشيطان فيها، وهذا غاية في المروءة والتغافل، وهو من الصفح الجميل.

فمتى ترانا نتعامل بمثل تعامل يوسف عَلَيْهِ السَّلَام؟ تصافحوا وتساحوا، فمهما لقيتم من بعضكم لن تبلغوا إلى ما بلغ الأمر بإخوة يوسف أن يحاولوا قتله وإبعاده، وأن يتسببوا له بالغرابة والعبودية والسجن، ومع ذلك فلم ينتقم وقد كان قادراً، بل لم يؤنب ولم يعاتب، ﴿وَمَا يُلْقَنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ [فصلت: ٣٥].

وهذه القصة مليئة بالعظات والعبر ولعل قراءتها والتمعن في تدبر آياتها يجعل العبد يفقه كثيراً من أسرارها. نسأل الله بمنه وكرمه أن يجمعنا بيعقوب ويوسف و بمحمد والدينا وأحبابنا في جنات النعيم.





## فوائد من قصة يوسف مع امرأة العزيز<sup>(١)</sup>

### الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ؕ وَلَا تَمُونَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَدٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

أيها الناس: لا شك أن مرحلة الشباب هي ذروة مراحل العمر، ولذا يُسأل العبد عن عمره فيما أفناه، ثم يُسأل سؤالاً خاصاً عن شبابه فيما أبلاه، مع أنه جزء من العمر، والأمر يكون أكثر جدية ويحتاج أكثر عناية في زمان كهذا الزمان الذي تلاطمت فيه فتن الشهوات والشبهات، وتتضاعف المسؤولية على الشاب في أن يبصر مواضع قدمه، وأن يبادر هذه الفتن بالأعمال الصالحة قبل أن يدهم عليه الليل فتذهب به أهواء النفس كل مذهب، فعمل مشكلة تأجج الشهوة في تلك الحقبة من العمر وانتشار دواعيها مع كثرة المغريات هي واحدة من أكبر هذه المشكلات، وأهمها لدى الشباب..

(١) لم تتمكن من معرفة صاحب الخطبة، وهي من أفضل الخطب في هذا الباب.



وإذا كانت العفة مطلباً شرعياً واجتماعياً صيانة للدين وحفاظاً على المجتمع بحفظ أهم طبقة فيه فلا يخفى صعوبة هذا المطلب في مثل زماننا، زمان الفضائيات والكليبات والشبكات العنكبوتية والتي تتكاتف جميعاً لعولمة النمط الثقافي والاجتماعي الغربي والشرقي غير المسلم بما فيه من إباحية وهدم للمنظومة الأخلاقية، ومغايرة للمفاهيم الإسلامية والشرقية.

وكل هذا يجب أن لا يملنا على اليأس والاستسلام والرضا بالواقع، بل على العكس ينبغي أن يحث الهمم ويهيج على العمل لدرء الفتن وصيانة الشباب. ويبقى الأمل في نفوسنا وحسن ظننا بشبابنا باباً ندخل منه لدعوتهم وتحفيزهم لتحسين أنفسهم ومجاهدة الفتن والشهوات وعدم الرضوخ لها والوقوع في أسرها.

أيها المؤمنون.. وإننا حين نتحدث عن مواجهة الشهوة لا نتحدث عن أمر معجز يستحيل الحصول عليه، وإنما مطلب واقعي ممكن، وإن كان صعباً. وقد قص علينا القرآن قصة من قصص الشباب مع الشهوة ليتخذ شبابنا منها قدوة وأسوة ودرساً عملياً في كيفية التعامل مع مثل هذه المواقف، ويتعرف على الأسباب المعينة على الخلاص من ورطاتها. إنها قصة نبي الله يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ.

إن الواقع الذي عاشه يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ هو في الحقيقة أشد من أي واقع يقابله شاب منا، فلقد تهيأت له كل أسباب الفاحشة ودواعيها:

فالشباب والقوة والشهوة متوفرة؛ فقد كان في عنفوان شبابه، وهو يحتاج لتصرف شهوته وهو عزب، ولا مصرف له حلال، وقد بذلت له ولم يسع إليها.. والمرأة جميلة؛ فهي زوجة العزيز ومثله لا يتزوج إلا بأجمل النساء.

ولا خوف من العقوبة؛ فالمرأة هي الطالبة والراغبة، وقد طلبت وأرادت بل وراودت، فكفته مؤنة التلميح أو التصريح بالرغبة.

ثم إنها قد أغلقت الأبواب عليهما ليكونا في مأمن، ولترفع عنه حرج الخوف من الفضيحة.



ثم هو غريب في بلد لا يعرفه أحد؛ فلا خوف من أن يفتضح، وهو خادم وهي سيده، فهو تحت سلطانها وقهرها، فلا خوف من إجابتها إلى ما أرادت، بل يخاف إن لم يجيبها أن يطوله أذاها.

وقد عانى عظم الفتنة وشدة الإغراء.. فالمرأة لا شك قد أعدت للأمر عدته وبيته بليل وخططت له، فدخلت وأغلقت الأبواب كل الأبواب، وبدأت في المراودة، ومثل هذه لا بد أنها تزينت بكل زينة وجمعت كل فتنة، فما ملك إلا الهرب، وأنقذه هذه المرة وجود سيده لدى الباب رغم أن ردة فعله كانت مخيبة للآمال.

ولقد تكرر الموقف لا شك مرات، وقد هددته وتوعدته وخوفته بالسجن، ورأى جرأتها على زوجها وقدرتها على الاحتيال لتنفيذ أمرها، وإصرارها على تحصيل مبتغائها في اتباع هواها وقضاء وطرها، والإعلان بذلك أمام النسوة في وقاحة وعدم حياء أو خوف، مع أمنها مكر زوجها؛ فهو ضعيف الغيرة، وهذا ظاهر من قوله: ﴿يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ إِنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ [يوسف: ٢٩].

لقد أعلنتها صريحة: ﴿وَلَقَدْ زَادْتَهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعَصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيَكُونًا مِنَ الصَّغِيرِينَ﴾ [يوسف: ٣٢]. فما وجد يوسف الصديق بعد كل هذا إلا أن يعتصم بالله، وأن يقدم رضا الله على هوى النفس، بل ويرضى بالسجن (وأرجو أن نلاحظ ذلك) ترك اللذة والشهوة، وآثر عليها السجن بما فيه، وهو لا يدري متى سيخرج منه، ولعله لا يخرج أبداً، لكنه كان أحب إليه من رغبة الشباب ولذة الحرام، فأطلقها صريحة: ﴿رَبِّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣].

إننا يا شباب نحتاج إلى استحضار هذا الموقف وأشباهه لتتخذة أنموذجاً يحتذى، ومثلاً يقتدى، ومنتشبت بها تشبث به يوسف لتنجو من أغلال الشهوة وذل المعصية.

لقد تمسك الصادق العفيف (يوسف) بأمور كانت سبباً بعد توفيق الله وحفظه في عصمته وصيانته، ولو تمسك بها كل واحد منا لبلغ بأمر الله بر الأمان كما بلغه يوسف:

أولها: خوف الله وتعظيمه ومراقبته.. فلقد كان في خلوة لا يراه من البشر أحد، والضغوط كلها عليه، ومداخل الشيطان كثيرة، فما بحث عن تبريرات، ولا استسلم لوخر



## فوائد من قصة يوسف مع امرأة العزيز

الشهوات واستحضر في ذلك الموقف العظيم خوفه من الله تعالى ومراقبته له، وتعظيمه لحق الله تعالى فقال لما راودته بملء فيه: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾ [يوسف: ٢٣]، ﴿إِنَّهُ لَا يَفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنعام: ٢١]. وما أجمل هذا الخوف وما أجل عاقبته التي أخبر بها نبينا ﷺ في حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ومنهم: «... ورجل دعت امرأه ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله...»<sup>(١)</sup>.

ثانيها: توفيق الله وحفظه لعبده:

فلما رأى الله تعالى منه صدقه وصبره صرف عنه السوء وصرفه هو عن السوء صيانة له وتكريما وجزاء على عفته: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُتَّخِصِّينَ﴾ [يوسف: ٢٤].

ثالثها: فراره عن أسباب المعصية وترفعه واستعلائه بعفته على أهواء النفوس:

فلما رأى منها ما رأى، وخاف على نفسه فر منها وهرب إلى الباب يريد الخروج، وهي تمسك بتلابيبه وهو يشد نفسه وينازعها حتى قادت قميصه من شدة جذبها له وشدة هربه منها.

وهذا الفرار هو أعظم أسباب النجاة، فالفرار من الأسواق المختلطة، والفرار من المتنزهات، والفرار من الخلوة بالأجنبيات، وصيانة النظر عن رؤية المحرمات والعورات، والبعد عن مواقع الشهوة والعري في النت والفضائيات، كلها من أسباب الثبات والفرار بالدين من الفتن.. وخلاصتها غض الأبصار عن الوقوع في حمى الأخطار.

جُلُّ الحوادث مبدؤها من النظرِ  
ومعظم النار من مستصغر الشررِ  
كم نظرة بلغت من قلب صاحبها  
كمبلغ السهم بين القوس والوتر  
يسرُّ مقلته ما ضر مهجته  
لا مرحبا بسرور جاء بالضرر

(١) رواه البخاري (١٤٢٣) ومسلم (١٠٣١).



## فوائد من قصة يوسف مع امرأة العزيز

ومن صدق الفرار أن يفر الواحد منا من قراء السوء الذين يذكرونه بالمعاصي، ويحدثونه عنها وعن سبلها ووسائلها وكيفية الوصول إليها، بل ويمدونه بها ويسرونها عليه، فهؤلاء معرفتهم في الدنيا عار وفي الآخرة خزي وبوار.

ومن أراد السلامة فليلزم أهل التقى ومواطن الخير وأصحاب العبادة كما قال العالم لقاتل المائة نفس: «ودع أرضك هذه فإنها أرض سوء واذهب إلى أرض كذا فإن فيها قوما يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم»<sup>(١)</sup>.

رابعها: الدعاء والاتجاء إلى الله:

فقلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها ويصرفها كيف يشاء، فهو سبحانه القادر أن يثبت قلبك ويصرف همم أهل السوء عنك، والتوفيق كله بيده، والخذلان أن يكلك إلى نفسك. وقد علم يوسف ذلك؛ فالتجأ إلى الحصن الحصين والركن الركين: ﴿وَالْأَنْصَرِفُ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَضْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿يوسف: ٣٣-٣٤﴾. فإذا أردت العصمة فاعتصم بربك: ﴿وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿آل عمران: ١٠١﴾.

خامسها: تهويل خطر المعصية وعدم التهوين منه:

فقد رأى الكريم أن الفاحشة أمر عظيم وخطب جليل، وتجروء على حدود الله خطير، وتفكر في عقوبة الآخرة، فهانت عليه عقوبة الدنيا، فاختار السجن ومرارته على أن يلغ في عرض لا يحل له، أو أن يقضي وطراً في غير محله: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴿يوسف: ٣٣﴾.

سادسها: الاعتصام بالإيمان:

فالإيمان يصون أهله ويحمي أصحابه، ومن حفظ الله تعالى حفظه الله في دينه ودينه وأهله وأخراه، وما عصم يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ إلا الإيمان بربه وصدقته معه وإخلاصه له، وقد سجل الله له ذلك فقال: ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿يوسف: ٢٤﴾.

(١) رواه مسلم (٢٧٦٦).



أيها المسلمون: ومن أسباب العفة والعصمة: الزواج أو الصوم..

فلقد عالج رسول الله ﷺ مشكلة الشهوة عملياً بدعوة القادرين على سرعة إعفاف النفس، وكذلك الآباء القادرين على سرعة تزويج أبنائهم لرفع الحرج عنهم وجلب الاستقرار النفسي والاجتماعي، فإن دعت الظروف وامتنعت القدرة فاللجوء إلى الصوم، فإنه يقطع الشهوة ويحطم جموح النفس، وهذه نصيحة نبوية: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج. ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»<sup>(١)</sup>.

ومن الأسباب: تذكر عاقبة العفة..

وهو أمر معين للشباب على هجر الفاحشة ومقاومة الشهوة الجاحمة أن يتذكر عاقبة العفة الدنيوية والأخروية. فأهل العفة هم أهل ثناء الله وفلاح الآخرة: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ [الأعلى: ١٤]. ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: ٥].. ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ [الذين يريثون الفردوس هم فيها خالدون] [المؤمنون: ١٠-١١].

وأهل العفة هم أهل المغفرة والأجر العظيم: ﴿وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].  
وأهل العفة هم أهل الجنة: «من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة»<sup>(٢)</sup>.

ثم تذكر الإحساس بلذة الانتصار على النفس والشيطان، والتخلص من رقة المعصية ومذلة الذنب وكسرة النفس والقلب، وخوف عقوبة الآخرة.

(١) رواه البخاري (٥٠٦٦) ومسلم (١٤٠٠).

(٢) رواه البخاري (٦٤٧٤).



الخطبة الثانية:

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً كما أمر، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إرغاماً لمن جحد به وكفر، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيد البشر، والشافع المشفع في المحشر، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه السادة العُرر.  
أما بعد:

يقول الإمام ابن القيم الجوزية رَحِمَهُ اللهُ متحدثاً عن الفتنة بالصور:

(ونختم بفصل متعلق بعشق الصور وما فيه من المفاسد العاجلة والآجلة وإن كانت أضعاف ما يذكره ذاك فإنه يفسد القلب بالذات وإذا فسد القلب فسدت الإرادات والأقوال والأعمال وفسد ثغر التوحيد.. والله سبحانه وتعالى إنما حكى هذا المرض فأخبر عن عشق امرأة العزيز ليوسف وما راودته وكادته به وأخبر عن الحال التي صار إليها يوسف بصبره وعفته وتقواه مع أن الذي ابتلي به أمر لا يصبر عليه إلا من صبره الله عليه فإن موافقة الفعل بحسب قوة الداعي وزوال المانع وكان الداعي ها هنا في غاية القوة وذلك من وجوه:

أحدها: ما ركب الله سبحانه في طبع الرجل من ميله الى المرأة...

الثاني: أن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ كان شاباً وشهوة الشباب وحدته أقوى.

الثالث: أنه كان عزباً لا زوجة له ولا سرية تكسر قوة الشهوة.

الرابع: أنه كان في بلاد غربة يتأتى للغريب فيها من قضاء الوطر ما لا يتأتى لغيره في وطنه وأهله ومعارفه.

الخامس: أن المرأة كانت ذات منصب وجمال، بحيث أن كل واحد من هذين الأمرين يدعو الى موافقتها.

السادس: أنها غير ممنوعة ولا آبية، فإن كثيراً من الناس يزيل رغبته في المرأة إباؤها وامتناعها.

السابع: أنها طلبت وأرادت وراودت وبذلت الجهد، فكفته مؤنة الطلب وذل الرغبة إليها، بل كانت هي الراغبة الذليلة وهو العزيز المرغوب إليه.



الثامن: أنه في دارها وتحت سلطانها وقهرها، بحيث يخشى إن لم يطاوعها من أذاها له، فاجتمع داعي الرغبة والرغبة.

التاسع: أنه لا يخشى أن تتم عليه هي ولا أحد من جهتها فإنها هي الطالبة والرغبة، وقد غلقت الأبواب وغيبت الرقباء.

العاشر: أنه كان مملوكا لها في الدار، بحيث يدخل ويخرج ويحضر معها ولا ينكر عليه، وكان الأنس سابق على الطلب، وهو من أقوى الدواعي وأخطرها..

الحادي عشر: أنها استعانت عليه بأئمة المكر والاحتيال من النساء، فأرته إياهن وشكت حالها إليهن لتستعين بهن عليه، فاستعان هو بالله عليهن فقال ﴿وَالَا تَصْرِفِ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣].

الثاني عشر: أنها تواعدته بالسجن والصغار وهذا نوع إكراه، إذ هو تهديد من يغلب على الظن وقوع ما هدد به، فيجتمع داعي الشهوة وداعي السلامة من ضيق السجن والصغار.

الثالث عشر: أن الزوج لم يظهر من الغيرة والنخوة ما يفرق به بينها ويبعد كلا منهما عن صاحبه، بل كان غاية ما قابلها به أن قال ليوسف ﴿أَعْرِضْ عَنَّا هَذَا﴾ [هود: ٧٦] وللمرأة ﴿وَأَسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ [يوسف: ٢٩] وشدة الغيرة للرجل من أقوى الموانع.

وهنا لم يظهر منه غيرة، ومع هذه الدواعي كلها فلقد آثر مرضات الله وخوفه وحمله حبه لله على أن اختار السجن على الزنا فقال ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ [يوسف: ٣٣] وعلم أنه لا يطيق صرف ذلك عن نفسه، وأن ربه تعالى إن لم يعصمه ويصرف عنه كيدهن صبا إليهن بطبعه وكان من الجاهلين، وهذا من كمال معرفته بربه وبنفسه.

ثم يقول ابن القيم: وفي هذه القصة من العبر والفوائد والحكم ما يزيد على الألف فائدة !! لعلنا إن وفق الله أن نفردها في مصنف مستقل). انتهى من كتابه الرائع الماتع: (الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي)، والذي ألفه جواباً على سؤال سائل وقع في العشق المحرم، فكان فيه أحسن جواب..



## فوائد من قصة يوسف مع امرأة العزيز

فالموفق من استعلى على هوى نفسه، وغض بصره، وجاهد خطراته وأفكاره قبل أن تستحكم وتستفحل ويصعب علاجها، فإنها دركات كلما نزلت صعب الصعود منها، أو كخيوط العنكبوت لا تلبث مع الاسترسال فيها والتهاون بها أن تنقلب أغلالاً من حديد، عافانا الله وإياكم وكفانا بحلاله عن حرامه.

أيها الناس: إن دور الأسرة عظيم في غرس القيم والفضائل، والآداب والأخلاق، وتربية الجيل على العفة والصيانة، والصدق والأمانة، والترفع عن سفاسف الأمور ومردول الطباع..

إننا ونحن ندعو شبابنا للعفة ومقاومة الشهوة لا ينبغي أن نغفل دورنا كأباء وولادة أمور، بل الواجب على الوالدين تيسير أسباب العفة للأبناء، ودفع غوائل الشهوة عنهم. وغرس الإيمان ومحبة الله وتعظيمه في القلوب بحسن التربية والتنشئة، وسد ذرائع الشهوة بإخراج آلات الفتنة واللهو والإغراء من البيوت، والعلاقة الأخوية ورابطة الصداقة مع أبنائنا التي تحمي من قرناء السوء، وحسن الاستماع والإنصات لمشكلات الأبناء، مع البحث عن العلاج السليم، مع فتح باب المصارحة لإيجاد أيسر الحلول من أقرب الطرق.. كلها معينات للأبناء، ولا تنسوا حديث رسول الله ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته»<sup>(١)</sup>.

نسأل الله أن يصرف عن شباب المسلمين كل مكروه وسوء. والله خير حافظا وهو أرحم الراحمين.

كما نسأله تعالى أن يرزقنا الهدى والتقوى والعفاف والغنى.



(١) رواه البخاري (٨٩٣) ومسلم (١٨٢٩).





## قصة عيسى بن مريم وأمه (١)

### الخطبة الأولى:

الحمد لله يخلق ما يشاء ويختار، ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله إمام المتقين وخاتم النبيين، صلوات الله وسلامه عليه وعلى إخوانه من الأنبياء والمرسلين وعلى آلهم أجمعين، وارض اللهم عن الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

أيها الإخوة في الله:

حديثنا في هذه الجمعة عن مسيح الهدى عبد الله ورسوله المسيح عيسى بن مريم (عليه وعلى أمه السلام) والذي سوف ينزل في آخر الزمان ويحكم بالإسلام ويقتل المسيح الأعمور الدجال.

أيها المسلمون:

إن الله تعالى يخلق ما يشاء ويختار ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥]، وقال تعالى: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٢١].

(١) صالح بن عبدالرحمن الخضير.



ومن فَضَّلَ اللهُ واصطفي، وقَرَّبَ واجتبي: آل عمران. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا  
وَأَالَ إِبْرَاهِيمَ وَأَالَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضًا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾  
[آل عمران: ٣٣-٣٤].

والمراد بعمران في هذه الآية هو عمران والد مريم البتول الذي هو جدُّ عيسى من جهة  
أمه. وقد كان بين عمران الذي هو والد مريم وبين والد موسى مدة قروناً كثيرة.

هذا ولقد نَصَّ اللهُ تبارك وتعالى على اسم والد مريم في قوله تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي  
أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ [التحریم: ١٢]. ولا خلاف أن مريم من سلالة داود عَلَيْهِ السَّلَامُ وكان أبوها  
عمران صاحب صلاة بني إسرائيل في زمانه، وكانت أمها من العابدات، وكان زكريا نبي  
ذلك الزمان زوج أخت مريم أو زوج خالتها<sup>(١)</sup>.

ثم قال تعالى مبيناً كيف حملت أم مريم بمریم وأن الله تعالى أجاب دعائها حيث اشتهدت  
الولد فلما تحققت من الحمل نذرت أن يكون محرراً أي خالصاً مفرغاً لعبادة الله وخدمة بيته  
المقدس معرضاً عن شواغل الدنيا قال سبحانه: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي  
بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا  
وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ﴾ [آل عمران: ٣٥-٣٦] أي في القوة والجلد في العبادة وخدمة المسجد  
الأقصى وفي كون الأنثى لا تختلط بالرجال. ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِلَكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ  
الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦]. أي عودتها بالله عزَّ وَجَلَّ وَحَصَّنَتْهَا به سبحانه من شر الشيطان  
المطروود من رحمة الله، وعودت ذريتها كذلك.

ولم يكن لمريم ذرية قط إلا عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقد استجاب الله سبحانه لأم مريم فقد روى  
البخاري ومسلم عن النبي ﷺ قال: «ما من مولود إلا مسه الشيطان حين يولد فيستهلُّ  
صارخاً من مس الشيطان إياه إلا مريم وابنها» ثم يقول أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم:  
﴿وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِلَكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦]<sup>(٢)</sup>.

(١) ذكر ذلك ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في البداية والنهاية (٥٦/٢).

(٢) البخاري (٤٥٤٨) ومسلم (٢٣٦٦).



فاستجاب الله دعاءها كما تقبل نذرها ﴿فَنَقَبَلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ [آل عمران: ٣٧] فسوى خلقها، ويسر لها أسباب القبول، وقرنها بال صالحين تتعلم منهم العلم والدين فلهذا قال: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ [آل عمران: ٣٧] فجعل الله زكريا عليه السلام كافلاً لها ليتمها وإنما تمت له كفالتها بالافتراع بين شيوخ بني إسرائيل أيهم يكفل مريم وتخاصمهم في ذلك لشدة حرصهم عليها بسبب ما ألقاه الله عز وجل في قلوبهم من حبها وتكريمها قال عز وجل: ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَقْلَمُهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [آل عمران: ٤٤] فوَقعت القرعة لزكريا وهو نبي كريم ورسول عظيم كان زوج أختها أو خالتها وقد وصف النبي ﷺ يحيى بن زكريا وعيسى ابن مريم بأنها ابنا الخالة كما في الصحيحين.

هذا وقد أنزل زكريا مريم في أكرم غرفة فكانت تتعبد فيها وقد لاحظ زكريا أنه كلما دخل عليها المحراب أي الغرفة التي تتعبد فيها وجد عندها رزقاً قال بعض المفسرين: وجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف، قال تعالى: ﴿كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِئُؤُمَّ أَنْتِ لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧].

قال المفسرون<sup>(١)</sup>: (اتخذ لها زكريا مكاناً شريفاً لا يدخله سواه، فكانت تعبد الله وتقوم بما يجب عليها من سداة البيت إذا جاءت نوبتها وتقوم بالعبادة ليلها ونهارها حتى صارت يضرب بها المثل بعبادتها في بني إسرائيل، وعرفت بطهارتها وقنوتها لله رب العالمين قال تعالى: ﴿وَمَرْيَمُ ابْنَتْ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ لَهَا وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِنِينَ﴾ [التحریم: ١٢].

وقال النبي ﷺ: «كامل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران...»<sup>(٢)</sup>. ووصفها الله سبحانه بأنها صديقة في قوله تعالى: ﴿مَا أَلْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ [المائدة: ٧٥].

(١) البداية والنهاية لابن كثير.

(٢) رواه البخاري (٥٤١٨) ومسلم (٢٤٣١).



وأخبر جلّ وعز أن الملائكة بشرتها باصطفاء الله لها من بين سائر نساء العالمين في زمانها وأنه طهرها قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَأَصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَأَرْكَبِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [آل عمران: ٤٢-٤٣].

ثم تأتي طلائع البشائر للصديقة البتول مريم بولدها المسيح عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَكْدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴿٤٩﴾﴾ [آل عمران: ٤٥-٤٩].. الآيات.

وفي سورة مريم حينما تعجبت من إتيان الولد لها بدون زوج بين الله سبحانه أن حكمة خلقه لعيسى من أم بغير أب ليجعل ذلك آية للناس: أي علامة دالة على كمال قدرته وأنه تعالى يخلق ما يشاء كيف يشاء، إن شاء خلقه من أنثى بدون ذكر كما فعل بعيسى، وإن شاء خلقه من ذكر بدون أنثى كما فعل بحواء، وإن شاء خلقه بدون الذكر والأنثى معًا كما فعل بآدم، وإن شاء خلقه من ذكر وأنثى كما فعل بسائر بني آدم.

قال عز وجل: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَأَتَتْهَا مِنْ دُونِهِمْ جِبَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّئْ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّنْسِيًّا ﴿٢٣﴾﴾ [مريم: ١٦-٢٤].

فلقد عرفت أنها ستبلى وتمتحن بهذا المولود الذي لا يحمل الناس أمرها فيه على السداد، ولا يُصدّقونها في خبرها، وبعد ما كانت عندهم عابدة ناسكة، تصبّح عندهم فيما يظنون عاهرة زانية وحاشاها من ذلك.

﴿فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾﴾ [مريم: ٢٤] والسري هو النهر الذي تشرب منه. ﴿وَهَزِي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ سَقَطَ عَلَيْكِ رُطْبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾﴾ فكلّي وأشربني وقري عينًا فإمّا



تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴿ [مريم: ٢٥-٢٦] فأخذت عيسى ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ﴾ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿ [مريم: ٢٧]. أي أمراً منكراً عظيماً. ثم قالوا لها: ﴿يَتَأَخَذَ هَرُونَ﴾ [مريم: ٢٨] وليس المراد به هارون بن عمران أخا موسى كما يظنه البعض وإنما هو رجل صالح من بني إسرائيل يسمى هارون فقد روى مسلم في صحيحه عن المغيرة بن شعبه قال: «لما قدمت نجران سألوني فقالوا: إنكم تقرؤون ﴿يَتَأَخَذَ هَرُونَ﴾ [مريم: ٢٨] وموسى قبل عيسى بكذا وكذا، فلما قدمت على رسول الله ﷺ سألته عن ذلك فقال: إنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم»<sup>(١)</sup>، أي: أن أخواها هارون إنما سمي على اسم نبي الله هارون، ومعلوم أن هارون أخا موسى قبل مريم بزمٍ طويل.

﴿يَتَأَخَذَ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوِيًّا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا﴾<sup>(٢٨)</sup> فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿ [مريم: ٢٨-٣٠] وقد أخبر ﷺ أنه لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: «عيسى ابن مريم وصاحب جريج...» الحديث<sup>(٢)</sup>.

فأنطق الله بقدرته هذا الصغير في مهده، فقال عيسى ما أخبر الله: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾<sup>(٣٠)</sup> وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿<sup>(٣١)</sup> وَبَرًّا بِوَالِدِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾<sup>(٣٢)</sup> وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أُمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿ [مريم: ٣٠-٣٣] وهذا إثبات منه لعبوديته لله عَزَّوَجَلَّ، وأنه مخلوق من خلق الله يحيا ويموت ويبعثُ كسائر الخلائق، ولكن له السلامة في هذه الأحوال التي هي أشق ما يكون على العباد. صلوات وسلامه عليه<sup>(٣)</sup>.

ولما بلغ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أشدهُ أرسله الله تعالى إلى بني إسرائيل وأيده بالمعجزات وبجبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ كما قال تعالى: ﴿وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبِنْتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٨٧] وأعطاه

(١) رواه مسلم (٢١٣٥).

(٢) رواه البخاري (٣٤٣٦) ومسلم (٢٥٥٠).

(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ١٣٤).



الله الإنجيل قال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ [الحديد: ٢٧].

وكان مما أيده الله به وأعطاه إياه ما ذكره في قوله سبحانه: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنجِيلَ﴾ (٤٨) ورَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ ﴿وهو الذي يولد أعمى﴾ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴿أي يخبر الواحد منهم بما أكل في يومه وما ادخره في بيته لغده﴾ (٤٩) ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ (٤٩) وَمَصَدَقًا لِّمَا بَيَّنَّ يَدَىٰ مَنِ التَّوْرَةَ وَلِأَجَلٍ لَّكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (٥٠) إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٤٨-٥٢] ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ إِلْيَاسَ﴾ [الزخرف: ٦٥].

ولما أقام عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ على قومه الحجج والبراهين استمر أكثرهم على كفرهم وضلالهم وعنادهم وطغيانهم<sup>(١)</sup> فانتدب له من بينهم طائفةً سالحة فكانوا له أنصارًا وأعوانًا، قاموا بمتابعته ونصرته وذلك حين همَّ به بنو إسرائيل وشوا به إلى بعض ملوك ذلك الزمان فعزموا على قتله وصلبه فأنتذه الله منهم ورفعهم إليه من بين أظهرهم وألقى شبهه على أحد أصحابه فأخذوه وقتلوه وصلبوه وهم يعتقدونه عيسى وهم في ذلك خاطئون، وللحق مكابرون، وسلم لهم كثير من النصارى ما ادعوه وكلا الفريقين في ذلك مخطئون. قال تعالى: ﴿وَمَكْرُؤًا وَّمَكْرَ اللَّهِ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِيْنَ﴾ [آل عمران: ٥٤] وقال سبحانه: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ [النساء: ١٥٧].

(١) البداية والنهاية للحافظ ابن كثير.



هذا ولقد تعنت اليهود في شأن عيسى وفرطوا وسعوا إلى قتله فخابوا وخسروا وانقلبوا  
أذلة صاغرين وزعموا (قبحهم الله) أن عيسى ولد زنا (عيادًا بالله) فردَّ الله عليهم وفضح  
أكاذيبهم في مواضع من هذا القرآن العظيم. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَبِكْفَرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى  
مَرْيَمَ بُهْتَنًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٥٦].

وقابل هذا غلوَّ النصارى في شأن عيسى حيث زعموا أنه الله. وقالوا إنه ابن الله (تعالى الله  
عن ذلك علوًا كبيرًا). قال الله سبحانه: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ  
مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ  
الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]. وقال: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ  
مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ  
كَيْفَ بَيَّنَّ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [المائدة: ٧٥].

فكيف يضل بعد هذا البيان ضال؟ وكيف يزيغ بعد هذه الحجج زائغ؟ نسأل  
الله الهداية والثبات.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعنا جميعًا بهدايته ووفقنا لتدبره والعمل به.



### الخطبة الثانية:

الحمد لله حمداً طيباً مباركاً فيه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان وسلم تسليماً.

أما بعد: فإن رسالة عيسى عليه السلام قد نُسخَت بهذا الدين العظيم والقرآن الحكيم الذي بعث به رسوله محمداً ﷺ فلا يقبل الله من أحدٍ إلا الإسلام: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥]. وقال ﷺ كما في الصحيح: «والذي نفسي بيده! لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار»<sup>(١)</sup>.

وأهل الإسلام أولى بعيسى من النصراني حيث صدق كثير من جهلة النصراني اليهود في زعمهم، ولهذا قال ﷺ مبيناً ثواب الاعتقاد الصحيح في عيسى وغيره: «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل»<sup>(٢)</sup>. أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق، ونسأل الله أن يدخلنا برحمته الجنة ويقينا من النار.

عباد الله: ثم إن عيسى سوف ينزل في آخر الزمان بعد خروج الدجال وإفساده في الأرض. ويكون نزول عيسى عند المنارة البيضاء شرقي دمشق الشام واضعاً كفيه على أجنحة ملكين. ونزوله من أشراط الساعة وهو ثابت بالكتاب والسنة الصحيحة المتواترة ففيه من الأحاديث أكثر من ثلاثين حديثاً عن رسول الله ﷺ.

ولعل من الحكمة في نزول عيسى دون غيره: أن في هذا رداً على اليهود في زعمهم أنهم قتلوه فيين الله كذبهم وأنه أي عيسى هو الذي يقتلهم ويقتل رئيسهم الدجال. وإذا نزل فإنه يحكم بالشرعية المحمدية ويكون من أتباع رسول الله محمد ﷺ.

(١) رواه مسلم (١٥٣).

(٢) رواه البخاري (٣٤٣٥) ومسلم (٢٨).



ويكون زمن عيسى زمن أمن وسلام ورخاء تخرج الأرض ثمرتها وبركتها كما ثبت في صحيح مسلم.  
ويبقى عيسى في الأرض بعد نزوله سبع سنين ليس بين اثنين عدواه ثم يتوفى بعد ذلك، وهذا كله ثابت في الصحيح.  
أيها المسلمون:

بقي أن يُعلم تفسير قول الله سبحانه: ﴿إِذ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنِي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىٰ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [آل عمران: ٥٥]... فالوفاة هنا إلقاء النوم عليه إلى أن رفعه الله إلى السماء ببدنه وروحه ولقد سمي سبحانه النوم وفاة في قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِالْأَيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ٦٠]..

وأما قوله تعالى: في شأن عيسى عليه السلام: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٩] فالمعنى والله أعلم. على ما ذكره كثير من المفسرين: أن جميع أهل الكتاب يصدقون بعيسى إذا نزل في آخر الزمان لقتل الدجال فتصير الملل كلها واحدة وهي ملة الإسلام الحنيفية (دين إبراهيم عليه السلام). فأخبرت هذه الآية الكريمة أنه يؤمن به جميع أهل الكتاب عند نزوله في آخر الزمان ولا يتخلف عن التصديق به واحد منهم ولهذا قال: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ [النساء: ١٥٩] أي قبل موت عيسى عليه السلام الذي زعم اليهود ومن وافقهم من النصارى أنه قتل وصلب ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٩] أي: بأعمالهم التي شاهدها منهم قبل رفعه إلى السماء وبعد نزوله إلى الأرض<sup>(١)</sup>.

أيها المسلمون: ينبغي أن يزيدنا ما سمعنا يقيناً وإيماناً وتعظيماً لله عزَّ وجلَّ فهو القادر على كل شيء ﴿مَّا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٦] فتأمل كيف اصطفى من شاء ومنَّ عليهم بالهدى والرسالة العظمى، وكيف خلق عيسى من أم بلا أب بل بكلمة منه سبحانه، ذلك تقدير العزيز العليم ثم أرسله برسالته وأيده بآياته، ثم رفعه إلى السماء بروحه وبدنه، وسوف ينزله إذا شاء سبحانه لا إله إلا هو العزيز الحكيم.



(١) عمدة التفاسير عن الحافظ ابن كثير (٤/ ٣٢٣٣).



## عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ والاحتفال بما يسمى الكريسمس

### الخطبة الأولى:

الحمد لله الواحد الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه. أما بعد:

فإن الله كان ولم يكن شيء غيره، فخلق السموات والأرض وما بينهما بالحق؛ ليعبد وحده لا شريك له، فأضلت الشياطين الناس عن عبادة الله الذي خلقهم، فأرسل الله إليهم الرسل وأنزل عليهم الكتب ليعبدوه وحده، وتبشرهم بالجنة إن أطاعوه، وتحذروهم من النار إن عصوه، وقد حرف اليهود والنصارى التوراة والإنجيل، وحفظ الله القرآن الذي أنزله على محمد خاتم النبيين ليخرج به الناس من الظلمات إلى النور، وأظهر بالقرآن - الذي هو كلام رب العالمين - ما كان مخفياً عند أهل الكتاب، وقص عليهم فيه أكثر الذي هم فيه يختلفون، فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون.

فالتوراة التي أنزلها الله على نبيه موسى عليه الصلاة والسلام كانت واحدة فصارت النسخ المشهورة للتوراة ثلاث نسخ:

النسخة العبرانية وهي المعتمدة عند اليهود وجمهور علماء البروتستانت، والنسخة اليونانية التي يعترف بها نصارى الكاثوليك والأرثوذكس، والنسخة السامرية المعتمدة عند اليهود السامريين.

والإنجيل الذي أنزله الله على نبيه عيسى عليه الصلاة والسلام كان واحداً، فصار سبعين إنجيلاً! ولما أراد الإمبراطور قسطنطين جمعَ النصارى على ملة واحدة، اجتمع بأحبارهم في



جَمَعَ نيقية سنة (٣٢٥م)، وأمر بإحراق تلك الأناجيل كلها إلا أربعة أناجيل وهي التي بأيدي النصارى اليوم:

إنجيل متى، ويوحنا، ومرقس، ولوقا، وفيها تحريف وزيادة ونقصان، فقد ادعوا وكذبوا على الله أنه ثالث ثلاثة، وأن عيسى ابن الله، ثم ناقضوا أنفسهم فادعوا أنه صُلب! والحق في عيسى هو ما أخبرنا الله في كتابه القرآن أن عيسى هو ابن مريم، وأن الله خلقه من غير أب كما خلق آدم من غير أب ولا أم، وذلك أعجب، والله على كل شيء قدير، قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥١﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عمران: ٥٩-٦٠].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ١-٤].

ولو كان التثليث حقاً كما يدعي النصارى الضالون لكان الواجب على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وأنبياء بني إسرائيل أن يبينوه حق التبين، فالعجب كل العجب أن تكون شريعة موسى خالية عن بيان هذه العقيدة التي هي مدار النجاة على زعم أهل التثليث، ولا يمكن نجاة أحد بدونها نبياً كان أو غير نبي ومع ذلك لم تذكر في التوراة التي يسميها النصارى العهد القديم! والعجب كيف يدعي النصارى أن التثليث والتوحيد لا يختلفان، فيقولون: الأب والابن وروح القدس إله واحد؛ أي: ١ و ١ و ١ = ١ ومعلوم أن ١ و ١ و ١ = ٣، ولكنهم أضل الناس، وقد ساهم الله الضالين في أم الكتاب سورة الفاتحة.

أيها المسلمون: اعلّموا أنه رغم تحريف الأناجيل، فإنه ما زال فيها أقوال كثيرة تدل على التوحيد وتنقض عقيدة التثليث وادعاء الربوبية لعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ منها:

ما في إنجيل يوحنا (٣/١٧) أن عيسى قال: (وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته). وفي إنجيل مرقس (٢٩/١٢): (الرب إلهنا رب واحد).

إن المسيح عليه الصلاة والسلام هو عبد الله ورسوله وهو بريء من هذه العقيدة الكفرية عقيدة التثليث، ولم يعبد أي نبي من الأنبياء الصليب، بل كلهم كان يعبد الله وحده لا شريك



له، ولا شك أن في كتاب ربنا ما يُعني عن قلوبهم، وعمّا في أنجيلهم، والمسلم مكفيّ بكتاب ربه وسنة نبيه، فقد جاءنا بها عليه الصلاة والسلام بيضاء نقية، لكن من باب إقامة الحجة عليهم من كتبهم، وأيضاً كما قيل:

والحق ما شهدت به الأعداء

أيها الناس: يقول الله في كتابه القرآن المجيد: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران: ٦٧] وقال سبحانه: ﴿ قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٩] أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٩-١٤٠].

لقد أخبر الله في القرآن بأن عيسى بشر بمحمد ﷺ فقال: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ [الصف: ٦].

وما زال في الأنجيل التي بأيدي النصارى اليوم هذه البشارة بمحمد ﷺ ومن ذلك: ما في إنجيل يوحنا (١٦/٧، ١٢، ١٣): (لكني أقول لكم: الحق إنه خير لكم أن أنطلق؛ لأنني إن لم أنطلق لم يأتكم الفارقليط<sup>(١)</sup>، فأما إن انطلقت أرسلته إليكم. وإن لي كلاماً كثيراً أقوله لكم ولكنكم لستم تطيقون حمله الآن. وإذا جاء روح الحق ذاك فهو يعلمكم جميع الحق؛ لأنه لا ينطق من عنده بل يتكلم بكل ما يسمع ويخبركم بما سيأتي).

وقد قال الله في كتابه الحكيم عن محمد ﷺ: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

(١) ولفظ: فارقليط معرّب من اللفظ اليوناني، ومعناه محمد أو أحمد.



إن النصارى قد سبوا الله بمقالة لم يتجرأ بها أحد غيرهم، قال الله سبحانه محذرا لهم: ﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۗ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۗ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۗ﴾ [الكهف: ٤-٥]، وقال سبحانه: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۗ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ۗ﴾ (٨٨) ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطِرْنَ مِنْهُ وَتَنْشِقُ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ۗ﴾ (٩٠) ﴿أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ۗ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ۗ﴾ (٩٢) ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ۗ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۗ﴾ (٩٤) ﴿وَكُلُّهُمْ عَائِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ۗ﴾ [مريم: ٨٨-٩٥].

روى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي، ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار»<sup>(١)</sup>.

إن من المؤسف أن نرى بعض المسلمين بلغ به الجهل بدينه أن يحب النصارى أو يتولاهم ولا يتبرأ منهم، ومنهم من يدافع عنهم برغم شركهم وكفرهم، ولا يعلم أن الله قال في القرآن الكريم: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۗ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ ۗ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۗ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ۗ﴾ (٧٢) ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ ۗ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۗ﴾ (٧٣) ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۗ﴾ (٧٤) ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ۗ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ۗ أَنْظِرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ۗ﴾ (٧٥) ﴿قُلْ أَعْبُدُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۗ وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۗ﴾ (٧٦) ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ۗ﴾ [المائدة: ٧٢-٧٧].

(١) رواه مسلم (١٥٣).



عباد الله: لقد ذكر الله أن النصارى أقرب مودة للمؤمنين، من اليهود والمشركين، ولكن ذلك ليس على إطلاقه، بل إن منهم قسيسين ورهبان لا يستكبرون، وإلا فلا ينبغي الركون إلى من أشرك بالله وادعى له الولد، فقد حذر الله من طاعتهم والركون إليهم، فقال سبحانه: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا فِرْقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٠٠]، وإن الناظر في التاريخ القديم والمعاصر يجد أن ما أصاب المسلمين في الحملات الصليبية النصرانية المتعددة من ظلم وقتل للمسلمين، واحتلال لبلادهم، ونهب لخيراتهم أضعاف أضعاف ما أصابهم من اليهود، كم قتلوا من العباد وخرّبوا البلاد، كم هتكوا من عرض وأفسدوا في الأرض، وهل اليهود المحتلون لفلسطين إلا سيئة من سيئات النصارى؟! فمن احتل فلسطين إلا النصارى الإنجليز ثم سلموها لليهود؟! ومن احتل معظم البلاد العربية إلا النصارى؟!

كم قتل النصارى من المسلمين في تلك البلدان الإسلامية التي كانت تجاهد لتحريرها من احتلالهم؟! في الجزائر فقط قتل النصارى الفرنسيون الملايين! وكم قتل النصارى الإيطاليون من المسلمين في ليبيا؟! وكم قتل النصارى الأميركيون من المسلمين في كثير من البلاد الإسلامية قديماً وحديثاً؟! وصدق الله إذ يقول: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقِنُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧].

لن يزالوا يقاتلون المسلمين إلى قيام الساعة ما دام المسلمون متمسكين بدينهم، ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَىٰ حَتَّى تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠]، ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ ١٥ ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ [الطارق: ١٥-١٦] يكيّدون بالمسلمين عسكرياً وثقافياً واقتصادياً، وقد أخبرنا الله عن سعيهم في إفساد أمور المسلمين فقال سبحانه: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُؤًا مَا عَنِتُّمْ قَد بَدَتْ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: ١١٨].

أيها المسلم: عليك أن تعترف بدين الإسلام الذي ارتضاه الله لعباده، وتترأ من كل دين سواه كما قال الله سبحانه: ﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا الْكُفْرُوتُ﴾ ١ ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ ٢ ﴿وَلَا أَنْتُمْ



عَبِيدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ  
دِينٌ ﴿ [الكافرون: ١-٦].

أيها المسلم: عليك أن تعلم أن الإسلام هو الحق وتدعو من استطعت من الكفار إليه  
بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، قال الله سبحانه: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ  
تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا  
بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

الخطبة الثانية:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فمن ضلالات النصارى احتفالهم بما يسمى عيد الكريسمس، ويعتقدون أنه اليوم الذي ولد فيه عيسى عليه الصلاة والسلام، ويدعون أنه ابن الله ويعبدونه مع الله، ونحن المسلمين نؤمن أنه عبد الله ورسوله، فنحن أحق بعيسى منهم، ولا يجوز للمسلم مشاركة النصارى الكفرة في أعيادهم الشركية، وكيف يشاركونهم المسلم في عيدهم أو يهتفهم عليه وهم يحتفلون بمسبة الله ويزعمون أن هذا يوم ميلاد ابن الله تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا! فهذا من التعاون على الإثم والعدوان والله سبحانه يقول: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

وهل يرضى مسلم بأن يهنئ أحداً ممن ساهم الله الضالين، على ضلاله وشركه؟ إن في هذا

اعتراف وإقرار لهم على شركهم، ثم كيف سيدعوهم إلى الهدى وقد هتأهم على الضلال؟

وقد أفتى أهل العلم القدامى والمعاصرون بحرمة ذلك ونقل لكم فتوى الشيخ

محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللهُ: حيث سئل رَحِمَهُ اللهُ: ما حكم تهنئة الكفار بعيد الكريسمس؛

لأنهم يعملون معنا؟ وهل يجوز الذهاب إلى أماكن الحفلات التي يقيمونها بهذه المناسبة؟

وهل يأتى الإنسان إذا فعل شيئاً مما ذكر بغير قصد وإنما فعله مجاملة أو حياءً أو إخراجاً أو غير

ذلك من الأسباب؟ أفتونا مأجورين.

فأجاب رَحِمَهُ اللهُ بقوله: تهنئة الكفار بعيد الكريسمس أو غيره من أعيادهم الدينية حرام

بالاتفاق كما نقل ذلك ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في كتابه أحكام أهل الذمة حيث قال: (وأما التهنئة

بشعائر الكفر المختصة به فحرام بالاتفاق مثل أن يهتفهم بأعيادهم؛ فهذا إن سلم قائله من

الكفر فهو من المحرمات وهو بمنزلة أن يهتف بسجوده للصليب؛ بل ذلك أعظم إثماً عند الله

وأشد مقتاً من التهنئة بشرب الخمر، وقتل النفس، وارتكاب الفرج الحرام ونحوه. وكثير ممن

لا قدر للدين عنده يقع في ذلك ولا يدري قبح ما فعل، فمن هنا عبداً بمعصية أو بدعة أو

كفر؛ فقد تعرض لمقت الله وسخطه).



وإنما كانت تهنته الكفار بأعيادهم الدينية حرامًا وبهذه المثابة التي ذكرها ابن القيم؛ لأن فيها إقرارًا لما هم عليه من شعائر الكفر ورضا به لهم، وإن كان هو لا يرضى بهذا الكفر لنفسه، لكن يجرم على المسلم أن يرضى بشعائر الكفر أو يهنئ بها غيره؛ لأن الله تعالى لا يرضى بذلك كما قال الله تعالى: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّي وَعَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧] وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وتهنتهم بذلك حرام سواء كانوا مشاركين للشخص في العمل أم لا.

وإذا هئوونا بأعيادهم فإننا لا نجيبهم على ذلك لأنها ليست بأعياد لنا، ولأنها أعياد لا يرضاها الله تعالى؛ لأنها إما مبتدعة في دينهم وإما مشروعة لكن نسخت بدين الإسلام الذي بعث الله به محمدًا ﷺ إلى جميع الخلق وقال فيه: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]. وإجابة المسلم دعوتهم بهذه المناسبة حرام؛ لأن هذا أعظم من تهنتهم لها لما في ذلك من مشاركتهم فيها.

وكذلك يجرم على المسلمين التشبه بالكفار بإقامة الحفلات بهذه المناسبة أو تبادل الهدايا أو توزيع الحلوى أو أطباق الطعام، أو تعطيل الأعمال ونحو ذلك؛ لقول النبي - ﷺ: «من تشبه بقوم فهو منهم»<sup>(١)</sup>. قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم: (مشابهمهم في بعض أعيادهم توجب سرور قلوبهم بما هم عليه من الباطل).

ومن فعل شيئًا من ذلك، فهو آثم؛ سواء فعله مجاملةً، أو توددًا، أو حياءً، أو لغير ذلك من الأسباب؛ لأنه من المداهنة في دين الله، ومن أسباب تقوية نفوس الكفار وفخرهم بدينهم. والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



## قصة حكمة سليمان بن داود عَلَيْهِ السَّلَام (١)

### الخطبة الأولى:

الحمد لله أحمده عَزَّوَجَلَّ وأشكره، أتى سليمان العلم والحكمة وعلمه مما يشاء، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، ﷺ وعلى آله وأصحابه أجمعين، وعلى التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فاتقوا الله - عباد الله - وتزودوا فإن خير الزاد التقوى.

عباد الله: يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلْنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ

عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَبْنَئُهَا النَّاسُ عِلْمَنَا مَنَظِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿﴾ [النمل: ١٥-١٦].

لقد وهب الله عَزَّوَجَلَّ الملك لداود على بني إسرائيل، وشدّ الله ملكه، وآتاه من كل ما يحتاجه الملك، وآتاه الحكمة وفصل الخطاب، فهو يحكم بينهم، ويدلون بحججهم عنده، وهو يفصل بينهم.

ثم وهبه الله عَزَّوَجَلَّ سليمان عَلَيْهِ السَّلَام، وعندما كان سليمان في الحادية عشرة من عمره وكان أبوه شيخاً كبيراً في السن دنت به السنون إلى الأجل المحتوم، فأصبح نائب التفكير في أمر قومه، مهتماً بمن تكون له الولاية من بعده، يرى أبناءه من حوله وسليمان وإن كان صبيّاً إلا أنه يفضلهم علماً وحكمة، وأصبح سليمان في هذا السن -الحادية عشرة- قادراً على أن يصرف الأمور تصريف الناقد البصير، وكان من عادة داود أن يجلس ابنه سليمان مجلسه، والخصومات ويريه القضايا التي ترد بين يديه حتى تزداد قوة معرفته ورأيه، فكان سليمان ملازماً لأبيه في مجلسه.

(١) مسفر بن سعيد الزهراني.



وفي مجلس من مجالس القضاء جلس النبي الملك داود، وجلس بجانبه ابنه سليمان، فأتى خصان، قال أحدهما: إن زرعاً له قد أتى ثمره ودنت قطوفه وصار بهجة الناظر وعتاد الزارع، فانتشرت فيه غنم خصمه ولم يردها راداً، بل سامت وانسابت في الزرع ليلاً فأهلكته وأبادته حتى صار أترًا بعد عين، ولم يدفعه ولم يرد دعواه صاحب الغنم بحجة ولا دليل، فلزمته الحجة، وحققت عليه كلمة القضاء، فحكم داود بالغنم لصاحب الزرع يأخذها خالصة مقابل زرعه الذي أكلته وأتلفته، وجزاء إهمال صاحبها الذي تركها فنفتشت الزرع بالليل -أي رعته ليلاً بلا راع-.

ولكن الصبي سليمان وقد آتاه الله علماً وحكمة وأوقفه على دقيقات هذه الخصومة انبرى في مجلسه، وفك عقال صمته، واستأذن والده في الحكم فقال: «غير هذا أرفق، ودون هذا أوفق: تدفع الغنم إلى أهل الحرث ينتفعون بألبانها وأولادها وأشعارها، وتسلم الأرض إلى أصحاب الغنم يقومون على زراعتها حتى تعود كما كانت، ثم يترددان فيأخذ كل ما كان تحت يمينه، وبذلك لا يكون هناك غرم ولا غنم، فهذا أقرب إلى العدل وأصح في الحكم وأولى في القضاء»، قال الله تعالى في ذلك: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحَكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا ءَايَنَّا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنبياء: ٧٨-٧٩]. فكان هذا مبدءاً ظهور أمر النبي سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي كان خير خلف لأبيه فيما بعد.

أيها الناس: لقد ورث سليمان داود في الملك والنبوة، فاتجهت همته إلى بناء بيت المقدس بالشام تسهيلاً لأسباب العبادة، فأقام بنيانه شامخاً، ولما تم له ذلك اطمأن قلبه وسكنت نفسه.

أتى الله نبيه سليمان العلم والحكمة وعلمه منطق الطير وآتاه من كل شيء، قال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَأْتِيهَا النَّاسُ عُلْمًا مَطْنَقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾ [النمل: ١٦].

لقد وهب الله عزَّوَجَلَّ لداود سليمان -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِداوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾﴾ إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعِشِيِّ الصُّفْرِيَّةَ لِلجِيَادِ ﴿ص: ٣٠-٣١﴾ أي: الخيل التي تقوم



على يد ورجل، السريعة الجري، ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ [ص: ٣٢]، أي شغلتنى الخيل عن ذكر الله حتى أغربت الشمس حتى فاتت عليه صلاة العصر، ﴿رُدُّوْهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ [ص: ٣٣]، أي: أخذ يذبحها تقريباً إلى الله عَزَّوَجَلَّ حتى لا تشغله عن ذكر الله وطاعته.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ﴾ [ص: ٣٤]، أي: ابتليناه بأن ألقينا على كرسي ملكه صنماً، وكان ذلك أمراً عارضاً، ثم رجع إلى الله بالتوبة والاستغفار، ورجح بعض أهل العلم أن المقصود بهذا الجسد: هو شق غلام جاءت به إحدى نساته، حيث إنه - كما في الصحيحين - قال يوماً لجلسائه: «لأطوفن الليلة على مائة امرأة، تأتي كل واحدة منهن بفارس يقاتل في سبيل الله، فقال له جلسيه - وكان ملكاً - : قل إن شاء الله، فلم يقل، فلم تأت إلا امرأة منهن بشق غلام».

ولقد روى الأثريون ها هنا قصصاً مطولة ومختصرة مؤتلفة ومختلفة. قال ابن كثير: (وكلها متلقاة عن أهل الكتاب، وفيهم طائفة لا يعتقدون نبوة سليمان عَلَيْهِ السَّلَام، فالظاهر أنهم يكذبون عليه، ولهذا كان في سياقها منكرات).

والمراد هنا فتنة سليمان أنها اختبار من الله له عَلَيْهِ السَّلَام لما آتاه الله من الملك ومدى طاعته لله حتى ظهر فضله فقط، ثم بعد ذلك آتاه الله الملك العظيم، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ ٣٥ ﴿فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ ٣٦ ﴿وَالشَّيْطَانَ كُلَّ بَنَاءٍ وَعَوَاصِرٍ﴾ ٣٧ ﴿وَالْآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ ٣٨ ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ٣٩ ﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّكَابٍ﴾ [ص: ٣٥-٤٠].

وفي يوم من الأيام جمع سليمان عساكره من الجن والإنس والطيور، فرأتهم نملة متوجهين إلى وادي النمل فصاحت بهن: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: ١٨]، أي لا يعلمون بمكانكم، فنادت، وأمرت، وحثرت وأندرت، وبررت واعتذرت لسليمان وجنوده بأنهم لا يشعرون، فما كان من سليمان عَلَيْهِ السَّلَام إلا أن تبسم ضاحكاً من هذا القول البديع حين أسمعه الله قولها وأفهمه لغتها، ودعا الله عَزَّوَجَلَّ معترفاً



مبتهلاً أن يلهمه شكر نعمه عليه وعلى والديه، وأن يعمل صالحاً يرضى الله، وأن يدخله برحمته في عباده الصالحين.

ويوماً آخر.. تفقد سليمان الطير فوجدها جميعاً إلا الهدهد، وقد كان يطلبه ليدله على الماء، فلم يجده، فأقسم ليعذبه أو ليدبحنه إلا أن يأتي بحجة واضحة يبين فيها عذره ويزيل ما يخالج النفس في أمره، وهذا من عدل سليمان وأناته وعدم تسرعه حتى مع مخلوق صغير وطائر حقير، ولكن الهدهد غاب مدة قصيرة وعاد يخفض رأسه وذنبه متواضعاً لسيدته، وتقدم الطائر ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ ﴾ (٢٢) إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم ﴿ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ (٢٤) ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ [النمل: ٢٢-٢٦].

وهنا ندرك تواضع سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ حينما قال له الهدهد: ﴿ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ ﴾ [النمل: ٢٢]، وهذه لفتة للأب والمربي وحتى الصديق وكل إنسان أن لا تأخذه العزة بالإثم أو الكبرياء واحتقار الآخرين، أو تسفيه آرائهم قبل استماعها ووزنها بميزان الحق والعدل، مع الأناة والثبات، كما فعل سليمان مع الهدهد، فلم يستعجل في العقوبة، ولم يحكم بالشبهة والظن، بل ترك للهدهد الفرصة في الدفاع عن نفسه وإبداء حجته وعذره.

دُهِشَ سليمان لهذا الأمر العجيب، ورأى أن لا يرد الهدهد في خبره، وقال ﴿ قَالَ سَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ (٢٧) أذهب بكتبي هكذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون ﴿ [النمل: ٢٧-٢٨] إن كان الأمر كما وصفت فهذا كتاب اذهب به وألقه إليهم ثم تنح عنهم إلى مكان تنتظر رأيهم وترقب جوابهم، فحمل الهدهد الكتاب، ثم سار به إلى بلقيس ملكتهم، فوجدها في قصرها في مأرب باليمن، فطرح الكتاب أمامها، فتلقفته وقرأته فإذا فيه: ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ (٣٠) ألا تعلوا عليَّ وأتوني مسلمين ﴿ [النمل: ٣٠-٣١].

فجمعت الملكة بلقيس أمراءها وأكابر دولتها إلى مشورتها لتخبرهم عن أمر هذا الكتاب وتأخذ رأيهم فيه، فقالوا: نحن أبناء حرب وجلاد، لا أهل رأي وسداد، وقد تركنا أمورنا



لتدبيرك، فانظري ماذا تأمرين نكن طوع أمرك. لمحت الملكة في كلام رجالها ميلاً إلى الحرب والمدافعة، فخطّت رأيهم، وأبانت لهم أن الصلح خير وأحسن، فقالت: إن الملوك إذا غلبوا قرية ودخلوها عنوة بحرب خربوها، فأبادوا حضارتها، وجعلوا أعزة أهلها أذلة، فذلك دأبهم ما تعاقبت الأيام وتوالت الأزمان، وإني مرسلّة إلى سليمان بهدية فيها من كل غال وثمان، أصانعه بها على ملكي، وأتئين بها سبيله وماذا يريد، وكانت ذكية عاقلة.

ثم بعثت إلى سليمان بهدية مع رجال من كرام القوم، فانتقل الرسل بالهدايا، وأقبل الهدهد إلى سليمان بيته الخبر، فاتخذ سليمان للأمر عدته، وأمر الجن فزينوا له بناءً عجيباً وصرحاً مشيداً يسلب الألباب، ويهر أعين الناظرين، فلما دنا القوم نظروا إليه فبهتوا وأقبل عليهم سليمان بوجه طلق يرحب بقدمهم بما حملوا من هدايا ونفائس يتغنون بها رضا وقبولاً من النبي الكريم.

فعمّ سليمان عما في أيديهم وقال للرسول: ارجع إليهم بهديتهم، فإن الله أعطاني الرزق السخي والعيش الرضي، ومد لي أسباب النبوة والملك، وآتاني ما لم يؤت أحدًا من العالمين، ولا يمكن أن أقبل بهالٍ يلهيني عن الدعوة إلى الله، فأنتم بهديتكم تفرحون، ارجع -أيها الرسول- إليهم فلنأتينهم بجنود لا قدرة لهم بهم ولا احتمال، ولنخرجنهم من أرضهم - أرض سبأ - أذلة صاغرين، ذاهبًا عنهم العز والملك والسلطان.

عاد الرسل فأخبروا بلقيس بما رأوا وما سمعوا، وشاهدوا من الملك العظيم، والسلطان الواسع، والقوة التي لا مثيل لها، فقالت: ليس لنا بدٌ من السمع والطاعة، فلنبادر إجابته ونسارع لقبول دعوته.

وكان ذلك من عقلها وحكمتها وأناتها، ورُب امرأة فطنة فيها من رجاحة العقل ولطف الجواب وحسن التدبير ما ليس في بعض الرجال..

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه وسنة خاتم رسله، أقول ما سمعتم وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.



### الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، ﷺ وعلى آله وأصحابه أجمعين، وعلى التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

أيها المسلمون: لما سمع سليمان بقدوم بلقيس وقومها عليه ووفودهم إليه، قال لمن بين يديه ممن سخره الله له من الجن: أيكم يأتيني بعرشها - أي كرسي الملك - قبل أن يأتوني مسلمين؟! قال عفريت من الجن: أنا أتيك به قبل أن ينقضني مجلس حكمك فتقوم من مقامك، وإني لذو قوة على إحضاره، وأمين على ما فيه، ثم قال الذي أوتي العلم والحكمة: أنا أتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك، أي نظرك بالعين، أي في سرعة هائلة.

وصل عرش بلقيس إلى سليمان في لمح البصر، فما كان منه إلا أن قال وهو في قمة عزه وملكه، وقوته وسطوته، هذا من فضل ربي عليّ، وتلك نعمة من نعمه، ليلبوني أشكر أم أكفر، ومن حسنت النعمة لديه وصادفت من قلبه مكاناً فشكر ربه فإنما يشكر لنفسه، لأنه المستحق للشكر، وأما من كفر بنعمة ربه فإنما هو من الذين خسروا الدنيا والآخرة، والله غني عن العالمين. لم تغرّه الجنود المحتشدة، ولا الملك العظيم، بل اعترف للمنعم، وشكر النعم، وهذا هو سبب دوامها، خلاف ما قاله قارون حين اغتر بها آتاه الله من الأموال، فقال: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص: ٧٨]، فخسف الله به وبداره وأمواله الأرض.

ثم قال سليمان لجنوده: نكروا لها عرشها، فلما جاءت قيل: أهكذا عرشك؟! فاستبعدت أن يكون ذلك عرشها وقد خلّفته بأرض سبأ، ولكنها في نفس الوقت رأت معاملته وتبينت بعض علاماته ومحاسنه، فدهشت لذلك الأمر الغريب فأجابت بجواب متوسط، لا بإثبات مطلق، ولا بنفي مطلق، بل قالت: ﴿كَأَنَّهُ هُوَ﴾ [النمل: ٤٢]، وهذا من عقلها أيضاً.

وكان سليمان قد أمر ببناء صرح من زجاج أبيض، ثم دعا ملكة سبأ إليه، فلما رأته حسبته لجة، أي ماءً عظيماً، فكشفت عن ساقها، أي للخوض فيه، فقال لها سليمان: إنه صرح مرد من

قوارير، أي إنه صرح مملس من الزجاج، عند ذلك انكشف حجاب الغفلة عنها وعلمت أن هذه خوارق لا تكون إلا لنبي، فقالت: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤]، فدعت الله عَزَّوَجَلَّ واعترفت أنها مالت زمنًا عن عبادته، وضلت عن رحمته، فظلمت نفسها وحبستها عن نور الله، أما الآن فقد أسلمت مع سليمان خالصة الإيمان بالله متوجهة إلى طاعته، فهو رب العالمين وأرحم الراحمين.

أيها الناس: لقد أسأل الله عَزَّوَجَلَّ لسليمان القطر، أي النحاس المذاب، وهي عين مصطهرة تقذف بالنحاس من باطن الأرض، فيقبل عليه صنَّاعُه من الجن للانتفاع به في شتى أعمال الإصلاح والتعمير، ومن الجن من يعمل له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات، -المحاريب: مساكن ومحال شريفة أو مساجد، والتماثيل: صور ونقوش منوعة على الجدر والأسقف والأعمدة، وجفان كالجواب: أي صحاف كالحياض الكبار، والجفان جمع جفنة، وهي كالصحفة والقصعة، وقدور راسيات: أي ثابتات، فهي لكبرها وعظمتها لا تزال في مواضعها التي وضعت فيها.

عباد الله: وأما عن موت سليمان عَلَيْهِ السَّلَام، فقصته عجيبة، فبينما كان يصلي عَلَيْهِ السَّلَام في محرابه، مات وهو متكئ على عصاه، وكما نعلم بأن الشياطين والجن كانوا مسخرين له عَلَيْهِ السَّلَام، وأن مثلهم مثل الإنس لا يعلمون الغيب، فبقي كل منهم يؤدي المهمة التي كُلِّف بها، وهم ينظرون إليه، ولا يعلمون أنه قد مات، فصارت دودة الأرض، تأكل من عصاه، فإنهار الجزء الذي أكلته فاختل توازنه، فسقط عَلَيْهِ السَّلَام، عندها علم الناس والجن أنه قد مات، وذلك قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ [سبأ: ١٤].

اللهم علمنا علمًا نافعًا، وعملاً صالحًا متقبلاً، ونسألك اللهم قلبًا خالصًا، ولسانًا ذاكراً صادقًا..

وصلوا -عباد الله- وسلموا على خاتم رسل الله نبينا محمد ﷺ.





## أشراط الساعة (١)

## الخطبة الأولى:

الحمد لله، إنها أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له: كن، فيكون، يُعَذَّب من يشاء ويرحم من يشاء وإليه تُقلَّبون، ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ [الروم: ٢٠]، أحمده سبحانه وأشكره ترادفت علينا نعمه وتوالت آلاؤه، ﴿وَمَا يَكُم مِّن نَّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ﴾ [النحل: ٥٣].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة خالصة مُخلصة تنفع قائلها يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبد الله ورسوله النبي المصطفى والرسول المجتبي الأمين المأمون، صلى الله وسلّم وبارك عليه وعلى آله الأطهار وصحابته الأخيار الذين هدوا بالحق وبه كانوا يعدلون، والتابعين ومن تبعهم بإحسان، صلاةً وسلاماً دائماً دائمين إلى يوم يبعثون.

أما بعد: فأوصيكم -أيها الناس- ونفسي بتقوى الله عَزَّوَجَلَّ، فاتقوا الله -رحمكم الله-، واطلبوا الكرامة في التقوى، والعبادة في الورع، والأنس في كتاب الله، والنصر في الصبر، والغنى في القناعة، والنجاة في الصدق، والشكر في الرضا، والراحة في ترك الحسد، وثقل الميزان في حسن الخلق، والسلامة في حفظ اللسان، ونعم الصاحبُ العمل الصالح.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الحديد: ٢٨].

أيها المسلمون: لقد اعتنى أهل السنة بتحقيق المسائل عالية الرتب، فكان النصيب الأكبر والخط الأوفر لمسائل الاعتقاد التي هي سبيل النجاة في الدنيا ويوم المعاد. تنوعت في ذلك



أساليبهم وتعددت تأليفهم. سطر وها بكلام رصين، وتدوين متين، قائم على الأدلة الجلية من كتاب الله وسنة رسوله محمد، في نقولٍ موفقة، وأقوالٍ محققة.

أيها الإخوة: إن الإيمان بما صح به النقل واجب محتم، فيما شهدناه أو غاب عنا، نعلم أنه صدق وحق، سواء في ذلك ما عقلناه وما لم نطلع على حقيقته ومعناه من أنباء الإسراء والمعراج، وأشراط الساعة، وأمارات القيامة، وأحوال اليوم الآخر، وأحوال يوم الحشر، وكل ذلك مما صححت به الأخبار من أي الكتاب وبينه نبينا محمد ووضحه: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرُهُمْ﴾ [محمد: ١٨]. ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١]. ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: ٦٣].

وعن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «لقد خطبنا النبي خطبة ما ترك فيها شيئاً إلى قيام الساعة إلا ذكره، علمه من علمه، وجهله من جهله، إن كنت لأرى الشيء قد نسيتَه فأعرفه كما يعرف الرجل الرجل إذا غاب عنه فرآه يعرفه»<sup>(١)</sup>.

وعند البخاري ومسلم أيضاً من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «قام فينا النبي مقاماً فأخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه»<sup>(٢)</sup>.

أيها الإخوة: ولما كان أمر الساعة شديداً، وهولها مزيداً، وأمرها قريباً ليس بعيداً كان الاهتمام بشأنها أكبر، وبيان النبي لها أجلى وأبين، فقد أكثر عليه الصلاة والسلام من بيان أشرطها وأماراتها وأخبر عما بين يديها من الفتن القريبة والبعيدة، ونبه أمته وحذرهم ليتأهبوا لتلك العقبة العظيمة: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ٢].

هذه العلامات وهذه الأشرط هي من علم الغيب الذي أخبرنا به ربنا جلا وعلا في القرآن، ورسولنا في سنته، وهذا الغيب من الأمور التي ينبغي للمؤمن أن يصدق بها؛ فإن من

(١) رواه البخاري (٦٦٠٤) ومسلم (٢٨٩١).

(٢) رواه البخاري (٣١٩٢) ومسلم (٢٨٩١).



أعظم صفات المؤمنين الصادقين أنهم يؤمنون بالغيب كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ أَنفُسَهُمْ بِاللَّيْلِ وَيَأْتُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ١-٣].

أيها الناس: إن الإيمان بهذه الغيوب والتصديق بها من صميم الدين الذي جاء به الرسول، أخبر بها القرآن وجاءت بها السنة وتعلمها الصحابة رضوان الله عليهم واهتموا بها اهتماماً كبيراً، نعم صحيح أن كثيراً من المسلمين شغلوا وشغلوا أنفسهم بالأخبار الغيبية التي لم يكن عليها دليل صحيح من الكتاب والسنة، نلوم أولئك الذين أقعدهم عن العمل لهذا الدين انتظار لحدوث الخوارق والأمارات من خروج المهدي وغيره.

ومن الناس من ذهب مذهباً بعيداً فأنكر على الناس هذه الأمارات والاتعاظ بهذه الأشراط حتى يوقن بوقوع الساعة، ويقال لهؤلاء الذين أنكروا الاشتغال بهذه الأمور: ما بالكم لا تنكرون على الذين يشتغلون بالبحث عن المجهول؟ أما نرى في البشرية في هذا الزمان سعياً إلى كشف الغطاء عن كثير من الأمور التي غابت عنهم في الماضي أو في الحاضر، فهم يجوبون الفضاء ويجوبون فجاج الأرض، لكي يكشفوا المجهول.

وإن في النصوص الواردة عن نبينا علماً حول ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا، فجدير بالمسلمين أن يدرسوا هذه المعلومات ويتأملوها وينظروا في معانيها وأن يصدقوا بها، وجدير بهم أيضاً أن يوقنوا بتبعاتها وبمؤدى هذه الأشراط، وهي الساعة العظمى التي حذرنا الله سبحانه وتعالى منها وإذا تكلمنا على الساعة وعلى أشراطها فينبغي أن نفهم ونعي تماماً بأن الساعة علاماتها مختلفة، فهناك علامات صغرى وهناك علامات كبرى عظمى.

فأما العلامات الصغرى فهي علامات وقعت وانتهت، وهناك علامات وقعت ومستمرة، وهناك علامات لم تقع وإذا وقعت فهي إيدان بقرب العلامات الكبرى، ونذكر من العلامات التي وقعت وإن في ذكرها زيادة إيمان بالله سبحانه وتعالى وباليوم الآخر، وكذلك فيه استعداد للعلامات الأخرى التي لم تقع.

أولاً: بعثة المختار ووفاته عليه الصلاة والسلام:

كانت بعثته أول آية من آيات الساعة وكانت وفاته ارهاصة من ارهاصات قدوم الساعة، ففي الحديث عند البخاري ومسلم عن سهل بن سعد الساعدي قال: رأيت رسول الله قال



بأصبعيه الوسطى والتي تلي الإبهام وفي رواية مدهما عليه الصلاة والسلام وقال: «بعثت أنا والساعة كهاتين، بعثت أنا والساعة كهاتين»<sup>(١)</sup>. وجاء عنه بسند صحيح: «بعثت في نسمة الساعة»<sup>(٢)</sup>، قال ابن الأثير: (نسم الريح هو بدايته)، فالرسول بعثته من أول أشراط الساعة، وعند البخاري عن عوف بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي في غزوة تبوك وهو في خيمة: «أعدد ستاً بين يدي الساعة، موتي أي وموته هو ثم فتح بيت المقدس، ثم موتان يأخذ فيكم كعقاص الغنم، ثم استفاضة المال حتى إن الرجل يعطي مائة دينار فيظل ساخطاً ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانية غاية تحت كل غاية اثني عشر ألفاً»<sup>(٣)</sup>، فهذا الشاهد فيه قوله: «موتي» فهو علامة من علامات الساعة.

ثانياً: من العلامات التي وقعت انشقاق القمر، وقد اتفق العلماء على أن القمر قد انشق في عهد النبي، جاء بذلك القرآن فقال الله عَزَّ وَجَلَّ: اقتربت الساعة وانشق القمر، اقتربت الساعة وعلامة على اقترابها انشقاق القمر، وقد جاء في الأحاديث عن نبينا صلى الله عليه بذلك منها ما جاء في الصحيحين من حديث أنس بن مالك أن أهل مكة سألوا رسول الله أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر مرتين، وفي رواية بيننا نحن مع رسول الله بمنى إذا انفلق القمر فلقتين فلقة واره الجبل وفلقة دونه، فقال لنا رسول الله: «اشهدوا اشهدوا»<sup>(٤)</sup> فهذه علامة من علامات الساعة قد وقعت.

العلامة الثالثة من علامات الساعة التي قد وقعت: نار الحجاز وما أدراك ما نار الحجاز، نار الحجاز التي أضاءت أعناق الإبل بالبصرى، ثبت ذلك في الصحيح عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله: «لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من الحجاز تضيء أعناق الإبل

(١) رواه البخاري (٦٥٠٤) ومسلم (٨٦٧).

(٢) صحيح الجامع (٢٨٣٢).

(٣) رواه البخاري (٣١٧٦).

(٤) رواه البخاري (٤٨٦٥) ومسلم (٢٨٠٠).



بالبصرى»<sup>(١)</sup>، وهذه الآية العظيمة قد وقعت على الصورة التي أخبر بها رسول الله ، نار تأجج من أرض الحجاز أضاءت منها أعناق الإبل بالبصرى، وبصرى كما قال الإمام النووي: مدينة ببلاد الشام، وهي مدينة حوران بينها وبين دمشق مراحل قليلة).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ تعالى في كتابه البداية والنهاية: (أن هذه النار كان خروجها في سنة ستائة وأربع وخمسين من الهجرة النبوية، قال العلامة ابن كثير في أحداث سنة ستائة وأربع وخمسين: وهذه النار قد خرجت في أرض الحجاز عند مدينة رسول الله فأحرقت الحرات الشرقية منها وحصل قبلها زلزال شديد دام سبعة أيام فارعوني الناس إلى ربهم ودخلوا المسجد، دخلوا الحرم واستغفروا الله جماعات وذهبوا إلى أمير المدينة وبالأخص قاضيهم، فوعظوه فرد المظالم وأعتق عبيده واستمرت النار إلى رجب أو أكثر من ذلك وقد أفرغ المؤرخون لهذه الحادثة وأثبتوا أنها من علامات الساعة التي أخبر بها الرسول ويخبر كثير منهم ومنهم العلامة أبو شامة في بعض كتبه عن هذه الحادثة وقال بعضهم في بيات وهو يصف هذه النار، حتى إن طلبة العلم في ذلك الزمان كانوا يكتبون بنور هذه النار التي أضاءت مدينة رسولنا، وقد حدث الأعراب أنهم مكثوا ليالي لا يوقدون سراجًا وإنما يمشون على هذه النار التي أوقدت في أرض الحجاز وقد نظم بعضهم فقال:

يا كاشف الضر صفحًا عن جرائمنا	لقد أحاطت بها يارب بأساء
نشكو إليك خطوبًا لا نطيق لها	حملًا ونحن بها حقًا أحقاء
زلازل تخشع الصم الصلاب لها	وكيف تقوى على الزلازل شماء
أقام سيفًا يرج الأرض فانصدعت	عن منظر فيه عين الشمس عشواء
بحر من النار تجري فوقه سفن	من الهضاب لها في الأرض أرساء
تنشق منها قلوب الصخر إن زفرت	رعبًا وترعد مثل السعف أضواء
فيها آية من معجزات رسو	ل الله يعقلها القوم الألباء

فهذه آية من آيات وقوع الساعة الصغرى وقعت.

(١) رواه البخاري (٧١١٨) ومسلم (٢٩٠٢).



رابعاً: من العلامات التي وقعت أيضاً: توقف الجزية والخراج عن المسلمين، كانت الجزية التي يدفعها أهل الذمة في الدولة الإسلامية والخراج الذي يدفعه الذين يستغلون الأراضي التي فتحت في الدولة الإسلامية كسواقي العراق والشام، كانت كل هذه الأموال تصب في بيت مال المسلمين وقد أخبر الرسول أن هذه الأموال ستقطع عن المسلمين، ففي صحيح الإمام مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «مَنَعَتِ الْعِرَاقُ دَرَاهِمَهَا وَقَفِيزَهَا، وَمَنَعَتِ الشَّامُ مَدَهَا وَدِينَارَهَا، وَمَنَعَتِ مِصْرَ إِرْدَبَهَا وَدِينَارَهَا وَعَدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ، وَعَدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ» قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: شَهِدَ عَلَى ذَلِكَ لَحْمَ أَبِي هُرَيْرَةَ وَدَمَهُ<sup>(١)</sup>، وَقَالَ فِي ذَلِكَ الصَّحَابَةُ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ لَمَّا سَأَلُوا: لِمَا قَالُوا: لِأَنَّ الْأَعَاجِمَ أَخَذُوهَا، وَهَذَا يَدُلُّ يَا إِخْوَانُ عَلَى صَدَقِ نُبُوَّةِ رَسُولِنَا.

وهناك علامات وقعت وهي مستمرة أو وقعت مرة وممكن أن تتكرر وسنذكرها إن شاء الله تعالى من ذلك الفتوحات والحروب أخبرنا الرسول أن هناك فتوحات للمسلمين من ذلك قوله: «تغزون فارس فيفتحها الله لكم، وتغزون الروم فيفتحها الله لكم، تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله لكم، وتغزون الدجال فيفتحها الله لكم»<sup>(٢)</sup>، وأخبرنا أن المسلمين سيزيلون ملك كسرى وملك قيصر، وأن أموالهما ستنفق في سبيل الله، ثبت ذلك في البخاري عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِنَا أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا هَلَكَ كَسْرَى فَلَا كَسْرَى بَعْدَهُ، وَإِذَا هَلَكَ قَيْصَرٌ فَلَا قَيْصَرَ بَعْدَهُ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَتَنْفَقَنَّ كَنْزُوهُمَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى»<sup>(٣)</sup>.

وأخبر أن المسلمين سيغزون الهند، قال: «عصابتان من أمتي أحرزهما الله من النار عصابة تغزو الهند وعصابة تكون مع عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ»<sup>(٤)</sup>، وبشرنا بفتح القسطنطينية عاصمة الدولة الرومانية، كذلك أخبرنا بفتح روما مقر الفاتيكان ثبت ذلك عن نبينا عن

(١) رواه مسلم (٢٨٩٦).

(٢) رواه مسلم (٢٩٠٠).

(٣) رواه البخاري (٣٦١٩) ومسلم (٢٩١٨).

(٤) السلسلة الصحيحة (١٩٣٤).



عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله سُئل أي المدينتين تفتح أولاً أرومية أم قسطنطينية؟ فقال النبي: «مدينة هرقل تفتح أولاً»<sup>(١)</sup>.

وقد وقع بعض ما ذكر النبي وفتح المسلمون فارس وفتح المسلمون الروم وزال ملك كسرى وقيصر وأنفقت كنوزهما في سبيل الله تعالى، ففتحت بكنوز كسرى وقيصر ما والهيا من البلاد التي حولها والتي كانت تحتهم وغزا المسلمون الهند وفتحها الله لهم حتى وصلوا إلى حدود الصين، وفتح المسلمون القسطنطينية مقر النصرانية الشرقية، وسيكون للمسلمين في مستقبل الزمان ملك عظيم ينتشر فيه الإسلام وتفتح روما قال: «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت وبر ولا مدر إلا دخله هذا الدين، بعز عزيز أو بذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام، وذلاً يُذل به الكفر»<sup>(٢)</sup>.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا بما سمعنا وأن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

(١) السلسلة الصحيحة (٤).

(٢) صححه الألباني في تحذير الساجد (١٥٨).



الخطبة الثانية:

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى، والصلاة والسلام على الرحمة المهداة محمد صلوات الله وسلامه عليه. أما بعد:

أيها المسلمون:

كذلك من العلامات التي أخبر بها الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى رسولنا والتي وقع بعضها خروج الدجالين أدعياء النبوة فقد أخبر بأنه سيكون هناك كذابون وسيكون هناك دجالون يدعون النبوة وسيقرب عددهم من ثلاثين وفي بعض الروايات أنهم سبع وعشرون، قال في الحديث الصحيح: «لا تقوم الساعة حتى يُبعثَ دجالون كذابون قريبٌ من ثلاثين كلُّهم يزعمُ أنَّه رسولُ الله»<sup>(١)</sup>، وفي رواية قال: «يكون في أمتي كذابون دجالون سبع وعشرون منهم أربعة نساء وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي»<sup>(٢)</sup>، وقد وقع بعض ما أخبر النبي فخرج مسيلمة الكذاب في عهد الصحابة وكذلك الأسود العنسي، وفي عهد التابعين خرج المختار الثقفي فادعى النبوة وخرج كذلك في زماننا الحسين مرزا الذي ظهر في طهران والتف الناس حوله وسيكتمل العدد الذي أخبر به رسولنا. قال العلماء: والمراد بهؤلاء الكذابين أدعياء النبوة أولئك الذين يلتف الناس حولهم، وإلا فإن أدعياء النبوة كثير.

ومن الأشياء التي أخبر بها الرسول ووقع بعضها الفتن التي تعصف بالمسلمين، حدثنا رسول الله كثيراً عن الفتن وأخبرنا بأنه سيكون هناك هرج وسيكون هناك قتل، من تلك الفتن التي أشار بها علينا قوله لعثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مبشراً إياه بالجنة على بلوى تصيبه، وقوله لعمار بن ياسر «تقتلك الفئة الباغية»<sup>(٣)</sup>. وقوله مثلاً «يكثر الهرج»<sup>(٤)</sup>، ووقع من ذلك مقتل عمر بن الخطاب الباب الذي كسر، ووقع من ذلك مقتل عثمان بن عفان ومقتل علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ووقع من ذلك أشياء كثيرة والفتن لازالت.

(١) رواه البخاري (٣٦٠٩) ومسلم (١٥٧).

(٢) صحيح الجامع (٤٢٥٨).

(٣) رواه البخاري (٤٤٧) ومسلم (٢٩١٦).

(٤) رواه البخاري (٧١٢١) ومسلم (١٥٧).



وأخبرنا أن بؤرة هذه الفتن تكون في المشرق ثبت ذلك عن نبينا في صحيح البخاري حينما وقف على حرة المدينة وأشار إلى جهة المشرق وقال: «من هاهنا جاءتِ الفتن»<sup>(١)</sup>، وقال: «اللهم بارك في شامنا، اللهم بارك في يمننا»، فقال رجل: في نجدنا، قال: «ذاك قرن الشيطان تكون منه الفتن»<sup>(٢)</sup>.

قال الخطابي: (نجد المدينة وهو العراق وما يليه من النجود وهي الأراضي المرتفعة). وقد حدث ما قاله فالفتن خرجت من أرض العراق ففتنة الرافضة وفتنة الخوارج الحروية الذين التفوا حول الكوفة وقاتلهم علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفتنة الزنج التي عصفت بالدولة الإسلامية، فتنة القرامطة فتنة التتار كل ذلك ظهر من تلك المنطقة، وأخبرنا بأن الدجال سيكون من قبلها، وإن الخراسانيين من اليهود يأتون من قبل أرض العراق فليتنفون حول الدجال ويكونون عضداً له، كل ذلك أخبر به رسول الله ووقع بعضه وسيقع كله كما شاء الله تعالى.

كذلك مما أخبر به من العلامات التي وقعت وستقع إسناد الأمر إلى غير أهله، جاء رجل إلى النبي فقال: يا رسول الله، متى الساعة؟ فأخبره بعد إذ أتم الحديث قال «إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة» فقال الرجل: كيف إضاعتها؟ قال: «إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة»<sup>(٣)</sup>، ومما وقع في الأمة الإسلامية أنه وسد الأمر في بعض حقب الأمة الإسلامية إلى غير أهله فعصفت بالأمة الإسلامية موجات من الفتن، هذه بعض ما ذكر النبي مما وقع.

أيها الإخوة: كل ذلك من أنباء الغيب نؤمن به لما قام عليه من الدليل والبرهان، ولو غاب عن شواهدنا وقصرت عنه حواسنا، ولكنه حاضرٌ بأدلته القطعية وبراهينه العلمية.

وإنكم لتعلمون أن الماديين من أهل هذا العصر والعلمانيين هم من أشد الناس تجاهلاً للساعة وأشراطها، وأكثر الناس صدوداً عنها، وما كانوا في كثير من الأقطار إلا دعاة لعبادة

(١) صحيح الجامع (٥٩١٩).

(٢) رواه البخاري (٧٠٩٤).

(٣) رواه البخاري (٦٤٩٦).



الجسد وعبادة الدنيا ما يذكرون الله ربهم في جليل ولا خطير، ولا يُذكرون بلقائه لا في ليل ولا في نهار. لقد تواطأ على ذلك ملاحدة الشرق والغرب شيوعيوهم وزنادقتهم، إنهم لم يرفعوا أيديهم إلى السماء قط. لقد ولّوا وجوههم عن الآخرة؛ في قلوب فارغة، وعقائد خربة. عصرٌ ماديٌّ طافحٌ بالرغبات الجامحة والغرائز المدللة.

ومن العجب أيها الإخوة: أن التقدم المادي الكبير الذي أحرزه أهل هذا العصر في مضمار العلوم التجريبية زرع عندهم كثيرًا من العقائد الإيمانية والمعتقدات الغيبية، بدل أن يدهم على الخالق.

إن في علوم العصر ومعارفه ومكتشفاته ومخترعاته ومواصلاته واتصالاته ما يجعل هذه الأشياء جديرةً بالتصديق، ممكنة الوقوع، معقولة التصور مما لم يدركه السابقون أو يعرفه المتقدمون.

وما العجب وقد رأى أهل هذا العصر ما قرّب البعيد وطوى المسافات وقارب الزمن، بل إن هناك آيات في الأنفس من أمراض لم تكن معروفة فيمن سبق وكثرة موت الفجأة، والحوادث والحروب والفتن والصراع على موارد المياه وما يسمونه بالسلع الاستراتيجية والموارد الطبيعية.

ألم يكن في الأشراط والأمارات والمتغيرات المتسارعات ما يذكر أهل الغفلة ويزيد في بصر أولي البصائر والأبصار؟؟ لعلهم أن ينتهوا من الذنوب، وتلين منهم قاسيات القلوب، ويغتنموا المهلة قبل الوهلة.

وبعد أيها الإخوة، فإن أهل العلم والإيمان يؤمنون بما جاء من عند ربهم وأخبر به نبيهم، تطمئن به قلوبهم، وتشرح به صدورهم، ﴿يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ ۗ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَأَمَّنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلْ انظُرُوا أَنَا مُنظَرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٨].



أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا ممن يعمل للساعة وممن يصدق بها وبأماراتها اللهم  
صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد  
وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.  
سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك.





## الساعة وأشراتها (١)

## الخطبة الأولى:

الحمد لله الولي الحميد يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، أحمد ربي وأشكره على نعمه الظاهرة والباطنة، ونسأله من فضله المزيد، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ذو العرش المجيد، وأشهد أن نبينا وسيدنا محمد عبده ورسوله المبعوث بالدين الحق والموصوف بكل عمل صالح رشيد..

اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.  
أما بعد: فاتقوا الله بالإعداد للقائه والاستكثار من الطاعات قبل نزول بلائه والشكر على آياته.

أيها الناس: إن ربنا أخبرنا بما نحن فيه من خير أو شر ومحبوب ومكروه ولذات ومنغصات.. فقال -وهو أصدق القائلين-: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهَوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاهُهُ، ثُمَّ يَهِيجُ فَرْتَهُ مُمْصِرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَعْفَرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَبَلَّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

وقد خلق الله هذا الكون المشاهد بالحق، وقد جعل له أجلا مسمى ينتهي إليه، وكل مخلوق في هذه الدنيا له وقت لا يعدهه كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْفَكُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكٰفِرُونَ﴾ [الروم: ٨]، وقال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾

(١) علي بن عبد الرحمن الحديفي.



[الأعراف: ٣٤]، وقال تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّوجَّلاً﴾ [آل عمران: ١٤٥].

فإذا بلغ الكتاب أجله، واستوفى هذا الخلق المشاهد عمره واستوفى مدته التي أرادها الله - أفناه الرب - سبحانه تعالى - وبدله، وطوى الدنيا وأزالها.. فتشقت السماوات ودكت الأرض واضمحلت الجبال فكانت سرابا وكورت الشمس وخسف القمر وانكدرت النجوم وتناثرت وسجرت البحار، وصعق من في السماوات ومن في الأرض فماتوا إلا من شاء الله من نحو الحور العين.

وأقام الله القيامة وأتت الساعة، وطرق الخلق أهوال عظام لا قبل لهم بها.. قال الله - تعالى -: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ [الحج: ١-٢].

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَلتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه، ولتقومن الساعة وهو يليق حوضه فلا يسقي فيه ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلى فمه فلا يطعمها»<sup>(١)</sup>.

ويخلق الله للساعة وما بعدها عالماً آخر وكوناً غير هذا الكون.. يتنعم فيه الصالحون لأعمالهم الحسنة ويعذب فيه أهل السيئات بالعذاب الأليم.. قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُمْ مِّنْ فِطْرَانٍ وَتَعْنَىٰ وُجُوهُهُمْ النَّارُ ﴿٥٠﴾ [إبراهيم: ٤٨-٥٠]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ السَّاعَةُ يُومِئِدُ بِنَفْقَاتٍ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ [الروم: ١٤-١٥].

(١) رواه البخاري (٧١٢١).

وقد أخفى الله الساعة عن كل أحد.. قال الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَفَيْهَا إِلَّا هُوَ ثُقُلْتِ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْثَةٌ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧]..

ولكن الله تعالى جعل للساعة أشراط وعلامات تدل على قرب وقوعها ليستكثر الناس من الطاعات ويتعدوا عن المحرمات؛ ولتكون هذه العلامات أحد المعجزات لنبينا ﷺ الدالة على صدق رسالته..

وأشراط الساعة وعلاماتها ثلاثة أنواع...

- النوع الأول: علامات وأشراط صغرى.. قد وقعت ومضت.

- القسم الثاني: أشراط الساعة الوسطى.. التي تتكاثر حتى تتصل بالكبرى.

- القسم الثالث: أشراط كبرى.. التي تعقبها الساعة.

فأما النوع الأول: فهو أشراط الساعة الصغرى التي وقعت ومضت.. وهي كثيرة، منها بعثة النبي ﷺ عن بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «بعثت أنا والساعة جميعاً.. إن كادت لتسبقني»<sup>(١)</sup>.

وعن عوف بن مالك الأشجعي قال: أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك وهو في قبة من آدم، فقال: «أعددتا بين يدي الساعة: موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم، ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطا، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر فيغدرون.. فيأتونكم تحت ثمانين غاية تحت كل غاية اثنا عشر ألفا»<sup>(٢)</sup>..

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يتناول الناس في البنيان»<sup>(٣)</sup>.

(١) حسنه ابن حجر في الفتح (١١/٣٥٦).

(٢) رواه البخاري (٣١٧٦).

(٣) صحيح الأدب المفرد (٣٥٠).



وعن حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ اقْتَرَبَ السَّاعَةَ اثْنَانِ وَسَبْعُونَ خِصْلَةً: إِذَا رَأَيْتَ النَّاسَ أَمَاتُوا الصَّلَاةَ، وَأَضَاعُوا الْأَمَانَةَ، وَأَكَلُوا الرِّبَا، وَاسْتَحَلُّوا الْكُذْبَ، وَاسْتَخَفُّوا بِالْدَمَاءِ، وَاسْتَعْلَمُوا بِالْبِنَاءِ، وَبَاعُوا الدِّينَ بِالْدُنْيَا، وَتَقَطَّعَتِ الْأَرْحَامُ، وَيَكُونُ الْحُكْمُ ضَعْفًا وَالْكَذْبُ صَدَقًا وَالْحَرِيرُ لِبَاسًا، وَظَهَرَ الْجَوْرُ، وَكَثُرَ الطَّلَاقُ، وَمَوْتَ الْفَجَاءَةُ، وَاتَّيَمَنَ الْخَائِنُ وَخَوَّنَ الْأَمِينُ وَصَدَّقَ الْكَاذِبُ وَكَذَبَ الصَّادِقُ، وَكَثُرَ الْقَذْفُ، وَكَانَ الْمَطْرُ قِيظًا وَالْوَلَدُ غِيظًا، وَفَاضَ اللَّثَامُ فَيضًا وَغَاضَ الْكِرَامُ غِيضًا، وَتَشَبَّهَ الرَّجَالُ بِالنِّسَاءِ وَالنِّسَاءُ بِالرِّجَالِ، وَحَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ وَشَهِدَ الْمَرْءُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْتَشْهَدَ، وَسَلِمَ لِلْمَعْرِفَةِ وَتَفَقَّهَ لِغَيْرِ الدِّينِ، وَطَلَبَتْ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ، وَيَقِلُّ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَشَرِبَتِ الْخُمُورُ، وَعَقَّ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَبَرَّ صَدِيقَهُ وَجَفَا أُمَّهُ وَأَطَاعَ امْرَأَتَهُ.. الْحَدِيثُ»<sup>(١)</sup>.

ومنها قوله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «وَسْتَفْتَرِقُ هَذِهِ الْأُمَّةَ عَلَى ثَلَاثِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً.. قِيلَ: مَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»<sup>(٢)</sup>.

والنوع الثاني: الأشرار الوسطى للساعة.. وهي كثيرة أيضا، لا تزال تظهر حتى تتصل بأشراتها الكبرى.

ما رواه البخاري ومسلم من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَرْفَعَ الْعِلْمَ وَيَثْبِتَ الْجَهْلَ، وَيَشْرَبَ الْخَمْرَ، وَيُظْهِرَ الزِّنَا»<sup>(٣)</sup>.

وعن ميمونة زوجة النبي ﷺ وَرَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا تَزَالُ أُمَّتِي بِخَيْرٍ مَا لَمْ يَفْشُوا فِيهِمْ وَلَدَ الزِّنَا؛ فَإِذَا فَشَا فِيهِمْ وَلَدَ الزِّنَا فَيُوشِكُ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ بِعَذَابٍ»<sup>(٤)</sup>.

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٤١٠) وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (١١٧١).

(٢) صحيح الترمذي (٢٦٤٠).

(٣) رواه البخاري (٨٠) ومسلم (٢٦٧١).

(٤) حسنه الألباني في صحيح الترغيب (٢٤٠٠).



وعن سلمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال: «إن من اقتراب الساعة أن يؤذي الجار جاره»<sup>(١)</sup>، وعن مرداس الأسلمي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «يذهبُ الصالحون، الأوَّلُ فالأوَّلُ، ويبقى حُفَالَةٌ كحفالةِ الشعير، أو التمر، لا يُباليهم اللهُ تعالى بالَّة»<sup>(٢)</sup>..

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تكثر الفتن ويظهر الكذب وتتقارب الأسواق وتتقارب الزمان ويكثر الهرج.. قيل: وما الهرج؟ قال: القتل»<sup>(٣)</sup>.

وأما الأشرار الكبرى التي تعقبها الساعة؛ فمنها: خروج المسيح الدجال..

وهو رجل من بني آدم أعور العين اليمنى يدعي أنه رب العالمين، يأمر السماء أن تمطر فتمطر ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت، ويمر على الخربة فيقول: أخرجي كنوزك فتخرج كنوزها.. فتتبعه كيعاسيب النحل، ويحي الموتى - بإذن الله - وتطيعه الشياطين فيتصورون على صور الأموات ويدعون إلى الإيثار به، ويتصورون على صور الأنعام التي ماتت للبادية فيتصورون على صورها، ثم يدعون الناس إلى أن الذي خرج هذا - وهو الدجال - يحي الموتى، ويدعون له ليؤمن الناس أنه رب العالمين..

وقد جعله الله فتنه للناس ليعلم المؤمن من الكافر.. مكتوب بين عينيه (كافر).. يقرأه كل مؤمن - كاتب وغير كاتب -.. فمن آمن به لم ينفعه عمل صالح سلف، ومن كفر بهذا الدجال غفر الله له.

ثم يخرج عيسى بن مريم، ثم يقتله ب (باب لد) بفلسطين.

ومن أشرار الساعة الكبرى: طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة؛ وهي دابة تخطم المؤمن على أنفه فيبيض وجهه وتخطم الكافر فيسود وجهه، ثم خروج يأجوج ومأجوج.

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٣٧٥٤٧).

(٢) رواه البخاري (٦٤٣٤).

(٣) رواه البخاري (١٠٣٦) ومسلم (١٥٧).



أيها الناس: كان الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ في مجالسهم يتذكرون الساعة وأشراتها لأن ذكر الساعة وأشراتها يزيد في إيمان العبد ويرغب في الآخرة، ويجعل الإنسان على حذر من الدنيا وشهواتها ويزيد في الإيمان..

عن حذيفة بن أسيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال عليه الصلاة والسلام: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَرَوْا عَشْرَ آيَاتٍ: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَيَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، وَالذَّابَّةُ وَثَلَاثَةُ خَسُوفٍ بِالْمَشْرِقِ وَخَسُوفٍ بِالْمَغْرِبِ وَخَسُوفٍ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ عَدْنٍ تَسُوقُ النَّاسَ أَوْ تَحْشُرُ النَّاسَ فَتَبِيْتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا وَتَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا»<sup>(١)</sup>.

أيها الناس: اتقوا الله، واعلموا أن كل ما هو آت آت وكل آت قريب..

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: ﴿ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرُهُمْ ﴾ [محمد: ١٨]..

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفَعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، ونفَعنا بهدي سيد المرسلين وقوله القويم..  
أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب؛ إنه هو الغفور الرحيم.

(١) صحيح الترمذي (٢١٨٣).



### الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين. الرحمن الرحيم. مالك يوم الدين، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له القوي المتين، وأشهد أن نبينا وسيدنا محمد عبده ورسوله.. بعثه الله بالهدى واليقين.. اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.  
أما بعد:

فاتقوا الله -أيها المسلمون- واجعلوا تقواه ذخراً لكم في دنياكم وفي آخراكم؛ فقد سعد المتقون وخاب الخاسرون العصاة المفسدون.

أيها الناس: إن الساعة أمرها عظيم، وإن الساعة آتية لا ريب فيها، وإن الله تبارك وتعالى يبعث من في القبور، وإن أقرب من ذلك هو موت أحدكم.. إن أقرب من الساعة موت الرجل، وهو قيامته؛ لأن الموت الانتقال بعده إلى الآخرة..

فمن مات أصبح من أهل الآخرة، واطلع على ما كان من عمله واطلع على ما يكون من جزائه؛ فمبشر بالجنة من كان من الصالحين ومبشر بالنار من كان من العصاة الفاسقين..

فاتقوا الله -أيها المسلمون- وأعدوا لحياتكم؛ فإن حياة المرء الحقيقية هي الحياة الأخرى.. يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَجَاءَ يَوْمٌ يُؤْمِرُ بِهِمْ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَنْذِرُ الْإِنسَانَ أَنَّهُ لَهُ الْذِكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَايَاتِي ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا ﴿٢٥﴾﴾ [الفجر: ٢٣-٢٥].

ألا.. وصلوا عباد الله على سيد الأولين والآخرين؛ فقد أمركم الله تعالى بالصلاة عليه في قوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]..

وقد قال ﷺ: «من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا»<sup>(١)</sup>؛ اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.. اللهم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد وسلم تسليماً كثيراً..



(١) صحيح أبي داود (٥٢٣).



## فوائد تربوية من أشرطة الساعة

### الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عباد الله: اتقوا الله كما أمركم في محكم كتابه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَشَقُّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١]، وهكذا يحذرنا ربنا في كتابه، وقال لنا نبينا ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهذه من هذه»<sup>(١)</sup>؛ وأشار بالسبابة والوسطى لقربهما من بعضهما، قال: «إن كادت لتسبقني»<sup>(٢)</sup>؛ وهذا نذير لنا من النذر العظيمة، ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرُهُمْ﴾ [محمد: ١٨].

هناك أشرطة صغرى للساعة، وأشرطة كبرى، فالأشرطة الصغرى تتقدم الساعة بأزمان متطاولة، وتكون من النوع المعتاد غالباً؛ كقبض العلم، وظهور الجهل، وشرب الخمر، والتطاول في البنيان، فليست في غرابتها والأعجوبة التي فيها كأشرطة الساعة الكبرى التي

(١) رواه البخاري (٥٣٠١) ومسلم (٨٦٧).

(٢) مجمع الزوائد (٣١٤ / ١٠)، وأورده ابن حجر في الفتح (٣٥٦ / ١١) وقال: (إسناده حسن).



تكون قرب قيام الساعة مباشرة، وفيها أمور عظام، ليست بمعتادة؛ كظهور الدجال، وخروج يأجوج ومأجوج، والحسوفات الثلاثة العظيمة في العالم؛ في شرقه، وغربه، ووسطه، وظهور النار التي تخرج من قعر عدن تسوق الناس إلى محشرهم، وخروج الدابة، وطلوع الشمس من مغربها، وهكذا، ولا يشترط أن تنتهي جميع أشراف الساعة الصغرى حتى تبدأ الكبرى، فقد ترافق بعض الصغرى بداية الكبرى.

والأشرف الصغرى منها ما وقع وانتهى كانشقاق القمر، وبعثة محمد ﷺ، وظهور النار بأرض الحجاز؛ ومنها ما وقعت مبادئه وأوائله ولم تستحكم بعد؛ كتقارب الزمان، وكثرة الزلازل، وكثرة الهرج، فقد وقع شيء من هذا، ولكن سيكون المزيد من الزلازل، والمزيد من القتل، وهو الهرج. ومن أشراف الساعة الصغرى ما لم يقع منه شيء بعد؛ كأن يحسر الفرات عن جبل من ذهب، وأن تعود جزيرة العرب مروجاً وأنهاراً، وأن يخرج المهدي من عقب النبي ﷺ، وهكذا.

وقد ظهرت أشراف كثيرة، أخبر عنها نبينا ﷺ، تُنبئ المسلم بأن نهاية العالم قريبة، وأن الأمر قد دنا.

ومما ظهر من الأشراف التي أخبر عنها النبي ﷺ، وهي من دلائل صدقه ومعجزاته؛ بعثته، وموته، وفتح بيت المقدس، وكثرة التجارة، واستفاضة المال، وكثرة الشح، وظهور الفتن من المشرق، وإتباع هذه الأمة لسنن الأمم الأخرى، وتشبههم بهم، وظهور مدعي النبوة، وقتال الترك والعجم، وضياع الأمانة، وقبض العلم، وظهور الجهل، وكثرة الشرط، وانتشار الزنا والربا، وظهور المعازف، وكثرة شرب الخمر، وزخرفة المساجد والتباهي بها، والتطاول في البنيان، وتقارب الزمان، وذهاب البركة من الوقت، وتقارب الأسواق، وكثرة الأسواق، وسرعة العلم بما فيها، وظهور الشرك في هذه الأمة، وقطيعة الرحم، وسوء الجوار، وارتفاع الأسافل، وتشيب المشيخه، والتماس العلم عند الأصاغر، وكثرة الزلازل، وذهاب الصالحين، وأن يكون السلام للمعرفة فقط، وصدق رؤيا المؤمن، وظهور الكاسيات العاريات، وانتشار الكتابة، وانتفاخ الأهلة، وكثرة الكذب، وكثرة شهادة الزور، وكنم الحق، وكثرة النساء، وكثرة موت الفجأة، وتناكر القلوب، وأن يتمنى الموت لشدة البلاء.



وسيكون مزيد من أشراف الساعة الصغرى؛ ككلام السباع والجمادات للإنس، وكثرة الروم وقتالهم للمسلمين، وفتح القسطنطينية غير الفتح الذي حصل، فإن هنالك فتحاً في آخر الزمان سيكون بالتكبير، وخروج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه، وقتال اليهود، واستحلال البيت، وهدم الكعبة، وخراب المدينة، ونزول الخلافة الأرض المقدسة وبلاد الشام.

عباد الله: إنها أمور مخيفة، وإنها أمور تزلزل كيان الإنسان، وتؤكد له أن الدنيا فانية، وأن القدوم على الله قد اقترب، وأن خراب العالم قد دنا، ومَنْ عَلِمَ اقْتِرَابَ السَّاعَةِ قَصَرَ أَمَلُهُ، وَلَمْ تَرْكَنْ نَفْسُهُ إِلَى الدُّنْيَا، وَقَامَ بِالتَّوْبَةِ، وَطَرَدَ الْغَفْلَةَ عَنِ نَفْسِهِ، ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ (١) مَا يَأْنِيهِمْ مِّنْ ذِكْرِ مَن رَّبِّهِمْ يُحَدِّثُ إِلَّا أَسْتَمِعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿[الأنبياء: ١-٢].

لكن -يا عباد الله- ماذا نستفيد من إخبارنا بأشراف الساعة؟

- التهيؤ لها، والعمل الصالح، والتوبة، كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: «بادروا بالأعمال ستاً»، أي: قوموا بالأعمال قبل أن تظهر ست خصال، وعند ذلك قد لا ينفع العمل، «طلوع الشمس من مغربها، أو الدخان، أو الدجال، أو الدابة، أو خاصة أحدكم، أو أمر العامة»<sup>(١)</sup>.

وقال لما سأله الأعرابي: متى الساعة؟: «وماذا أعددت لها؟»<sup>(٢)</sup>؛ هذا هو السؤال الكبير، فإذا استشعر العبد قُرب قيام الساعة انشغل قلبه خوفاً من ربه، ورجاء له، وتوكلاً عليه، وإنابة إليه، وصدقاً معه.

- أشراف الساعة تؤكد علينا الثبات على الدين، كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: «بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا»<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه مسلم (٢٩٤٧).

(٢) رواه البخاري (٣٦٨٨).

(٣) رواه مسلم (١١٨).



- أشراف الساعة تعلمنا قضية العبادة حتى لو اضطربت الأمور، وعمت الفوضى، قال عليه الصلاة والسلام: «العبادة في المهرج»، أي: الفتن وكثرة القتل، «كهجرة إلي»<sup>(١)</sup>؛ أي: في الأجر والثواب، فإذا غفل الناس، وانشغلوا، وقام هذا يعبد ربه فمعنى ذلك أن قلبه معمور بمحبته، والإنابة إليه، والصدق معه، والانشغال بذكره؛ وهكذا المؤمن في وقت المهرج والمرج متصل بالله تعالى.

- إذا عرفت -يا عبد الله- حديث: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال»<sup>(٢)</sup>، وأنت تعلم أن قيام الساعة قريب؛ فتحفظ هذه العشرة، وتتعرف على معانيها، وتذكر نفسك أنه مهما جاءت فتن كبار فعندك من الآيات العظام ما تتلى أمام هذه الفتن الكبار فتكف بأسها عنك، «ستكون فتنة، القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي»<sup>(٣)</sup>، معنى ذلك: التباعد من الفتن، وعدم المشاركة فيها.

وكذلك: «من سمع بالدجال فليأمن عنه»<sup>(٤)</sup>. فلا تحسن الظن بنفسك، فلا تدري إذا اقتربت من الفتن قد تهوي، وإذا تعرضت لها قد تقع فيها، فابتعد عن فتن الشهوات، وفتن الشبهات؛ لأنك لا تدري إذا فتحت الشاشات، ونظرت بالعينين في هذه الصور والأشكال، وإذا سمعت بأذنك لتلك الشبهات، فقد تتأثر وتفتتن بها.

- أشراف الساعة تعلمنا كيف أن علم ربنا العظيم أعجز علوم البشر، ﴿سَأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَلُهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُهَا لَوْفَهَا إِلَّا هُوَ نُقِلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً﴾ [الأعراف: ١٨٧]، الساعة لا تقوم إلا فجأة، الساعة لا تقوم وهناك أحد يتوقع قيامها، تباغت الجميع، وتفاجئ الجميع عند قيامها.

- لما نرى انطباق أشراف الساعة في الواقع يزداد المسلم إيماناً، ﴿هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢].

(١) رواه مسلم (٢٩٤٨).

(٢) رواه مسلم (٨٠٩).

(٣) رواه أحمد (٢٩/٣)، وقال أحمد شاكر: (إسناده صحيح).

(٤) صحيح أبي داود (٤٣١٩).



- أشراف الساعة تعلمنا التماس المكسب الحلال؛ لأن النبي عليه الصلاة والسلام أخبر: «بين يدي الساعة يظهر الربا»<sup>(١)</sup>، ينتشر على الشاشات، وبالبطاقات، والحسابات، وفي الأعمال، والوظائف، والصفقات، ينتشر كأنه غبار يطير، ويدخل كل منخر.

ولذلك فأشراف الساعة تعلمك -يا عبد الله- أن تتفقه في أحكام المعاملات، البيع والشراء، والإجارة، والكفالة، والحوالة، والرهن، فلا تدخل في باب من أبواب المعاملة إلا بعد أن تعرف أحكامها، كما قال عمر: «لا يبيع في سوقنا إلا من قد تفقه في الدين»، لماذا؟ لأن النبي عليه الصلاة والسلام قال عن أشراف الساعة: «ليأتين على الناس زمان لا يبالي المرء بما أخذ المال أمن حلال أم من حرام»<sup>(٢)</sup>.

- أشراف الساعة تُربي فينا منهج الاستعفاف، فمهما كان الشيء كبيراً إذا كان فيه محذور شرعي فنحن أغنياء عنه، كما جاء في الحديث: «لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب يقتتل الناس عليه فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون، ويقول كل رجل منهم: لعلي أكون أنا الذي أنجو»<sup>(٣)</sup>؛ ولذلك قال بعض الرواة لهذا الحديث يوصي ابنه: «إن رأيت فلا تقربنه»، ليس فقط لا تأخذ منه شيئاً، لا تقربنه.

- أشراف الساعة تربينا على استقلالية الشخصية الإسلامية، وعدم التشبه باليهود والنصارى والكفار، لا في ملابسهم، ولا في قصاتهم، ولا في عاداتهم، ولا في أعيادهم، أي شيء من خصائص تلك الأديان لا نتشبه بهم فيها؛ لأنه عليه الصلاة والسلام حذرنا فقال: «لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها شبراً بشبر، وذراعاً بذراع»، فقل يا رسول الله: كفارس والروم؟ قال: «ومن الناس إلا أولئك؟»<sup>(٤)</sup>، وفي رواية: اليهود النصارى؟ قال: «فمن؟»<sup>(٥)</sup>؛ أي: من غيرهم؟ فهذا نهي عن التشبه بمجوس فارس،

(١) صحيح الترغيب (١٨٦١).

(٢) رواه البخاري (٢٠٨٣).

(٣) رواه مسلم (٢٨٩٤).

(٤) رواه البخاري (٧٣١٩).

(٥) رواه مسلم (٢٦٦٩).



واليهود، والنصارى، وماذا سيكون ويحل هؤلاء من الإثم، وشرار الخلق الذين تقوم عليهم الساعة.

اللهم إنا نسألك خشيتك في الغيب والشهادة، ونسألك الإخلاص يا رب العالمين، ونسألك القصد في الغنى والفقر، ونسألك نعيمًا لا ينفد، وقرة عين لا تنقطع، ونسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقاءك، في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة؛ اللهم اجعلنا هداة مهتدين.



### الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي خلق فسوى، وقدر فهدى، أشهد أن لا إله إلا هو وحده لا شريك له، رب الأولين والآخرين، وملك يوم الدين، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله الأمين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وذريته الطيبين الطاهرين، وأزواجه، وخلفائه الميامين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، اللهم صلّ وسلم وزد وبارك على عبدك ونبيك محمد إمام المتقين، وقائد الغر المحجلين، حبيبتنا، وقدوتنا، وإمامنا، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

عباد الله: هذا ما أخبر عنه نبيكم ﷺ من أشراط الساعة لنحذر الشر الذي فيها، ومن ذلك ما يكون في آخر الزمان من خسف، وذهاب بعض الأرض تحت بعضها، وانشقاقها، وذهاب ما فيها وغورها، فقال: «يكون في آخر الأمة خسف ومسح»، أي: تُغير الخلقة إلى صور الخنازير والقردة، «وقذف»، أي: رمي من السماء بحجارة ونحوها، فقالت عائشة: يا رسول الله! أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «نعم، إذا ظهر الخبث»<sup>(١)</sup>، وقد أخبر عن أسباب الخسف والقذف والمسح، فقال: «إذا ظهرت القينات»، أي: المغنيات، والرقصات، «والمعازف وشربت الخمر»<sup>(٢)</sup>.

- ولذلك يجب علينا أن نتعلم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وننشر العلم، والدورات العلمية، وكتب العلم، ونغشى حلق العلماء، وطلبة العلم؛ لأنه قال: «إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم، ويثبت الجهل»<sup>(٣)</sup>.

- وكذلك أشراط الساعة تربينا على الرجوع إلى الأكابر من أهل العلم، «إن من أشراط الساعة قال: أن يلتمس العلم عند الأصاغر»<sup>(٤)</sup>، أي: ليس صغار السن، وإنما أهل البدع، والذين عندهم قلة في العلم.

(١) صحيح الترمذي (٢١٨٥).

(٢) ضعيف الترمذي (٢٢١١).

(٣) رواه البخاري (٨٠) ومسلم (٢٦٧١).

(٤) صحيح الجامع (٢٢٠٧).



وكذلك حذرنا من أناس سيظهرون يفتوننا بغير ما أحل وما حرم سبحانه، قال عليه الصلاة والسلام: «سيكون في آخر أمتي أناس يحدثونكم ما لم تسمعوا أنتم ولا آبؤكم، فإياكم وإياهم»<sup>(١)</sup>. عجائب وغرائب الفتاوى، أحاديث موضوعة مكذوبة تنتشر بالبريد الإلكتروني، ورسائل الجوال.

- وكذلك علمنا عليه الصلاة والسلام أنه إذا نزلت الملهمات والمدلهمات أن نرجع إلى أهل العلم، هاجت ریح حمراء بالكوفة، فجاء رجل ليس له هجيري -يعني: شأن- إلى ابن مسعود، قال: يا عبد الله بن مسعود، جاءت الساعة؟ وكان ابن مسعود متكئاً فقعد فقال: «إن الساعة لا تقوم حتى لا يقسم ميراث، ولا يفرح بغنيمة» رواه مسلم. وهكذا، أهل العلم يبينون.

- وكذلك فإن أشراف الساعة تذكرنا بصلة الرحم، وحسن الجوار، وإفشاء السلام على الجميع؛ لأن من أشرافها انتشار العقوق، وسوء الجوار، وعدم السلام إلا للمعرفة.

- أشراف الساعة تحثنا على أن نكون أمناء، ونضع الأمناء في مواقع الأمانة؛ لأنه: «إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة» رواه البخاري، هذه أبرز علامة من علامات الساعة الصغرى التي علمها للأعرابي، «إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة»<sup>(٢)</sup>.

- أن نقوم على أهلينا، وزوجاتنا، وبناتنا، وأخواتنا بأمرهن بالعفاف، والستر، والحجاب، والحشمة؛ لأنه ذكر لنا من أشراف الساعة، «نساء كاسيات، عاريات، مميلات، مائلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها»<sup>(٣)</sup>.

- أن نحذر الفوضى، والدخول في سفك الدماء؛ لأنه قال لنا: «والذي نفسي بيده! لا تذهب الدنيا حتى يأتي على الناس يوم لا يدري القاتل فيم قتل، ولا المقتول فيم قتل»<sup>(٤)</sup>.

(١) رواه مسلم (٨).

(٢) البخاري برقم (٥٩).

(٣) رواه مسلم (٢١٢٨).

(٤) رواه مسلم (٢٩٠٨).



- أن نحذر من التفاخر بالدنيا؛ لأنه قال: «وإذا تطاول رعاك البهيم في البنيان فذاك من أشراطها»<sup>(١)</sup>؛ ليس العيب أن تنشأ عمارات طويلة لحل أزمة السكان؛ لأن البناء الرأسي مع قلة الأراضي وحاجة الناس حل من الحلول، لكن العيب والذم أن يحدث التباهي والتفاخر بذلك، والتعلق بالدنيا.

- البصيرة البصيرة! يعلمنا إياها الشاب الذي يخرج للدجال، «شاب من خيرة أهل المدينة، هو أخيرهم في ذلك الوقت، يقول للدجال: أنت الدجال الذي أخبرنا عنه رسول الله ﷺ، فيشقه الدجال نصفين ويعيده كما كان، فيقول الشاب: ما ازدت فيك إلا بصيرة، أنت الدجال»<sup>(٢)</sup>.

الباطل لا بد أن يعرف أنه باطل، وأن يقر أنه باطل، وأن يتضح أمر الباطل حتى لا يروج على الناس، والنبي ﷺ أخبرنا عن فرج للمسلمين عظيم في آخر الزمان، عندما ينزل عيسى بن مريم من السماء في خضم الأزمة، وشدة الكرب، وإمام المسلمين المهدي من ذرية النبي ﷺ يؤمهم، وفيهم عيسى، وشريعة محمد ﷺ تحكم إلى آخر الزمان، حتى عيسى يحكم بها.

وهكذا تتم المعركة الفاصلة بين المسلمين واليهود، فلا يهود بعد ذلك اليوم، والمعركة الفاصلة بين المسلمين والنصارى، فلا نصارى بعد ذلك اليوم، فنتعلم ترقب الفرج من ربنا سبحانه وتعالى.

عباد الله: لا بد أن نعتبر، وهناك عبر كثيرة تحدث الآن، لكن ما أكثر العبر! وما أقل الاعتبارين! ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ٤٠]، غنى بعد فقر، وفقر بعد غنى، شدة بعد رخاء، ورخاء بعد شدة، مرض بعد صحة، وصحة بعد مرض، وخوف بعد أمن، وأمن بعد خوف، والدنيا تتقلب بأهلها، والله يصرف الأمور سبحانه وتعالى، ومن العبر كيف أهلك الله الطغاة من فرعون وقومه وقارون، وقوم نوح، وقوم عاد، وقوم ثمود.

(١) رواه البخاري (٥٠) ومسلم (٩).

(٢) صحيح الجامع (٨٠٤٨).



كم من ظالم تعدى وجار، فما راعى الأهل ولا الجار، بينا هو يعقد عقد الإصرار، حل به الموت فحل من حلته الأزرار! ما صحبه سوى الكفن إلى بيت البلى والعفن، لو رأيتَه وقد حلت به المحن، وشين ذلك الوجه الحسن، فلا تسل كيف صار، سال في اللحد صديده، وبلى في القبر جديده، وهجره نسيبه ووديده، وتفرق حشمه وعبيده والأنصار.

أين مجالسه العالية؟ أين عيشته الصافية؟ أين لذاته الحالية؟ أين المال والجاه؟ والكبرياء والخيلاء؟ كم تسفي على قبره سافية! ذهب العين وأخفيت الآثار، تقطعت به جميع الأسباب، وهجره القراء والأحباب، وصار فراشه الجنادل والتراب، وربما فتح له في اللحد باب النار.

خلا - والله - بما كان صنع، واحتوشه الندم وما نفع، وتمنى الخلاص وهيهات قد وقع، وخلاه الخليل المصافي وانقطع، واشتغل الأهل بما كان جمع، وتملك الضد المال والدار، فاعتبروا يا أولي الأبصار!

بأثوا على قَلْبِ الْأَجْبَالِ تَحْرُسُهُمْ  
وَأَسْتَنْزِلُوا بَعْدَ عِزٍّ عَنْ مَعْقِلِهِمْ  
نَادَاهُمْ صَارِخٌ مِنْ بَعْدِ مَا دُفِنُوا  
أَيْنَ الْوَجُوهُ الَّتِي كَانَتْ مُحَجَّبَةً  
فَأَفْصَحَ الْقَبْرُ عَنْهُمْ حِينَ سَاءَ لَهُمْ  
قَدْ طَالَمَا أَكَلُوا فِيهَا وَمَا شَرِبُوا  
وَطَالَمَا كَنَزُوا الْأَمْوَالَ وَأَدَّحَرُوا  
وَطَالَمَا شَيَّدُوا دُورًا لِتُحْصِنَهُمْ  
أَضَحَّتْ مَسَاكِنُهُمْ وَخُشَا مَعْطَلَةً  
أَيْنَ الْكَنْوُزُ الَّتِي كَانَتْ مَفَاتِحُهَا  
غُلِبَ الرَّجَالِ فَلَمْ تَنْفَعَهُمُ الْقُلُوبُ  
وَأُسْكِنُوا حُفْرًا يَا بؤْسَ مَا نَزَلُوا!  
أَيْنَ الْأَسِرَّةُ وَالتَّيْجَانُ وَالْحَلَلُ؟  
مِنْ دُونِهَا تُضْرَبُ الْأَسْتَارُ وَالْكَكَلُ؟  
تلك الوجوه عليها الدودُ يَقْتَتِلُ  
فَأَصْبَحُوا بَعْدَ طُولِ الْأَكْلِ قَدْ أَكَلُوا  
فَحَلَفُوا عَلَى الْأَعْدَاءِ وَأَزْمَحُوا  
فَفَارَقُوا الدُّورَ وَالْأَهْلِينَ وَانْتَقَلُوا  
وَسَاكِنُهَا إِلَى الْأَجْدَاثِ قَدْ رَحَلُوا  
تنوءُ بِالْعُضْبَةِ الْمُقْوِينَ لَوْ حَمَلُوا



## فوائد تربوية من أشراط الساعة

أين العبيدُ التي أُرصدتْهم عُدَدًا  
أين الفوارسُ والغلمانُ ما صنعوا  
أين الحديدُ وأين البيضُ والأسلُ  
أين الصوارمُ والخطيئةُ الدُّبُلُ  
هيهاتَ ما كشفوا ضيماً ولا دَفَعُوا  
عنك المنيّةَ إذا وافى بك الأجلُ

اللهم اغفر لنا أجمعين، وتب علينا يا أرحم الرحمين، لا تفرق جمعنا هذا إلا بذنب مغفور،  
وعمل مبرور، وسعي متقبل مشكور، اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا يا أرحم الرحمين.





## المسيح الدجال (١)

### الخطبة الأولى:

الحمد لله الذي حكم بزوال هذه الدار، وأمر بأخذ العدة لدار القرار، وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد القهار، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المختار، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الْأَبْرَار.

أما بعد:

فاتقوا الله -يا عباد الله- واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله، وحاسبوا أنفسكم عند وداع عامكم، وتوبوا إلى ربكم توبة نصوحاً، ومن كان منكم أحسن فيما مضى من أيامه، فليحمد الله على ذلك، ويستمر عليه إلى الممات، ومن كان مفترطاً في شيءٍ من الواجبات، أو مرتكباً لشيءٍ من المحرمات فليتب إلى ربه، ويندم على فعله، ويقنع عن معصيته، ويعزم على ألا يعود إليها في مستقبل أيامه وأعوامه.

عباد الله: إن أهم ما ينبغي للمسلم أن يعنى به من أمور دينه: أمور العقيدة، خصوصاً الغيبات، لأنها تدخل في قوله جل وعلا: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣]، فمن عقيدة أهل السنة والجماعة: الإيمان بأشراط الساعة الكبرى، ومن أشدها وأعظمها خروج المسيح الدجال آخر الزمان كما أشار إلى ذلك القرآن، وأخبر به المصطفى ﷺ.

والدجال هو مسيح الضلالة، يفتن الناس بما أعطاه الله من الآيات كإنزال المطر، وإحياء الأرض بالنبات وغيرها من الخوارق، وسمي المسيح الدجال بالمسيح لأنه ممسوح إحدى العينين، أو لأنه يمسح الأرض في أربعين يوماً.

(١) خالد بن عبدالله الشايح.



وسمي بالدجال: لأنه يغطي الحق بالباطل، بتمويهه بالكذب، وهو رجل من بني آدم، له صفات كثيرة، جاءت في السنة لتعريف الناس به، وتحذيرهم من شره، حتى إذا خرج عرفه المؤمنون، فلا يفتنون به، ومن هذه الصفات أنه رجل شاب، أحمر قصير أفحج، جعد الرأس، أجلى الجبهة، عريض النحر، ممسوح العين اليمنى، وهذه العين ليست بناتئة ولا جحراء، كأنها عنبه طافية، وعينه اليسرى عليها ظفرة غليظة، مكتوب بين عينيه (ك ف ر) بالحروف المقطعة، أو (كافر) بدون تقطيع، يقرؤها كل مسلم كاتب وغير كاتب. ومن صفاته أنه عقيم لا يولد. وهذه الكتابة التي بين عينيه حقيقية على ظاهرها، ولا إشكال في رؤية بعض الناس لهذه الكتابة دون بعض، وكذلك قراءة الأمي لها، قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: (وذلك أن الإدراك في البصر يخلق الله للعبد كيف شاء ومتى شاء، فهذا يراه المؤمن بعين بصره، وإن كان لا يعرف الكتابة، فيحرق الله للمؤمن الإدراك دون تعلم، لأن ذلك الزمن تحرق فيه العادات).

أيها المؤمنون: إن فتنة الدجال فتنة عظيمة، أخرج مسلم في صحيحه من حديث عمران بن الحصين قال رسول الله ﷺ: «ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أكبر من الدجال»<sup>(١)</sup>.

ولقد أمر المصطفى ﷺ الناس بالاستعاذة من فتنته في دبر كل صلاة، أخرج مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: «إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع؛ يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال»<sup>(٢)</sup>.

ولقد حذر المصطفى ﷺ أصحابه وأمتة من فتنة الدجال، بل لقد حذر منه كل نبي، وذلك لعظيم فتنته؛ أخرج البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك قال رسول الله ﷺ: «ما من نبي إلا وحذر أمتة الأعرور الكذاب»<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه مسلم (٢٩٤٦).

(٢) رواه مسلم (٥٨٨).

(٣) رواه البخاري (٧١٣١) ومسلم (٢٩٣٣).

وأخرج البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمر قال: قام النبي ﷺ في الناس فأثنى على الله بما هو أهله، ثم ذكر الدجال فقال: «إني لأندركموه، وما من نبي إلا وقد أندرته قومه، ولكني سأقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لقومه: إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور»<sup>(١)</sup>.

ولقد كان السلف رَحْمَةً اللَّهِ يَحْذَرُونَ منه ويعلمون أولادهم الاستعاذة منه، قال الإمام السفاريني رَحْمَةً اللَّهِ: (مما ينبغي لكل عالم أن يبيث أحاديث الدجال بين الأولاد والنساء والرجال، ولا سيما في زماننا هذا الذي اشرأبت منه الفتن وكثرت فيه المحن، واندرست فيه معالم السنة، وصارت السنة فيه كالبدع، والبدع شرع يبتع).

أيها المسلمون: إن بين يدي خروج الدجال علامات تدل على قرب خروجه، جاءت موضحة في السنة، فمن ذلك: أن تنقطع ثمرة نخل بيسان، وبيسان مدينة بالأردن.

ومنها: أن يذهب ماء بحيرة طبرية، ومنها: ذهاب ماء عين زغر، وهي عين بين الحجاز وبيت المقدس، ومنها: انتصار النبي ﷺ وظهوره على العرب، وهذه العلامات منها ما قد تم، ومنها ما بقي، وهذا يدل على أن وقت خروجه قد اقترب.

ولقد أوضحت السنة بعض أعماله ومقدار لبثه بعد خروجه، أخرج مسلم في صحيحه من حديث النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ الصَّحَابَةَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الدَّجَالِ فَقَالُوا: وما لبثه في الأرض؟! قال: «أربعون يوماً، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم»، قالوا: وما إسرعه في الأرض؟! قال: «كالغيث إذا استدبرته الريح، فيأتي على القوم فيدعوهم فيستجيبون له، فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت...». حتى قال: «ويأتي على القوم فيدعوهم فيردون عليه ما قال، فيصرف عنهم فيصبحون محلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويمر بالخربة فيقول: أخرجي كنوزك فتتبعه كيعاسيب النحل»<sup>(٢)</sup>.

أخرج مسلم في صحيحه من حديث حذيفة قال رسول الله ﷺ: «لأنا أعلم بما مع الدجال منه، معه نهران يجريان، أحدهما رأي العين ماء أبيض، والآخر رأي العين نار تتأجج».

اللهم أعذنا من فتنة المسيح الدجال، ومن جميع الفتن ما ظهر منها وما بطن.

(١) رواه البخاري (٧١٢٧) ومسلم (١٦٩).

(٢) رواه مسلم (٢٩٣٧).



### الخطبة الثانية:

• أيها المؤمنون: لقد كان الدجال حياً في زمن النبي ﷺ موثقاً بالحديد في إحدى جزر البحر من قبل المشرق، كما جاء ذلك في حديث فاطمة بنت قيس في صحيح مسلم من كلام تميم الداري.

واختلف الصحابة ومن بعدهم في صافي بن صياد هل هو الدجال، والصواب أنه دجال من الدجاجلة، وليس بالدجال الأكبر المشهور.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: (إن ابن صياد قد أشكل على بعض الصحابة، فظنوه الدجال، وتوقف فيه النبي ﷺ حتى تبين له فيما بعد أنه ليس هو الدجال، وإنما هو من جنس الكهان، أصحاب الأحوال الشيطانية).

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: (والمقصود أن ابن صياد ليس بالدجال الذي يخرج في آخر الزمان قطعاً؛ لحديث فاطمة بنت قيس الفهرية - وفي حديث الجساسة - فهو فيصل في هذا المقام).

أما مكان خروج الدجال فهو من جهة المشرق من خراسان، من يهودية أصبهان، ثم يسير في الأرض فلا يترك بلدًا إلا دخلها إلا مكة والمدينة، فتحرسها الملائكة فلا يستطيع دخولها، أخرج الترمذي من حديث أبي بكر الصديق قال حدثنا رسول الله ﷺ قال: «الدجال يخرج من أرض بالمشرق يقال لها خراسان»<sup>(١)</sup>.

وأخرج الإمام أحمد من حديث أنس قال رسول الله ﷺ: «يخرج الدجال من يهودية أصبهان معه سبعون ألفاً من اليهود»<sup>(٢)</sup>، قال ابن كثير: (فيكون بدء ظهوره من أصبهان من حارة يقال لها: اليهودية).

وأكثر أتباع الدجال من اليهود والعجم والترك، وأخلاق من الناس غالبهم الأعراب والنساء، أخرج مسلم في صحيحه من حديث أنس قال رسول الله ﷺ: «يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفاً عليهم الطيالة»<sup>(٣)</sup>.

(١) صحيح الترمذي (٢٢٣٧).

(٢) رواه أحمد (١٥/٤١) وحسنه المحققون في طبعة مؤسسة الرسالة.

(٣) رواه مسلم (٢٩٤٤).



ثم إنه لا يزال يعيث في الأرض فساداً حتى ينزل عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ فيقتله بباب لد، وهي بلدة في فلسطين قرب بيت المقدس، أخرج مسلم من حديث النواس بن سمعان الطويل في الدجال، وقال فيه: «يطلبه حتى يدرکه بباب لد فيقتله»<sup>(١)</sup>.

أيها المسلمون: لقد أرشد الله النبي ﷺ أمته إلى ما يعصمها من فتنة المسيح الدجال، فما من خير إلا ودل الأمة عليه، وما من شر إلا حذرنا منه، صلوات ربي وسلامه عليه.

فأول واقٍ -ياذن الله- من الدجال وفتنته: التمسك بالإسلام، والتسلح بسلاح الإيمان، ومعرفة أسماء الله وصفاته الحسنى التي لا يشاركه فيها أحد، واتباع السنة في جميع الأمور. ومنها: التعوذ بالله من فتنة المسيح الدجال وخاصة في الصلاة، كما سبق بيانه.

ومنها: حفظ فواتح سورة الكهف، العشر الآيات الأولى منها، كما روى ذلك مسلم في صحيحه من حديث النواس وفيه: «من أدركه فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف»<sup>(٢)</sup>، قال الثوري: سبب ذلك ما في أولها من العجائب والآيات التي من تدبرها لم يفتتن بالدجال.

ومنها: الفرار منه عند السماع بخروجه وعدم الذهاب إليه، أخرج الإمام أحمد من حديث عمران بن الحصين قال رسول الله ﷺ: «من سمع بالدجال فليأمنه، فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن، فيتبعه مما يبعث به من الشبهات»<sup>(٣)</sup>.

أيها المؤمنون: إن فتنة الدجال من أعظم الفتن التي تمر بالناس، فعلى اللبيب العناية بها ومعرفتها للخلاص منها، وكثرة الدعاء والاستعاذة بالله تعالى من شرها، في أدبار الصلوات، وفي كل وقت وحين، فإنه لا معصوم إلا من عصمه الله وثبته.

اللهم إنا نعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال. اللهم أعذنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن...



(١) رواه مسلم (٢٩٣٧).

(٢) رواه مسلم (٢٩٣٧).

(٣) صحيح أبي داود (٤٣١٩).



## كفى بالموت واعظاً (١)

## الخطبة الأولى:

الحمد لله الذي قضى بالفناء على هذه الدار، وأمر بأخذ العدة لدار القرار، أحمدته تعالى وأشكره وأتوب إليه وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، أزهدهم الناس في الدنيا، وأكثرهم للموت ذكراً وللآخرة استعداداً، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أهل الفضل والتقوى، والتابعين ومن تبعهم بخير وإحسانٍ واقتفى.

أيها الناس: أوصيكم ونفسي بتقوى الله فمن لا يتقي الله تشابهت عليه السبل: ﴿إِنْ تَنْفُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩].

عباد الله: حقيقة قاسية لا محيد عنها، وقضية رهيبه مسلمة لا مفر منها تواجه أهل الدنيا، فلا يستطيعون لها رداً، ولا يملكون لها دفعاً، حقيقة تتكرر كل لحظة، ونعايشها مرة بعد مرة، والناس سواءً أمام هذه الحقيقة المسلمة، والمصير المحتوم، يواجهها الآباء والأبناء، والأغنياء والفقراء، والضعفاء والأقوياء، والرجال والنساء، والمرءوسون والرؤساء، والعامة والعلماء، والمغمورون والوجهاء، وأهل الشجاعة والجنباء، يقفون منها موقفاً موحداً، لا يستطيعون لها حيلة، ولا يملكون لردها وسيلة، ولا يقدرتون تجاهها دفعاً ولا تأجيلاً، إنها حقيقة النهاية والفناء والموت، الموت الذي لا مفر ولا محيد من الاستسلام له، ولا يملك البشر حياله شيئاً.

عباد الله: من خاف الوعيد قصر عليه البعيد، ومن طال أمله ضعف عمله، وكل ما هو آت قريب.



إن ربكم لم يخلقكم عبثاً ولم يترككم سداً، فتزودوا من دنياكم ما تحرزون به أنفسكم غداً. فالأجل مستور، والأمل خادع.

تمر الجنائز بالناس يجهزونها ويصلون عليها ويسرون خلفها يشيعونها محمولة إلى القبر، فتراهم يلقون عليها نظرات عابرة، وربما طاف بهم طائف من الحزن يسير. أو أظلمهم ظلال من الكآبة خفيف. ثم سرعان ما يغلب على الناس نشوة الحياة وغفلة المعاش.

أيها الإخوة: أهل الغفلة أعمارهم عليهم حجة، وأيامهم تقودهم إلى شقوة. كيف ترجى الآخرة بغير عمل؟ أم كيف ترجى التوبة مع الغفلة والتقصير وطول الأمل؟؟.

ويل لأهل الغفلة: إن أعطوا لم يشبعوا، وإن منعوا لم يقنعوا، يأمرون بما لا يفعلون، ينهون وهم لا ينتهون، هم للناس لوامون ولأنفسهم مداهنون.

يا أهل الغفلة: هذه الدنيا كم من واثق فيها فجعته؟؟ وكم من مطمئن إليها صرعته؟؟ وكم من محتال فيها خدعته؟؟ وكم من محتال أصبح حقيراً؟؟ وذو نخوة أردته ذليلاً؟؟ سلطانها دول، وحلوها مر، وعذبا أجاج، وعزيزها مغلوب، العمر فيها قصير، والعظيم فيها يسير، وجودها إلى عدم، وسرورها إلى حزن، وكثرتها إلى قلة، وعافيتها إلى سقم، وغناها إلى فقر. دارها مكاراة، وأيامها غرارة، ولأصحابها بالسوء أماراة. الأحوال فيها إما نعم زائلة وإما بلايا نازلة وإما منايا قاضية. عمارتها خراب، واجتماعها فراق، وكل ما فوق التراب تراب.

أهل الغفلة لا يشبعون مهما جمعوا، ولا يدركون كل ما أملوا. ولا يحسنون الزاد لما عليه قد أقدموا، يجمعون ولا ينتفعون، ويبنون ما لا يسكنون. ويأملون ما لا يدركون: ﴿ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَمْتَعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْمُونَ﴾ [الحجر: ٣].

طويل الأمل: يبني ويهدم، وينقض ويبرم، ويقدر فيخطئ التقدير. يقول ويفعل، ويخطط ويدبر، وتأتي الأمور مخالفة للتدبير. يسيء في الاكتساب ويسوف في المتاب، ثم ها هو قد تم أجله وانقطع عمله وأسلمه أهله وانقطعت عنه المعاذير: ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٦﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَعُونَ﴾ [الشعراء: ٢٥-٢٠٧].



أيها المسلمون أيها المسلمات: «أكثرُوا من ذكر هادم اللذات»<sup>(١)</sup> بهذا أوصى نبيكم محمد ﷺ. كلام مختصر وجيز، قد جمع التذكرة وأبلغ في الموعظة؛ فمن ذكر الموت حق ذكره حاسب نفسه في عمله وأمانيه ولكن النفوس الراكدة والقلوب الغافلة - كما يقول القرطبي رَحِمَهُ اللهُ - تحتاج إلى تطويل الوعاظ وتزويق الألفاظ).

أكثرُوا من ذكر هادم اللذات ومفرق الجماعات، «فما ذكره أحد في ضيق من العيش إلا وسعه، ولا سعة إلا ضيقها»<sup>(٢)</sup>.

وأيُّمُ اللهُ ليوشكن الباقي منا ومنكم أن يبلى، والحي منا ومنكم أن يموت وأن تبدال الأرض منا كما أدلنا منها، فتأكل لحومنا وتشرب دماءنا، كما مشينا على ظهرها وأكلنا من ثمرها وشربنا من مائها ثم تكون كما قال الله: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨].

لقد وقف نبيكم محمد ﷺ على شفير قبر فبكى حتى بل الثرى ثم قال: «يا إخواني لمثل هذا فأعدوا»<sup>(٣)</sup>، وسأله عليه الصلاة والسلام رجل فقال: من أكيس الناس يا رسول الله؟ فقال: «أكثرهم ذكرا للموت وأشدهم استعدادا له، أولئك هم الأكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة»<sup>(٤)</sup>. «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت»<sup>(٥)</sup>.

يقول الحسن رَحِمَهُ اللهُ: (إن الموت قد فضح الدنيا فلم يدع لذي لبَّ بها فرحا).

ويقول يونس بن عبيد: (ما ترك ذكر الموت لنا قرة عين في أهل ولا مال).

ويقول مطرفٌ: (إن هذا الموت قد أفسد على أهل النعيم نعيمهم، فالتمسوا نعيما لا موت فيه، لقد آمن أهل الجنة الموت فطاب لهم عيشهم وأمنوا الأسقام فهنيئا لهم طول مقامهم).

(١) صحيح، رواه أحمد (٢/٢٩٢)، وصححه الألباني بشواهده، إرواء الغليل (٦٨٢)..

(٢) هذه زيادة على الحديث السابق، رواها ابن حبان (٢٩٩٣)، وحسنها الألباني، إرواء الغليل (٦٨٢).

(٣) رواه أحمد (٤/٢٩٤)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٧٥١)..

(٤) رواه ابن ماجه وغيره (٤٢٥٩)، وحسن الألباني الحديث بطرقه. السلسلة الصحيحة (١٣٨٤).  
والجملة الأولى منه صحيحة، رواها البخاري (٦٠٢٩) وغيره..

(٥) رواه أحمد (٤/١٢٤) وضعفه الألباني، ضعيف الجامع (٤٣٠٥).



أيها المسلمون: اذكروا الموت والسكرات، وحشجة الروح والذفرات، اذكروا هول المطلع. من أكثر ذكر الموت أكرمه الله بثلاث: تعجيل التوبة، وقناعة القلب، ونشاط العبادة. ومن نسي الموت ابتلي بثلاث: تسويق التوبة، وترك الرضى بالكفاف، والتكاسل في العبادة. كفى بالموت للقلوب مقطعا، وللعيون مبكيا، وللذات هادما. وللجماعات مفرقا. وللأمانى قاطعا.

استبدل الأموات بظهر الأرض بطنا، وبالسعة ضيقا، وبالأهل غربة، وبالنور ظلمة، وجاءوها حفاة عراة فرادا.

اللحود مساكنهم، والتراب أكفانهم، والرفات جيرانهم لا يجيبون داعيا، ولا يسمعون مناديا. كانوا أطول أعمارا وأكثر آثارا، فما أغناهم ذلك من شيء لما جاء أمر ربك، فأصبحت بيوتهم قبورا، وما جمعوا بورا، وصارت أموالهم للوارثين، وأزواجهم لقوم آخرين. حل بهم ريب المنون، وجاءهم ما كانوا يوعدون: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

هل تفكرت يا عبد الله يوم المصراع، يوم ليس لدفعه حيلة، ولا ينفع عند نزوله ندم. أزل عن قلبك غشاوة الغافلين، فإنك واقف بين يدي من يعلم وسواس الصدور، ومن يسأل عن لحظات العيون، ويحاسب على إصغاء الأسماع: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٨].

تذكر الموت يردع عن المعاصي، ويلين القلب القاسي، ويمنع الركون إلى الدنيا، ويهون المصائب.

تذكروا الموت لعلكم تسلمون من حسرة الفوت.

يقول الحسن رَحِمَهُ اللهُ: (اتق الله يا بن آدم، لا يجتمع عليك خصلتان: سكرة الموت وحسرة الفوت).

احذر السكرة والحسرة يفجأك الموت وأنت على غرة فلا يصف واصف قدر ما تلقى ولا قدر ما ترى.



احذر لا يأخذك الله على ذنب فتلقاه ولا حجة لك.

أيها الإخوة: أين الخائف من قلة الزاد؟ وأين المتخفف من أثقال الدنيا؟ أين الوجيل من بعد السفر ووحشة الطريق؟ اكتفى من الدنيا بطميره<sup>(١)</sup>، ومن طعامه بقرصيه. استعان على دنياه بالعفة والسداد فكفاه في دنياه القليل من الزاد. لقد استحيا من ربه حق الحياء تذكر الموت والبلى فحفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى أراد الآخرة فترك زينة الحياة الدنيا. أثر ما يبقى على ما يفنى ذلكم هو كيّس الأكياس.

ألا فاتقوا الله رحمكم الله واحفظوا الله ما استحفظكم وكونوا أمناء على ما استودعكم، فإنكم عند ربكم موقوفون، وعلى أعمالكم مجزيون وعلى تفريطكم نادمون.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

(١) الطمر: بالكسر الثوب الخلق البالي.



الخطبة الثانية:

الحمد لله غير مقنوط من رحمته، ولا مأبوس من مغفرته، أحمده سبحانه وأشكره على سوابغ نعمته، وأشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ومصطفاه من رسله، وخيرته من بريته. صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن سار على نهجه واستمسك بسنته وحافظ على شريعته وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

أيها المسلمون: توبوا إلى الله قبل أن تموتوا، «بادرُوا بالأعمال قبل أن تشغلوا، فهل تنتظرون إلا فقراً منسياً أو غنى مطغياً أو مرضاً مفسداً أو هرماً مفنداً أو موتاً مجهزاً أو الدجال فشرُّ غائب ينتظر أو الساعة فالساعة أدهى وأمر»<sup>(١)</sup>.

لا تكونوا - رحمكم الله - ممن يرجو الآخرة بغير عمل ويؤخر التوبة لطول الأمل. وقد علمتم أن الموت يأتي بغتة.

أكثرُوا من زيارة القبور فإنها تذكر الآخرة. اعتبرُوا بمن صار تحت التراب وانقطع عن أهله والأحباب، جاءه الموت في وقت لم يحتسبه وهول لم يرتقبه.

وليتأمل الزائر حال من مضى من أقرانه، أكثرُوا الآمال وجمعوا الأموال انقطعت آمالهم ولم تغن عنهم أموالهم، محا التراب محاسن وجوههم، وتفرقت في القبور أشلاؤهم، وترملت من بعدهم نساؤهم وقسمت أموالهم ومساكنهم: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرْدَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤].

يا من بدنياه اشتغل	وغره طول الأمل
وقد مضى في غفلة	حتى دنا منه الأجل
الموت يأتي بغتة	والقبر صندوق العمل

(١) ضعيف، رواه الترمذي (٢٣٠٦) وفيه علة خفية ذكرها الألباني، انظر: السلسلة الضعيفة (١٦٦٦).



اتقوا الله رحمكم الله وارجوا الدار الآخرة فتلك دار لا يموت سكانها، ولا يخرب بنيانها،  
ولا يهرم شبابها، ولا يبلى نعيمها، ولا يتغير حسنها وإحسانها وحسائها، يتقلب أهلها في رحمة  
أرحم الراحمين: ﴿ دَعْوَتُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَنَجَّيْتَهُمْ فِيهَا مِنْ أَيْدِي الْعَذَابِ وَأَنذَرْتَهُمْ فِيهَا مِنْ أَسْرَابِ السَّعِيرِ ﴾ [يونس: ١٠].





## البعث والحشر والحساب (١)

### الخطبة الأولى:

• إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِءَ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

عباد الله: هناك أمور نعرفها جميعاً ونؤمن بها ونعتقد حدوثها، لكن مع زحمة الحياة وكثرة المشاغل والنفوس والهوى والشيطان وكثير من الأسباب الأخرى التي تتجاذب الإنسان تجعله ينسى كثيرًا من هذه المسلمات والحقائق؛ لذا فكم نحن بحاجة إلى أن يذكر بعضنا بعضًا بهذه الأمور، ومن أهم هذه الأشياء التي تشاغلنا عنها ما نحن مقدمون عليه بعد الموت من أمور عظيمة وأحداث هائلة، سوف يمر بها كل واحد منا، فلا أدري هل تأهبنا لها؟!

أيها المسلمون: إننا مقدمون على أمور عظيمة وأحداث هائلة يوم القيامة، ينبغي أن تكون منا على بالٍ دائمًا، وأن نستعد لها، ويسبق ذلك أحداث سوف تغير أشياء كثيرة في هذا الكون،

(١) ناصر بن محمد الأحمد.



فتنشق السماء، وتتناثر النجوم، وتتصادم الكواكب، وتفتت الأرض، وتغدو صعيداً جزواً، وتصبح الجبال كثيباً مهيباً، ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، ويكون هذا على إثر النفخة الأولى ينفخها إسرافيل بأمر ربه، فيصعق كل من في السماوات ومن في الأرض إلا ما شاء الله، قال الله عز وجل: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ فِي يَوْمٍ نَبْطِرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْحَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَجُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّنَا ذَكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٣-١٦]، وروى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «يقبض الله الأرض، ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض؟»<sup>(١)</sup>.

ثم يكون بعد ذلك النفخة الثانية، وقد أشار الله عز وجل إلى النفخة الأولى والثانية في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتَّبِعَهَا الرَّادِفَةُ﴾ [النازعات: ٦، ٧]، فالراجفة كما يقول ابن عباس: «هي النفخة الأولى، والرادفة هي الثانية»، فتعود الحياة إلى الأجساد الميتة، وهذا هو يوم البعث وهو إعادة الإنسان روحاً وجسداً كما كان في الدنيا، ثم يُخرج الله الناس من الأجداث أحياء، فيقول الكفار والمنافقون حينئذٍ: ﴿قَالُوا أُنزِلْنَا مِنْ بَعْثِنَا مِنْ مَرْقِدِنَا﴾ [يس: ٥٢]، ويقول المؤمنون: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ٥٢]. وقد ورد في الأحاديث الصحيحة أن الرسول هو أول من يخرج من قبره، فقد روى البخاري في صحيحه أنه عليه الصلاة والسلام قال: «يصعق الناس حين يصعقون، فأكون أول من قام، فإذا موسى آخذ بالعرش، فما أدري أكان فيمن صعق»<sup>(٢)</sup>.

ثم بعد ذلك يقوم الملائكة بحشر الخلائق إلى الموقف، ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَسُوقَ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرِدًا﴾ [مريم: ٨٥، ٨٦]. والحشر يا عباد الله هو سوق الناس جميعاً إلى الموقف، وهو المكان الذي يقفون فيه انتظاراً لفصل القضاء بينهم، فبعد بعث الناس يأمر

(١) رواه البخاري (٦٥١٩) ومسلم (٢٧٨٧).

(٢) رواه البخاري (٦٥١٨) ومسلم (٢٣٧٣).



الله ملائكته فتسوقهم إلى الموقف، وحالهم كما خلقوا أول مرة، حفاة غير منتعلين، عراة غير مكتسين، غرلاً غير مختنين، فقد صح عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فيما اتفق عليه الشيخان أنها قالت: سمعت رسول الله يقول: «يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً»، قلت: يا رسول الله، الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض؟! قال: «يا عائشة، الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض»<sup>(١)</sup>، وروى ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: خطب رسول الله فقال: «يا أيها الناس، إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلاً»، ثم قرأ: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] إلى آخر الآية، ثم قال: «ألا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم، ألا وإنه يجاء برجال من أمتي، فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: يا رب أصحابي! فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح أي: عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم، فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم، فيقال: إن هؤلاء لم يزوالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم»<sup>(٢)</sup>.

عباد الله: وفي الموقف يصيب الخلائق كرب شديد، فقد روى المقداد بن الأسود عن رسول الله أنه قال: «تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل، فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إجمالاً» وأشار بيده إلى فيه<sup>(٣)</sup>.

وفي أثناء ذلك يكون أناس تحت الظل الذي يخلقه الله، تحت ظل العرش كما أخبر المصطفى عليه الصلاة والسلام فيما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة وأبي سعيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أن رسول الله قال: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعتة امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله،

(١) رواه مسلم (٢٨٥٩).

(٢) رواه البخاري (٤٦٢٥).

(٣) رواه مسلم (٢٨٦٤).



ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه»<sup>(١)</sup>.

فإذا اشتد الأمر بالناس وعظم بهم الكرب في هذا الموقف العظيم استشفعوا إلى الله عَزَّوَجَلَّ بالرسول والأنبياء أن ينقذهم مما هم فيه ويُعجل لهم فصل القضاء، وكل رسول يحيلهم على من بعده، حتى يأتوا نبينا محمداً، فيشفع فيهم، وهذه هي الشفاعة العظمى الخاصة بنبينا محمد من بين سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، وهي من المقام المحمود الذي وعد به الرسول عليه الصلاة والسلام في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]، فينصرف الناس بعد ذلك إلى فصل القضاء، وعندها يجازى كل إنسان بما كسب في الحياة الدنيا من خير أو شر، قال تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُمْ مِّنْ فَرَجٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾<sup>(٨٨)</sup> وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: ٨٩، ٩٠]، وقال رسول الله فيما يرويه عن ربه عَزَّوَجَلَّ: «يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيتها لكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلو من إلا نفسه»<sup>(٢)</sup>.

وهناك تنصب الموازين، فتوزن بها أعمال العباد خيراً وشرها، وهو ميزان حقيقي له لسان وكفتان، وهذا إظهار لعدل الله عَزَّوَجَلَّ، قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وقال تعالى: ﴿وَالْوِزَنُ يُومِئذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾<sup>(٨٩)</sup> وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ يَمَا كَانُوا يَتَّيِنَتْنَا بِظُلْمُونَ﴾ [الأعراف: ٨، ٩]، وقال أيضاً: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾<sup>(٩٠)</sup> ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾<sup>(٩١)</sup> وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾<sup>(٩٢)</sup> ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ [القارة: ٦-٩]، فتوضع الحسنات في كفه والسيئات في كفه، فمن ثقل ميزان حسناته كان من المفلحين الفائزين، ومن ثقل ميزان سيئاته والعياذ بالله

(١) رواه البخاري (٦٦٠) ومسلم (١٠٣١).

(٢) رواه مسلم (٢٥٧٧).



كان من الخائبين الخاسرين، وفي ذلك قال الإمام ابن القيم في نونيته:

(أفما تصدق أن أعمال العبا  
دُمحط يوم العرض في الميزان  
وكذاك تثقل تارة وتخف أخ  
رى ذاك في القرآن ذو تبيان  
ولله لسان كفتاه تقيمه  
والكفتان إليه ناظرتان  
ما ذاك أمراً معنوياً بل هو الـ  
محسوس حقاً عند ذي الإبان)

عباد الله: ثم تنشر الدواوين بعد ذلك وهي صحائف الأعمال، ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِمِثْنِهِ﴾ (٧) ﴿سَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ (٨) ﴿وَيُنْقَلَبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ (٩) ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ (١٠) ﴿سَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا﴾ (١١) ﴿وَيَصِلَىٰ سَعِيرًا﴾ (١٢) [الانشقاق: ٧-١٢]، ويقول: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ﴾ (١٣) ﴿فَيَقُولُ يَلَيِّنُنِي لَمْ أُوْتِ كِتَابَهُ﴾ (١٤) ﴿وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِي﴾ (١٥) [الحاقة: ٢٥-٢٦]، قال تعالى: ﴿الْكَتَابُ فَتَرَىٰ الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُؤْتَيْنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَيْنَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

ثم بعد ذلك يُعرض الناس على ربهم وتقام عليهم الحجج، ويطلعون على أعمالهم ويقرؤون صحفهم، فيجب أن نؤمن يا عباد الله بالعرض والحساب وقراءة الكتاب، فجميعها حق، دل عليها الكتاب والسنة قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكَ أَلْوَاعِدُ﴾ (١٥) ﴿وَأَشَقَّتِ السَّمَاءُ فِيهِ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةً﴾ (١٦) ﴿وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ﴾ (١٧) ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٥-١٨]، وقال تعالى: ﴿وَعَرَضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾ [الكهف: ٤٨].

كل عبد يعرض على ربه، فيتولى سبحانه وتعالى حسابه بنفسه وبدون وساطة، عن عدي بن حاتم أن النبي قال: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر عن شماله فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أمامه فلا يرى إلا النار، فاتقوا النار ولو بشق تمرة»<sup>(١)</sup>، فإن كان من أهل النجاة وهو الذي

(١) رواه البخاري (٧٥١٢) ومسلم (١٠١٦).



يؤتى كتابه بيمينه تجاوز الله عن ذنوبه ولم يناقشه الحساب وأدخله الجنة ولم يعذبه بالنار، فنسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يجعلنا من هؤلاء، وأما من كثرت معاصيه والعياذ بالله وأوتي كتابه بشاله فذلك الذي يناقش الحساب، ويسأل عن كل صغيرة وكبيرة، فقد حدثت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أن رسول الله قال: «ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك»، فقلت: يا رسول الله، أليس قد قال الله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كَتَبَهُ، بِبَيِّنَةٍ﴾ (٧) ﴿سَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٧، ٨]؟! فقال رسول الله: «إنما ذلك العرض، وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا عذب»<sup>(١)</sup>. والمراد بالمناقشة الاستقصاء في المحاسبة والمطالبة بالجليل والحقير وترك المسامحة، كما ذكر صاحب الفتح.

وأما عن كيفية الحساب فنؤمن بما ورد في القرآن عنها وفي حديث رسول الله لا نزيد ولا نقص، ولا نسأل عن أكثر مما ورد، فنؤمن أن الله سبحانه وتعالى يذكر كل عبد بما قدمه في الحياة الدنيا من خير أو شر، ويشهد على العباد جميع من يستشهدهم الله عليهم، فتشهد الأرض بما حدث على ظهرها، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ (١) ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ (٢) ﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾ (٣) ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ (٤) ﴿يَأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ (٥) ﴿يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَسْمَانًا لِيُرَوْا أَعْمَلُهُمْ﴾ (٦) ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ١-٨].

فقد ورد عن أبي هريرة قال: قرأ رسول الله: يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا فقال: «أتدرون ما أخبارها؟»، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها، أن تقول: عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا قال: فهذه أخبارها»<sup>(٢)</sup>.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعمني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

(١) رواه البخاري (٦٥٣٧) ومسلم (٢٨٧٦).

(٢) صحيح ابن حبان (٧٣٦٠).



الخطبة الثانية:

الحمد لله وهو بالحمد جدير، أحمده سبحانه وأشكره على فضله العميم وخيره الوفير، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وأشهد أن نبينا وسيدنا محمدًا عبد الله ورسوله البشير النذير والسراج المنير، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله ذوي القدر العلي وأصحابه أولي الشرف الكبير، والتابعين ومن تبعهم بإحسان ومن على طريق الحق يسير، وسلم التسليم الكثير.

أما بعد:

أيها الإخوة: ومما يشهده الله عز وجل على عباده أيضًا في ذلك اليوم أعضاء الإنسان من الألسنة والأيدي والأرجل والجلود وغيرها، وقد أخبر الله عز وجل أن أعداء الله يجاورون هذه الأعضاء، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ (١٩) حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لَوْلَا جُلُودُهُمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ [فصلت: ١٩-٢٢]، وروى البخاري في صحيحه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أنه قيل له: كيف سمعت رسول الله يقول في النجوى أي: مناجاة الله لعبده المؤمن في الآخرة؟ قال: سمعته يقول: «يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه، فيقول: أعملت كذا وكذا؟ فيقول: نعم، فيقول: أعملت كذا وكذا؟ فيقول: نعم، فيقرره، ثم يقول: إني سترت عليك في الدنيا وإني أغفرها لك اليوم، ثم يعطى صحيفة حسناته. وأما الكفار فينادى على رؤوس الأشهاد: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم، ألا لعنة الله على الظالمين»<sup>(١)</sup>.

عباد الله: وبعد الحساب والعرض والميزان ينصرف الناس من الموقف ليمروا فوق الصراط، وهو الجسر المنصوب على جهنم، وجاء في وصفه أنه أدق من الشعر وأحد من السيف، وكل إنسان سواء كان طريقه إلى الجنة أو النار والعياذ بالله لا بد وأن يمر على

(١) رواه البخاري (٤٦٨٥).



الصراط، والمرور على الصراط عام لجميع الناس الأنبياء والصديقين والمؤمنين ومن يحاسب ومن لا يحاسب إلا الكفار، ومن استقام على صراط الله الذي هو دين الحق في الدنيا استقام على هذا الصراط في الآخرة، وقد ورد في الأحاديث الصحيحة أن الناس يمرون عليه بقدر أعمالهم في الدنيا؛ فمنهم من يمر كأنقضاض الكواكب، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالطرف، ومنهم من يرمل رملاً، فميرون على قدر أعمالهم، حتى يمرّ المقل في العمل الصالح تخريداً وتعلق يد، وتخريداً رجل وتعلق أخرى، روى البخاري ومسلم في صحيحهما في حديث طويل لأبي هريرة حتى يقول الرسول في آخر الحديث: «ويضرب الصراط بين ظهري جهنم، فأكون أنا وأمتي أول من يجيز، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم»<sup>(١)</sup>.

إذا كان الرسل يا عباد الله وهم مضمون لهم الجنة يقولون على الصراط: اللهم سلم اللهم سلم، فماذا يقول غيرهم؟! ماذا يقول ذلك الذي لم يأتمر بأوامر الله عَزَّوَجَلَّ ولم ينته عن نواهيه؟! ماذا يقول ذلك المتهاون المتكاسل عن صلاته، يصلي واحدة ويترك أخرى؟! بل ماذا يقول النائم عن صلاة الفجر، المؤذن يقول: الصلاة خير من النوم، وهو يقول: النوم خير من الصلاة، وإن لم يقلها بلسانه فإنه قد قالها بفعله؟! وماذا يقول الآباء الذين تهاونوا في تربية أولادهم إلى حد التفریط وانشغلوا هم في دنياهم؟! بل ماذا يقول ذلك الموظف الذي استغل منصبه لجلب منفعة لشخصه أو قرابته؟! بل ماذا يقول علماء الأمة الذين تركوا النصح لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم إلا من رحم ربي وقليل ما هم؟! وماذا يقول المرابي؟! وماذا يقول المقامر؟! وماذا يقول الظالم؟! وماذا يقول وماذا يقول؟! اللهم سلم، اللهم سلم، اللهم سلم.

عباد الله: والمرور على الصراط هو الورد المذكور في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مَنكُمُ إِلَّا وَاَرِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مریم: ٧١]، فإنه لا ينجو منه أحد كما روى الإمام مسلم في صحيحه أن رسول الله قال: «لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها»،

(١) رواه البخاري (٧٤٣٧) ومسلم (١٨٢).



فقال حفصة: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١]، فقال النبي ﷺ: «قد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًا﴾ [مريم: ٧٢]»<sup>(١)</sup>. فأشار عليه الصلاة والسلام إلى أن ورود النار لا يستلزم دخولها، فالجميع يمرون من فوق جهنم فوق الصراط، وينجي الله المؤمنين، ويذر الظالمين فيها جثيا، ثم إذا عبر المؤمنون الصراط وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص من بعضهم لبعض، فإذا هذبوا أذن لهم في دخول الجنة، روى أبو سعيد الخدري فيما أخرجه البخاري في صحيحه عن الرسول أنه قال: «يُخْلِصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَيَحْبِسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَقْتَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ مِظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا هَذَبُوا وَنَقَوْا أَذُنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لِأَحَدِهِمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ فِي الْجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا»<sup>(٢)</sup>.

عباد الله: هل من مشمر للجنة؟ هل من مستعد لاستقبال تلك الحياة؟ هل من متأهب للموت وما بعده من الأحوال والأحوال؟

ماتٌ ثم قبرٌ ثم حشرٌ وتخويفٌ وأهوالٌ عظامٌ

سوف نحشر إلى ربنا -عباد الله- حفاة لا منتعلين وعراة لا مكنتين وغرلا لا محتونين، الأبدان عارية تماما ليس عليها شيء يسترها، والأرجل حافية مكشوفة غير مغطاة بالخفاف أو النعال أو الجوارب، ونحن غير محتونين، نحشر على الحال التي ولدنا عليها، رجالا ونساء لا فرق، الحال واحدة، يظل الناس على صعيد واحد، شاخصة أبصارهم، تحت حر الشمس، خمسين ألف سنة، لا يأكلون أكلة، ولا يشربون شربة، حتى تنقطع الأعناق جوعاً وعطشاً وخوفاً وهلعاً، إلا من أظلمهم الله في ظله، ومن رزقهم الأمن في ذلك اليوم، ومن وقاهم من هول المطلع، ومن يسر عليهم الحساب، وعافاهم من العذاب.. نسأل الله عَزَّوَجَلَّ بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعلنا من أهل جنته ورضوانه، إنه ولي ذلك والقادر عليه، اللهم إنا نسألك رحمة تهدي بها قلوبنا، وتجمع بها شملنا، وتلم بها شعثنا، وترد بها الفتن عنا، وتصلح بها ديننا، وتحفظ بها غائبنا، وترفع بها شاهدنا، وتزكي بها علمنا، وتبيض بها وجوهنا.



(١) رواه مسلم (٢٤٩٦).

(٢) رواه البخاري (٦٥٣٥).



## البعث والنشور (١)

## الخطبة الأولى:

الحمد لله، الحمد لله تعالى في كماله عن الأشباه والنظائر، وتقدّس في جلاله أن تُدرّكه الأبصار أو تُحيط به الضمائر، العظمة رداؤه، والكبرياء إزاره، فمن نازعه فهو الخاسر البائر، أحمده سبحانه وأشكره على خيره العميم وفضله المتكاثر، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة حقّ ويقينٍ تُنجي صاحبها يوم تُبلى السرائر، وأشهد أن سيّدنا ونبينا محمداً عبداً لله ورسوله، صاحبُ المقام المحمود، والحوض المورود، والشافع المُشفّع في الصغائر والكبائر، صلّى الله وسلّم وبارك عليه، وعلى آله الطيبين، وأصحابه الغرّ الميامين أولي الأبواب والبصائر، والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، وسلّم تسليمًا كثيرًا مزيدًا ذخراً في القيامة من أعظم الذخائر.

أما بعد:

فأوصيكم -أيها الناس- ونفسي بتقوى الله، فاتقوا الله -رحمكم الله-؛ فتقوى الله عزّ من غير عشيرة، وعلمٌ من غير طلب، وغنى من غير مال، وأنس من غير جماعة.

﴿وَلَتَنْظُرَنَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

أيها الناس: تمر الجنائز محمولةً على الرقاب منقولةً إلى مثواها ومصيرها، تمر في منظر رهيب، ومشهد مهيب، تقشعر منه الأبدان، وترتجف له القلوب، ولكن نفوساً أخرى تمر بها هذه المناظر فتلقي عليها قليلاً من دموع وعبرات في نظرات عابرات، وربما صاحب ذلك كآبة حزن أو سحابة أسي، ثم سرعان ما يطغى على النفوس لهو الحياة فتسهى ثم تنسى، وتذهل ثم تغفل.

(١) صالح بن حميد.



هل يظن هؤلاء أن الموت نهاية الحياة؟! وهل يعتقدون أن سعي العالمين نهايته أن يهال عليه التراب؟!

ذلكم هو ظن الذين كفروا. إنهم الماديون والملاحدة، والكفار والزنادقة لا يرون في الموت إلا انتهاء قصة الحياة، لا يبقى عندهم بعد ذلك إلا أخبار تروى، وآثار تحكى، والأخبار هذه مآلها النسيان، والآثار مصيرها الاندثار: ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [الجاثية: ٢٤]. ﴿ وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ﴾ [السجدة: ١٠].

إنها المسألة الكبرى بعد الإيذان بالله، والقضية العظمى بعد توحيد الله، تكفل بها الوحي، وبرهنت عليه الكتب، وبلغتها الرسل.

إنه البعث والنشور، والخروج من الأجداث والقبور، والوقوف بين يدي الكبير المتعال للحساب والجزاء وعرض الأعمال، ثم المصير إما إلى الجنة وإما إلى النار، ﴿ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتَعٌ الْغُرُورِ ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

ما من شيء في دعوة رسل الله استبعده الكفار وأنكرته الملاحدة واستهزأت به الزنادقة أشد من إنكارهم لليوم الآخر، فتراهم أجيالاً من بعد أجيال من أمم الكفر والإلحاد ينكرون ويستهزئون ويستبعدون، ولقد سجل القرآن الكريم افتراءهم العظيم، وإفكهم المبين: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مِنْ يَمُوتٍ ﴾ [النحل: ٣٨].

﴿ أَعِدُّوا أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا أَنْكُمْ تُخْرَجُونَ ﴾ ٣٥ هَيَّاتَ هَيَّاتَ لِمَا تُوْعَدُونَ ﴿ ٣٦ ﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿ ٣٧ ﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿ ٣٨-٣٥ ﴾. وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجلٍ ينبتكم إذا مرققتم كل مرققٍ إنكم لفي خلقٍ جديدٍ ﴿ ٧ ﴾ افترى على الله كذباً أم به جنة ﴿ [سبأ: ٧-٨]. ﴿ وَإِنْ تَعْجَبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا إِنْآ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ [الرعد: ٥].

﴿ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكٰفِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿ ٢ ﴾ إِذَا دَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴾ [ق: ٢-٣]، هذا هو افتراؤهم وهذا هو عجبهم!!



ويتولى القرآن الرد والبرهان، فحينما يتناولون على الله بعنادهم، وحينما يكشفون عن بلادتهم، يأتي الدليل ناصعاً بيناً، والحجة جلية ظاهرة: ﴿وَقَوْلِ الْإِنْسَانِ أَذًا مَا مِثُّ لَسُوفَ أُخْرِجُ حَيًّا ۝٦٦﴾ أولاً يذكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْتَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿مريم: ٦٦-٦٧﴾. ثم تأتي الغيرة الإلهية من خلال هذا القسم العظيم: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ۝٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عُنِيًّا ﴿مريم: ٦٨-٦٩﴾.

﴿قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۝٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝٧٩ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنشَأْتُم مِّنْهُ تُوقَدُونَ ۝٨٠ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ۝٨١ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿يس: ٧٨-٨٢﴾.

﴿الَّذِي يُنْفِثُ السُّحُبَ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْضِبُ بِهِ السَّيِّدَاتِ وَيُجْعِلُ فِيهَا جِبَالًا مَّوَدَّعَاتٍ ۝٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً مُّخْلَقًا فَنَسَوَىٰ ۝٣٨ فُجِعَ مِنْهُ الْزُّوجَيْنِ الْذَكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۝٣٩ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿القيامة: ٣٧-٤٠﴾. سبحانه قبي، سبحانه قبي، سبحانه قبي.

أيها الناس: خلق آدم من عدم، وخلق حواء من غير أم، وخلق عيسى بكلمة ألقاها إلى مريم وروح منه، وقال له: كن فيكون.

مساكين أهل المادة والإلحاد ينساقون وراء ماديّاتهم ويغرقون في دنياهم في طيش وغفلة، محجوبون عن البصر والتبصر، ثم يتساءلون: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۝١﴾ عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ ﴿النبا: ١-٢﴾. ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ۝٥﴾ يَسْتَلْ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿القيامة: ٥-٦﴾.

وما كانت هذه النزعة المادية النزقة التي تملأ رءوس هؤلاء وأشباعهم وأشباههم إلا لاتباع الهوى وتعطيل العقل: ﴿فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ۝١٦﴾ طه: ١٦. ﴿أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَكَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ۝١٨﴾ الشورى: ١٨. ﴿أَفَتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ۝٨﴾ سبأ: ٨.

يا هؤلاء: هل يُسَيِّغُ العقل أن ينفصَّ سوق هذه الحياة وقد نهب من نهب، وسرق من سرق، وقتل من قتل، وبغى من بغى، ونجَّبَ من تجبَّر ثم لا ينال أحدٌ من هؤلاء عقابه؟!!



وهل يسبغ العقل أن قومًا آخرين أحسنوا وأصلحوا وأنفقوا وجاهدوا ثم لا ينالون أجر ما قدموا؟!؟

ألأنهم كانوا صادقين مخلصين؟! ألأنهم كانوا مغمورين متواضعين؟! «إن كان في الساقية كان في الساقية وإن كان في الحراسة كان في الحراسة»<sup>(١)</sup>.

أم لأن الحسدة والجبارين تنكروا لفضلهم؟ ووقف الظالمون في طريقهم؟ آذوا وعدبوا وشردوا واضطهدوا؟! هل يسبغ العقل أن يبقى المجرمون في أمنٍ وعافيةٍ وأمانٍ في العاقبة؟! لا وربك ثم لا... وكلا وعزة الله وجلاله ثم كلا... لا بد من موقفٍ ويومٍ يجزى فيه المحسن على إحسانه، والمسيء على إساءته، هذا هو نهج العقل والإيمان، والعلم والحكمة برهان ذلك: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ [ص: ٢٧].

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١-٢٢].

ثم هذا الإنسان المكرّم المفضل سخّر الله له ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة، هل يعامل معاملة التراب والجماد؟! إن الحكمة تقتضي أن يسأل كما أعطي، ويحاسب على ما عمل وأنجز.

ثم ما الذي يُنكر من عجائب البعث والنشور؟! يقول بعض علمائنا المتقدمين رَحِمَهُمُ اللَّهُ: (إياك أن تنكر شيئًا من عجائب يوم القيامة لمخالفته قياس عقلك ومحسوس إدراكك!! فإنك لو لم تكن قد شاهدت عجائب الدنيا ثم عرضت عليك قبل المشاهدة لكنت أشدَّ إنكارًا لها. وفي طبع الآدمي إنكار كل ما لم يأنس به).

ولقد قيل للكفار والمنكرين: ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾ [الإسراء: ٥٠-٥١].

(١) رواه البخاري (٢٨٨٧).

أيها الإخوة: إن الذين لا يؤمنون بالآخرة والذين يكذبون بيوم الدين يعيشون في بؤس وشقاء لا أمل لهم ولا رجاء، لا يرجون عدلاً في الجزاء ولا عوضاً عما يلاقون في الدنيا من عناء.

الذي لا يؤمن بيوم الحساب لا يعدو نظره حياة الدنيا القصيرة القاصرة في حدود أرضه الضيقة، ومسافة عمره القصير، فهو من ضيقٍ إلى ضيقٍ ومن بؤسٍ إلى مسكنة.

لقد ضلوا وأضلوا، وما ضلوا إلا بما نسوا يوم الحساب، وما اجترأوا على حرمان الله وأفسدوا في أرض الله، وما ظلموا وتظالموا إلا لأنهم كانوا لا يرجون حساباً.

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾﴾ [الماعون: ١-٢].  
 ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾﴾  
 ﴿أُولَئِكَ مَاؤُهُمُ النَّارُ مِمَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٧﴾﴾ [يونس: ٧-٨].

أما المصدقون بيوم الدين، والذين هم من عذاب ربهم مشفقون، فاستقاموا على الحق والتوحيد، ونبذوا الشرك وأصلحوا عملهم، وأخلصوا لربهم ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

يحملهم إيمانهم باليوم الآخر والتصديق بلقاء ربهم؛ يحملهم على الصبر والتحمل، والبذل والإحسان، لا يبتغون من أحدٍ غير الله جزاءً ولا شكوراً ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾﴾ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَطَطِيرًا ﴿١٠﴾ فَوْقَهُمْ اللهُ شَرُّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّهْمُ نَصْرَهُ وَسُرُورًا ﴿١١﴾﴾ [الإنسان: ٧-١١].

وما ثبتت أقدام المجاهدين، ولا تبينت مواقع الشهداء إلا بمقدار إيمانهم بلقاء الله وتصديقهم بعضم جزائه: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْكُوا اللَّهَ كَمَنْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةً غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾ [البقرة: ٢٤٩].

أيها المسلمون: أيها الناس: ورب السماء والأرض لتُخرجنَّ من قبوركم ولتُحشرنَّ إلى ربكم ولتُحاسبنَّ على أعمالكم ولتُجزونَّ بما كنتم تعملون. لتُجزون على القليل والكثير، والنقير والقطمير وذلك على الله يسير.



يوم البعث أيها المسلمون يوم مشهود تعددت أسماؤه لعظيم أهواله وأعماله. فهو يوم الحشر والنشور، ويوم الفصل والقيامة، ويوم الدين والحساب، ويوم ترجف الراجفة، تتبعها الرادفة، حين تحق الحاقة، وتقع الواقعة والقارعة، وتجيء الصاخة والطامة، يوم الأزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين، ذلك يوم الخروج، يوم تبلى السرائر، وتتكشف خبيئات الضمائر، ﴿لَبِيبَ لَهُمْ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَٰذِبِينَ﴾ [النحل: ٣٩].

وحينئذ يكون كل إنسان حسيب نفسه ورقيب عمله ﴿أَقْرَأَ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤]. تشهد عليه صحائفه، وتحكم عليه أعماله وتنطق عليه جوارحه: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥]. ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لِمَ لُجُودُهُمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [فصلت: ٢٠-٢١]. ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨]. ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّنْ يُعْتَبَأَ قُلُوبُنَا لَنُؤْمِنَنَّ ثُمَّ لَنَنْبَغَنَّ لِمَا عَمَلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَىٰ اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورَ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمُ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ النَّعَابِ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [التغابن: ٧-١٠].



الخطبة الثانية:

الحمد لله رفع قدر أولي العلم والإيمان فلم يغتروا بهذه الدار، جدوا وأخلصوا وأيقنوا أن الآخرة هي دار القرار. أحمده سبحانه وأشكره على خيره المدرار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله النبي المختار، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه المهاجرين والأنصار، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله، واتقوا يومًا ترجعون فيه إلى الله، يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ، يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجًا خفاةً عرأةً غرلاً، في موقف يذيب هولهُ الأكبَاد، تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد، يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد يُسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، يجمع الله فيه بين كل عامل وعمله، وبين كل نبي وأُمَّته، ومظلوم ومظلّمته: ﴿الْيَوْمَ نُجْزِي كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [غافر: ١٧].

الأبصار شاخصة، والشمس من الرؤوس دانية، قد علا أهل الموقف العرق، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، يفرُّ فيه المرء من أخيه، وأُمَّه وأبيه، وصاحبته وبنيه، لكل امرئٍ منهم يومئذٍ شأن يغنيه، أهوالٌ شداد، وأحوالٌ عظام، تُبَدِّلُ الأرض غير الأرض والسَّمَوَاتِ، فالسَّماءُ فرجت وكشطت وانشقت وفتحت فكانت أبوابًا، والشمس كورت وخسف القمر وجمع الشمس والقمر. والنجوم انكدرت وطُمست وانتثرت، أما الأرض فسجّرت بحارها تسجيرًا، ودكت جبالها دكًا ونسفت نسفًا وسيرت فكانت سربًا، وزلزلت الأرض زلزالها، وأخرجت أبقالها، وحدثت أخبارها، وألقت ما فيها وتخلّت.



ولقد سألت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا رسول الله ﷺ: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات؟ قال: «على الصراط»<sup>(١)</sup> وفي حديث ثوبان: «إنهم يكونون في الظلمة دون الجسر»<sup>(٢)</sup>.

وحينئذٍ يحشر المتقون إلى الرحمن وفدًا فنعم الموفد ونعم الوافدون، ويساق المجرمون إلى جهنم وردًا ظمأى عطشى، يتمثل لهم السراب كالماء وما هو إلا الحر والسعير، والنار والزفير، عيادًا بالله من غضبه وأليم عقابه.

ألا فاتقوا الله رحمكم الله، وأعدوا العدة ليوم العرض والحساب وقراءة الكتاب، وجواز الصراط، وإثقال الميزان فالساعة آتية لا ريب فيها لا تأتكم إلا بغتة، ولا يجليها لوقتها إلا الله جلَّ جلاله.



(١) رواه مسلم (٢٧٩١).

(٢) رواه مسلم (٣١٥).



## الصراف<sup>(١)</sup>

### الخطبة الأولى:

الحمد لله فاطر السماوات والأرض، وجامع الناس ليوم المعاد والعرض، ومورد الخلق على الصراف يوم العرض، ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠].

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وأمينه على وحيه وخيرته من خلقه، بعثه الله تعالى للإيمان منادياً، وإلى دار السلام داعياً، وبالمعروف آمراً، وعن المنكر ناهياً.

وفرض على العباد طاعته، والقيام بحقوقه، وسد جميع الطرق إلى الجنة فلم يفتحها لأحد إلا من طريقه، فبلغ رسالة ربه، ونصح لعباده، حتى لحق بالرفيق الأعلى، وترك أمته على المحجة البيضاء، فسلكها الراغبون في جنات النعيم، وعدل بها المخدولون إلى طريق الجحيم، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا عباد الله اتقوا الله كما أمركم في محكم كتابه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

عباد الله: إذا قامت القيامة، وحشر الله الخلائق، وقام الناس من قبورهم لرب العالمين، ووقفوا بين يديه سبحانه وتعالى، فهناك يلاقي العباد في ذلك اليوم شيئاً عظيماً من الأهوال والكروب، والشدائد والمصاعب، ولن ينجو من تلك الأهوال إلا من أعدَّ لذلك اليوم عدته

(١) إعداد الفريق العلمي بملتقى الخطباء.



من الإيمان والعمل الصالح، ثم يساق العباد في ختام ذلك اليوم إلى دار القرار: إما إلى الجنة وإما إلى النار.

وقبل دخول الجنة أو النار يمر الناس بهول عظيم، وكرب شديد، وعقبة كئود، إنها عقبة المرور على الصراط، هذه العقبة التي لا مفر من ولوجها، ولا مناص من المرور عليها، وقد أقسم الرب جَلَّالَهُ وَعَزَّ كَمَالَهُ أن يورد عباده عليها، فقال: ﴿وَأِنْ مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۗ﴾ (٧١) ثُمَّ نَجَّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثَّتًا ﴿٧٢﴾ [مريم: ٧١-٧٢]، فورود المسلمين للنار يكون بالمرور على الصراط الذي بين ظهرانيها، وورود المشركين للنار أن يدخلوها.

إن أعظم الكرب وأخطر المواقف يوم القيامة موقف الصراط والمرور عليه، فالرهان الحقيقي يكون عليه، والسباق المصيري يكون فوقه، فمن نجا فقد فاز بالعلا، ومن سقط فإلى نار تلظى، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ﴾ [يس: ٦٦].

أيها المسلمون: إن الصراط جسر ممدود على متن جهنم، أحدٌ من السيف، وأدقُّ من الشعرة، تزل فيه الأقدام وتدحض، وطريق موحش مسود حارق، على حافتيه خطاطيف وكلايب من نار معلقة، يجتازه كل الناس، وكل فرد منا سيمر عليه، فإما أن يكمل العبور بسهولة، وإما يعبره بمشقة وصعوبة، وإما أن يتكس ويسقط! أعاذنا الله وإياكم!

روى سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «... ويوضع الصراط مثل حد موسى، فتقول الملائكة: من يجوز على هذا؟ فيقول: من شئت من خلقي. فيقولون: سبحانك! ما عبدناك حق عبادتك»<sup>(١)</sup>.

وقال أبو سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «بلغني أن الجسر أدق من الشعرة، وأحد من السيف»<sup>(٢)</sup>.

وروى أبو سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضا أن النبي ﷺ قال: «... ثم يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهري جهنم»، قلنا: يا رسول الله، وما الجسر؟ قال: «مدحضة مزلة»، أي: طريق زلق

(١) السلسلة الصحيحة (٩٤١).

(٢) رواه مسلم (١٨٣).



تزلق فيه الأقدام، «عليه خطاطيف وكلايب وحسكة مفلطحة، لها شوكة عقيفاء تكون بنجد يقال لها السعدان»<sup>(١)</sup>.

قال الشراح: الكلايب جمع كلوب وهو حديدة معطوفة الرأس يُعلق عليها اللحم، والخطاف الحديد المعوجة كالكلوب يختطف بها الشيء، والحسكة شوكة صلبة معروفة، وقيل: نبات له ثمر خشن يتعلق بأصواف الغنم، والمفلطحة يعني العريضة، والعقيفاء أي المعوجة، وشوك السعدان نبات ذو شوك يرعى البدو إبلهم عنده مشهور بنجد، يقال مرعى ولا كالسعدان، له شوك أراد النبي ﷺ أن يقرب لهم كيف تعلق هذه الكلايب بأجساد الناس وكل تتخطف هذه الخطاطيف الناس وتعلق بأجسادهم مثل شوك السعدان الذي يعلق وإذا نشب لا يخرج.

كل هذا وأصف إليه أن الأمم سيكونون على هذا الصراط يوم تبدل الأرض والسموات، فيا الله! كيف يكونون على صراط أحد من السيف، وأدق من الشعرة؟ سبحانك ربنا ما أعظمك!

تقول أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: سألت رسول الله ﷺ عن قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، فأين يكون الناس يومئذ يا رسول الله؟ فقال: «على الصراط»<sup>(٢)</sup>.

وفي رواية عند أحمد قال: «هم على جسر جهنم»<sup>(٣)</sup>.

فالمرور على الصراط من أخطر كرب يوم القيامة، إن لم يكن هو أخطر الكربات وأعظم الأهوال، لأن فيه من الشدائد والخوف والرعب ما لا تتحمله عقول الخلق ولا نفوسهم.

فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «ذكرت النار فبكيت، فقال رسول الله ﷺ: ما يبكيك؟ قلت: ذكرت النار فبكيت؛ فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: أما في ثلاثة

(١) رواه البخاري (٧٤٣٩).

(٢) رواه مسلم (٢٧٩١).

(٣) السلسلة الصحيحة (١٠٣/٢).



مواطن فلا يذكر أحدٌ أحدًا: عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أو يثقل، وحيث الكتاب حين يقال: ﴿هَآؤُمْ أَقْرَأُ وَأَكْتَبِيَّةٌ﴾ [الحاقة: ١٩] حتى يعلم أين يقع كتابه في يمينه أم شماله أم من وراء ظهره، وعند الصراط إذا وضع بين ظهري جهنم<sup>(١)</sup>.

فانظروا -أيها الناس- إلى هذا الهول العظيم، حتى إن المرء لا يذكر في تلك الساعة إلا نفسه، وذلك لشدة الهول والفرع.

إن هذه الأحاديث توضح لنا جلياً أن نصب الصراط يعد كرباً من الكرب الكبيرة التي تستوجب علينا الحرص على الأعمال التي تنجينا منه؛ لذا قال معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إن المؤمن لا يسكن روعه حتى يترك جسر جهنم وراءه».

بل إن من هول الصراط وشدته وصعوبته يأتي رسولنا ﷺ بنفسه، ليحضر هذا الموقف رحمة منه وشفقة بأمته -بأبي هو وأمي ﷺ-، فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «سألت النبي ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة فقال: أنا فاعل. قال: قلت: يا رسول الله، فأين أطلبك؟ قال: اطلبني أول ما تطلبني على الصراط. قال: قلت: فإن لم ألقك على الصراط؟ قال: فاطلبني عند الميزان. قلت: فإن لم ألقك عند الميزان؟ قال: فاطلبني عند الحوض، فأني لا أخطئ هذه الثلاث المواطن»<sup>(٢)</sup>.

ومن شدة هوله أنه لا يتكلم عند إجازته إلا الرسل داعين الله تعالى بالسلامة لمن عبه من أتباعهم، كما روى أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «فيضرب الصراط بين ظهري جهنم، فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته، ولا يتكلم يومئذٍ إلا الرسل، وكلام الرسل يومئذٍ: اللهم سلم سلم»<sup>(٣)</sup>.

أيها المسلمون: إن المارين على الصراط ينقسمون عند المرور عليه إلى أربعة أصناف: فمنهم من يمر عليه سريعاً كالبرق فينجو منه، فلا يمسه حر جهنم ولا كلاليب الصراط،

(١) رواه أبو داود (٤٧٥٥) وسكت عنه، وقال في رسالته لأهل مكة: (كل ما سكتُ عنه فهو صالح).

(٢) صحيح الترمذي (٢٤٣٣).

(٣) رواه البخاري (٨٠٦) ومسلم (١٨٢).

ومنهم من تخدشه كلاليب الصراط أو تقطع لحمه ثم ينجو، ومنهم من يجبس على الصراط فيعاني الشيء العظيم من لفتح جهنم وغير ذلك من أصناف العذاب وألوان الخوف والرعب الذي تنخلع له الأفئدة حتى ينجو، ومنهم من يوبقه عمله فيسقط في النار والعياذ بالله.

يقول النبي ﷺ: «يوضع الصراط بين ظهراي جهنم على حسك كحسك السعدان، ثم يستجيز الناس، فناج مسلم، ومخدوج به - أي: مخدوش - ثم ناج، ومحتبس به، ومنكوس فيها»<sup>(١)</sup>.

وأول من يجوز الصراط من الأمم أمة النبي محمد ﷺ لكرامتها عند الله عز وجل، وأول من يجوز من هذه الأمة هو سيدنا ونبينا محمد ﷺ روى أبو سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «وَالْأَنْبِيَاءُ بِجَنَّتِي الصَّرَاطُ، وَأَكْثَرُ قَوْلِهِمْ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوْلَ مَنْ يَمُرُّ، أَوْ قَالَ: أَوْلَ مَنْ يَجِيزُ»<sup>(٢)</sup>.

وأول من يجوز من هذه الأمة بعد نبيها ﷺ هم فقراء المهاجرين، فقد جاء عن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّ حَبْرًا مِنْ أَحْبَارِ الْيَهُودِ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عِدَّةَ أَسْئَلَةٍ كَانَ مِنْهَا قَوْلُهُ: أَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هُمْ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الْجِسْرِ»، قَالَ: فَمَنْ أَوْلَ النَّاسِ إِجَازَةً؟ قَالَ: «فَقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ»<sup>(٣)</sup>.

وأما آخر الناس مرورًا على الصراط فهو الذي يمشي مرة ويكبو مرة، فعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ يَمْشِي عَلَى الصَّرَاطِ، فَهُوَ يَمْشِي مَرَّةً، وَيَكْبُو مَرَّةً، وَتَسْفَعُهُ النَّارُ مَرَّةً، فِإِذَا جَاوَزَهَا التَّفْتُ إِلَيْهَا فَقَالَ: تَبَارَكَ الَّذِي نَجَانِي مِنْكَ؛ لَقَدْ أَعْطَانِي اللَّهُ شَيْئًا مَا أَعْطَاهُ أَحَدًا مِنَ الْأَوْلِينَ وَالْآخِرِينَ»<sup>(٤)</sup>.

(١) صحيح ابن ماجه (٣٤٧٢).

(٢) السنة لابن أبي عاصم (٦٣٤) وقال الألباني: (إسناده جيد على شرط مسلم).

(٣) رواه مسلم (٣١٥).

(٤) رواه مسلم (١٨٧).



عباد الله: إن مرورنا على الصراط يكون على قدر أعمالنا، فعلى قدر عملك سيكون قدر مرورك، فأعمالك الصالحة هي التي ستحدد مقدار سرعتك عليه، وهي وقودك ومطيتك على الصراط، لأنها هي التي تجري وتمشي بك في هذا الجسر الرهيب، لذا فإن كثرة الأعمال الصالحة تزيد من سرعتك واجتيازك للصراط بسلام.

والناس ستتفاوت سرعاتهم على الصراط تبعاً لمراتبهم وتفاوت أعمالهم الصالحة، فالرجل الذي يأتي يوم القيامة على الصراط فلا يستطيع السير إلا زحفاً، لماذا؟ إنه لقلّة عمله، وانتهاء وقوده الذي يدفعه إلى المشي للأمام، ولعدم مسابقته في الدنيا إلى الخيرات.

بينما تراه يسابق على حطام الدنيا ويجاهد نفسه فيها، ونسي أو غفل عن الآخرة والصراط، فكان جزاؤه من جنس عمله، فتباطؤه وتأخره عن الأعمال الصالحة في الدنيا جعله يتأخر في الصراط، لأن الأعمال الصالحة هي التي تجري بالمرء على الصراط، فلن يجري به نسبه، ولا حسبه، ولا شهرته، ولن ينفعه في تلك الساعة إلا أعماله.

وتفكروا فيمن على الصراط وهو يزحف فوق الصراط وتحت النار، فيأتيه من لهيها وسمومها ما يزيد شدة فوق شدته، وعذاباً فوق عذابه، فمتى سيقطع الصراط وهو على هذه الحالة؟ وكم سيعاني من حر النار ولهيها؟ نسأل الله السلامة والعافية.

أبعد هذا يجراً أحدنا على تضييع وقته وتسوييف توبته، وأمامنا عقبات وكرب وأهوال؛ لا يكون الخلاص منها سوى بالرجوع إلى الله تبارك وتعالى والإكثار من الأعمال الصالحة، والاستغفار من الذنوب!

يحرص الناس في الدنيا على وسائل النقل السريعة للتنقل في أسفارهم، ولو أدى ببعضهم إلى دفع مبالغ باهظة، فترى أحدهم يفضل السفر إلى البلد البعيد بالطائرة رغم ارتفاع تكلفتها عن غيرها من الوسائل، ليس إلا رغبة في الوصول بأسرع ما يمكن، ولثلا يصيبه عناء السفر. أليس أولى بالمسلم أن يجاهد نفسه في الدنيا بالإكثار من الأعمال الصالحة كي يجتاز هذا الصراط بأسرع ما يمكن؟ فإنه طريق ليس مفروشاً بالورود والمناظر الخلابة، وإنما طريق مزلة، كله كلاليب، وأهوال، وعذاب.



يقول الإمام القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: (فتفكر الآن فيما بك من الفزع بفؤادك إذا رأيت الصراط ودقته، ثم وقع بصرك على سواد جهنم من تحته، ثم قرع سمعك شهيق النار وتغيظها، وقد كلفت أن تمشي على الصراط مع ضعف حالك، واضطراب قلبك، وتزلزل قدمك، وثقل ظهرك بالأوزار المانعة لك من المشي على بساط الأرض، فضلاً عن حدة الصراط؛ فكيف بك إذا وضعت عليه إحدى رجلك فأحسست بحدته، واضطرت إلى أن ترفع القدم الثاني، والخلائق بين يديك يزلون ويعثرون، وتتناولهم زبانية النار بالخطاطيف والكلاليب، وأنت تنظر إليهم، كيف يُنكَّسون فتسفل إلى جهة النار رؤوسهم، وتعلو أرجلهم، فيأله من منظرٍ ما أفضعه! ومُرَّتَقَى ما أصعبه! ومجاز ما أضيقه!)<sup>(١)</sup>.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا بما فيه من الآيات والعظات والذكر الحكيم، قلت ما سمعتم وأستغفر الله العظيم لي ولكم فاستغفروه وتوبوا إليه؛ فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له.

(١) التذكرة.



### الخطبة الثانية:

الحمد لله غافر الذنب، وقابل التوب، شديد العقاب، ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، يزكيهم، ويعلمهم، وإن كانوا من قبل لفي ضلالٍ مبين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى التابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.  
أما بعد:

عباد الله: مما يزيد من هول الصراط وكربته الظلمة المطبقة التي عليه، فمع أنه أحد من السيف، وأدق من الشعرة، إلا أنه أيضاً مسود مظلم لا يستطيع أحد الرؤية عليه إلا من آتاه الله نوراً يهدي به في تلك الظلمات، ﴿وَمَنْ لَزِمَ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ [النور: ٤٠].

وهذا النور يعطيه الله للمؤمنين، كل مؤمن على قدر عمله ليصير به في ذلك الظلام الدامس، ويعطيه أيضاً للمنافقين مكرًا بهم، فبينما هم يمشون على الصراط إذ ذهب ذلك النور، وأما الكافر فإنه يمشي في ظلام بهيم ولا يعطى من النور شيئاً.

فعن أبي الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يسأل عن الورود فقال: «نجيء نحن يوم القيامة عن كذا وكذا انظر أي ذلك فوق الناس، قال: فتدعى الأمم بأوثانها وما كانت تعبد، الأول فالأول، ثم يأتي ربنا بعد ذلك فيقول: من تنظرون؟ فيقولون: ننظر ربنا، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: حتى ننظر إليك، فيتجلى لهم يضحك.

قال: فينطلق بهم ويتبعونه، ويعطى كل إنسان منهم منافقا كان أو مؤمنا نورا، ثم يتبعونه، وعلى جسر جهنم كالليب وحسك تأخذ من شاء الله، ثم يطفأ نور المنافقين، ثم ينجو المؤمنون، فتنجو أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر؛ سبعون ألفا لا يحاسبون، ثم الذين يلونهم كأضواء نجم في السماء، ثم كذلك، ثم تحل الشفاعة، ويشفعون، حتى يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرةً، فيجعلون بفناء الجنة، ويجعل أهل الجنة يرشون عليهم الماء حتى ينبتوا نبات الشيء في السيل ويذهب حرقه، ثم يسأل حتى تجعل له الدنيا وعشرة أمثالها معها»<sup>(١)</sup>.

(١) رواه مسلم.

ولقد وصف الله لنا مشهد المؤمنين وهم يسعون في نورهم، ومشهد المنافقين وهم يتخبطون في ظلمتهم، وينادون المؤمنين أن ينتظروهم ليقتبسوا من نورهم ليروا طريقهم، فقال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرانُكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُوا لَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتِنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿١٤﴾ قَالِيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَانُكُمْ النَّارُ هِيَ مَوْلَانُكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ [الحديد: ١٢-١٥].

قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الحديد: ١٢] قال: «يؤتون نورهم على قدر أعمالهم، منهم من نوره مثل الجبل، وأدناهم نوراً من نوره على إبهامه يطفى مرة ويُقَدُّ مرة»<sup>(١)</sup>. وفي رواية أخرى له رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «على قدر أعمالهم يمرون على الصراط، منهم من نوره مثل الجبل، ومنهم من نوره مثل النخلة، وأدناهم نوراً من إبهامه، يَتَقَدُّ مرة ويطفى مرة»<sup>(٢)</sup>.

وإن أهم الوسائل المعينة على الثبات على الصراط وعلى جوازه سالماً دون أن تلهك النار ودون السقوط منه: التقرب إلى الله تعالى بكل ما يحبه ويرضاه، وتجنب كل ما يسخط الله تعالى ويأباه من شهوات محرمة، وكبائر ذنوب توعده أصحابها بالنار، أو اللعن، أو الغضب، أو العذاب الأليم.

فالإكثار من الأعمال الصالحة عموماً، والمنجية من النار والمسرعة على الصراط والكاشفة للظلمة التي عليه خصوصاً؛ والمبادرة إلى الاستغفار من كل ذنب تقع فيه، خاصة الكبائر، هو سبيلنا الوحيد للنجاة من هول هذا الكرب.

(١) صحيح الترغيب (٣٧٠٤).

(٢) صححه الألباني في شرح الطحاوية (٤١٥).



ومن فرط في ذلك، وَأَلْهَتْهُ حَيَاتُهُ عَنْ آخِرَتِهِ، ولم يأخذ الأمر بالجد، ندم أشد الندم، ولات ساعة مندم عند اشتداد الكرب وركوب الصعاب، والعبور على الصراط، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنْ يَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا نُهَوْنَ عَنْهُ نَكُفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١].

لقد كان أسلافنا الصالحون يعيشون همَّ هذا الصراط، ويجعلونه نصب أعينهم في كل تصرفاتهم، فزكت نفوسهم، وقلت ذنوبهم، وكثرت حسناتهم. فهل نحذو حذوهم؟. إذا برز العباد لذي الجلال وقاموا من قبورهم سُكَارَى وقد نُصِبَ الصَّرَاطُ لَكِي يَجُوزُوا ومنهم من يسير لدارِ عَدْنٍ يقول له الْمُهَيِّمُ يَا وَلِيَّيْ وَقَالَ آخِرُ:

إذا مُدَّ الصَّرَاطُ عَلَى جَحِيمٍ  
فَقَوْمٌ فِي الْجَحِيمِ لَهُمْ بُبُورٌ  
وَبَانَ الْحَقُّ وَانْكَشَفَ الْمُعْطَى  
تصوُّلٌ عَلَى الْعَصَاةِ وَتَسْتَطِيلُ  
وَقَوْمٌ فِي الْجَنَانِ لَهُمْ مَقِيلٌ  
وَطَالَ الْوَيْلُ وَاتَّصَلَ الْعَوِيلُ

اللهم اجعلنا ممن يمر على الصراط كالبرق يا أرحم الراحمين. اللهم إنا نعوذ بوجهك العظيم من أن نكون من المتكسين على الصراط أو المخدوشين. اللهم ارحمنا يوم المرور على الصراط برحمتك يا رحمن يا رحيم.

اللهم اشرح صدورنا، ويسر أمورنا، وثبت الإيمان في قلوبنا، اللهم اشغلنا دومًا بطاعتك وأبعدنا عن معصيتك.

اللهم إنا نسألك أن تجعلنا من أهل الجنات، وأن تباعدنا عن النار دار الهلكات، وأن تتوفانا على الإيمان والتوحيد، وتعيذنا من الكفر والشرك والتنديد، إنك جواد كريم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

## الشفاعة (١)

## الخطبة الأولى:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي الَّذِي نَسَا لُونِ بِهِ ءِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

الشفاعة وما أدراك ما الشفاعة، هي التوسط للغير بجلب خير له أو دفع شر عنه.

يقول الله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وقال تعالى: ﴿مَا مِنْ

شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ [يونس: ٣].

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحٰنَهُ ۗ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ

بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ

أَرَضَىٰ وَهُمْ مِنْ حَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ وقال الله تعالى: ﴿وَسَأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾

فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ

(١) اللجنة العلمية بمسجد التوحيد، بليبس.



وَحَسَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَا نَنْفَعُ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿طه: ١٠٥-١٠٩﴾.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَوَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَقِّعٍ» (١).

عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ قَالَ: «أُعْطِيَتْ حَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكْتُهُ الصَّلَاةَ فَلْيَصِلْ، وَأُحِلَّتْ لِي الْمَعَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيَتْ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَوُعِثَتْ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً» (٢).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقَالَ «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوْلُ مِنْكَ، لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. خَالِصًا مِنْ قَبْلِ نَفْسِهِ» (٣).

وعقيدة أهل السنة والجماعة في الشفاعة أنهم يؤمنون بكل ما جاءهم عن الله عزَّ وجلَّ وعن رسوله ﷺ في الشفاعة، ويشتون جميع الشفاعات التي جاءت نصوص الكتاب والسنة بإثباتها؛ كشفاعته ﷺ لأهل الموقف، وشفاعته ﷺ لأهل الكبائر، وغير ذلك من أنواع الشفاعات الواردة له ولغيره ﷺ. وينفون الشفاعة التي نفتها الأدلة من الكتاب والسنة. يقول العلامة حافظ الحكمي رَحِمَهُ اللَّهُ:

(فهذه الشفاعة حق يؤمن بها أهل السنة والجماعة، كما آمن بها الصحابة رضوان الله عليهم، ودرج على الإيذان بذلك التابعون لهم بإحسان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ورضوا عنه) (٤).

(١) رواه مسلم (٢٢٧٨).

(٢) البخاري (٣٣٥) مسلم (٥٢١).

(٣) البخاري (٦٥٧٠).

(٤) معارج القبول (٢ / ٢٥٦).

أيها الناس: وللشفاعة شروط حتى تُقبل عند الله تعالى، منها:

قدرة الشافع على الشفاعة كما قال تعالى في حق الشافع الذي يطلب منه وهو غير قادر على الشفاعة: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦] فعلم من هذا أن طلب الشفاعة من الأموات طلب ممن لا يملكها، قال تعالى: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَيْرٍ﴾ [فاطر: ١٤].

ومن شروط قبول الشفاعة: إسلام المشفوع له. قال الله تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨]. قال البيهقي: (فالظالمون هاهنا هم الكافرون، ويشهد لذلك مفتاح الآية إذ هي في ذكر الكافرين)<sup>(١)</sup>.

ومنها: الإذن للشافع. كما قال الله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

الشرط الرابع لقبول الشفاعة: الرضا عن المشفوع له قال تعالى ﴿يَوْمَئِذٍ لَا نَنْفَعُ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرِضَى لَهُ قَوْلًا﴾ [طه: ١٠٩]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

والنبي ﷺ له شفاعات يختص بها دون غيره..

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (فله ﷺ شفاعات يختص بها لا يشرکه فيها أحد، وشفاعات يشرکه فيها غيره من الأنبياء والصالحين، لكن ما له فيها ﷺ أفضل مما لغيره، فإنه أفضل الخلق وأكرمهم على ربه عز وجل، وله من الفضائل التي ميزه الله بها على سائر النبيين)<sup>(٢)</sup>.

(١) شعب الإيمان (١/ ٢٠٥).

(٢) مجموع الفتاوى (١/ ٣١٣).

ومن هذه الشفاعات:

الشفاعة العظمى: وهذه الشفاعة أجمع عليها أهل الإسلام. قال تعالى: ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدُ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء: ٧٩].

وعن أبي هريرة قال أتى رسول الله ﷺ يوماً بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهس منها نهسة فقال «أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون به ذلك يجتمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد فيسمعونهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون وما لا يَحْتَمِلُونَ فيقول بعض الناس ليعض ألا ترون ما أنتم فيه ألا ترون ما قد بلغكم ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم فيقول بعض الناس لبعض اتوا آدم. فيأتون آدم فيقولون يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه ألا ترى إلى ما قد بلغنا فيقول آدم إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى نوح. فيأتون نوحاً فيقولون يا نوح أنت أول الرسل إلى الأرض وسماك الله عبداً شكوراً اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا فيقول لهم إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه قد كانت لي دعوة دعوت بها على قومي نفسي اذهبوا إلى إبراهيم ﷺ فيأتون إبراهيم فيقولون أنت نبي الله وحليله من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه ألا ترى إلى ما قد بلغنا فيقول لهم إبراهيم إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله. وذكر كذباته نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى موسى. فيأتون موسى ﷺ فيقولون يا موسى أنت رسول الله فضلك الله برسالاته وتكليمه على الناس اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا فيقول لهم موسى ﷺ إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإني قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها نفسي اذهبوا إلى عيسى ﷺ فيأتون عيسى فيقولون يا عيسى أنت رسول الله وكلمت الناس في المهدي وكلمة منه ألقاها إلى مريم وروح منه فاشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا فيقول لهم عيسى ﷺ إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم



يَغْضَبُ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ - وَلَمْ يَذْكُرْ لَهُ ذَنْبًا - نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ فَيَأْتُونِي فَيَقُولُونَ يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ وَغَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغْنَا فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ فَأَقْعُ سَاجِدًا لِلرَّبِّي ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ وَيُلْهَمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لِأَحَدٍ قَبْلِي ثُمَّ يَقَالُ يَا مُحَمَّدُ اارْفَعْ رَأْسَكَ سَلِّ تَعْطُهُ اشْفَعْ تُشْفَعُ. فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي. فَيَقَالُ يَا مُحَمَّدُ ادْخُلِ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَاحِسَابَ عَلَيْهِ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيهَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنْ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِعِ الْجَنَّةِ لَكُمْ بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجْرٍ أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى»<sup>(١)</sup>.

ومن الشفاعات: الشفاعة في دخول أهل الجنة الجنة بعد الفراغ من حسابهم:

من الأدلة على هذه الشفاعة حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَنَا أَوَّلُ شَفِيعٍ فِي الْجَنَّةِ لَمْ يُصَدَّقْ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مَا صُدِّقْتُ وَإِنَّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيًّا مَا يُصَدِّقُهُ مِنْ أُمَّتِهِ إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ»<sup>(٢)</sup>. وحديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ يَدْعُوهَا فَأُرِيدُ أَنْ أَخْتَبِيَ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(٣)</sup>. فهذه الأحاديث وغيرها تدل على أن النبي ﷺ أول الشفعاء لأهل الجنة في دخولها.

ومنها: الشفاعة في تخفيف العذاب عن عمه أبي طالب:

ومن الأدلة على هذه الشفاعة:

حديث العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَفَعْتَ أَبَا طَالِبٍ بِشَيْءٍ، فَإِنَّهُ كَانَ يَحْوِطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ قَالَ «نَعَمْ هُوَ فِي صَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، لَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ»<sup>(٤)</sup>.

(١) رواه البخاري (٣٣٤٠)، مسلم (١٩٤).

(٢) رواه مسلم (١٩٦).

(٣) مسلم (١٩٨).

(٤) رواه البخاري (٦٢٠٨)، مسلم (٢٠٩).

عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ وَذَكَرَ عِنْدَهُ عَمَّهُ فَقَالَ «لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَجْعَلُ فِي صَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ، يَبْلُغُ كَعْبِيهِ، يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُهُ» (١).

فهذه الأحاديث تبين أن سبب شفاعة الرسول ﷺ لعمه أبي طالب في تخفيف العذاب عنه هو دفاعه عن الرسول ﷺ ونصرته له، وهو مات كافراً، والله سبحانه وتعالى أخبر أن الكافرين لا تنفعهم شفاعة الشافعين ولكن شفاعة الرسول ﷺ لعمه شفاعة خاصة، حتى ورد أنه أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة.

وهذه الأنواع الثلاثة من الشفاعة خاصة بنبينا محمد ﷺ.

الشفاعة في أهل الكبائر من أمته ممن دخلوا النار بذنوبهم أن يخرجوا منها.

فقد تقدم في الأحاديث أن الله يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه مثقال ذرة من إيمان.. وذلك بفضل شفاعة النبي ﷺ. وأهل الكبائر يدخلون فيهم لأنهم قالوا لا إله إلا الله. ومع ذلك فقد جاءت أحاديث خاصة في ذلك.

عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «خَيْرُتُ بَيْنَ الشَّفَاعَةِ وَبَيْنَ أَنْ يَدْخُلَ نَصْفُ أُمَّتِي الْجَنَّةَ فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ لِأَنَّهَا أَعْمُ وَأَكْفَى أَثْرُومَهَا لِلْمُتَّقِينَ لَا وَلَكِنَّهَا لِلْمُذْنِبِينَ الْخَطَّائِينَ الْمُتَلَوِّثِينَ» (٢).

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي» (٣).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: (أجمع المسلمون على أن النبي ﷺ يشفع للخلق يوم القيامة بعد أن يسأله الناس ذلك، وبعد أن يأذن الله له في الشفاعة، ثم إن أهل السنة والجماعة متفقون على ما اتفق عليه الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، واستفاضت به السنن من أنه ﷺ يشفع لأهل الكبائر من أمته، ويشفع أيضاً لعموم الخلق) (٤).

ومنها: الشفاعة لإدخال قوم الجنة بغير حساب.

(١) رواه البخاري (٣٨٨٥)، مسلم (٢١٠).

(٢) ابن ماجه في سننه (٤٣١١) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٩٣٨).

(٣) رواه الترمذي (٢٤٣٥) وابن حبان (٦٤٦٨) وصححه الألباني في ظلال الجنة (٨٣٢).

(٤) مجموع الفتاوى (١ / ٣١٣).



ويدل على ذلك كما جاء في حديث أبي هريرة وفيه قول النبي ﷺ: «فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي. فَيَقَالُ يَا مُحَمَّدُ ادْخُلِ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيهَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ..»<sup>(١)</sup>.

(١) رواه البخاري (٣٣٤٠)، مسلم (١٩٤).

## الخطبة الثانية:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه، وبعد:

فإن شفاعة النبي ﷺ هي الشفاعة العظمى التي لا يشاركه فيها غيره، ثم هناك شفاعات

أخرى غير شفاعة النبي ﷺ منها:

شفاعة المؤمنين والملائكة والأنبياء: ودليل هذه الشفاعة: ما جاء في حديث أبي سعيد

الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في حديث رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة والشفاعة الطويل، وفيه: «فَيَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمًّا فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهْرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ نَهْرُ الْحَيَاةِ فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحَبَّةُ فِي حِمِيلِ السَّيْلِ أَلَا تَرَوْنَهَا تَكُونُ إِلَى الْحَجَرِ أَوْ إِلَى الشَّجَرِ مَا يَكُونُ إِلَى الشَّمْسِ أَصْفَرٌ وَأَخْيَضُ وَمَا يَكُونُ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ يَكُونُ أبيض». فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ كَأَنَّكَ كُنْتَ تَرَعَى بِالْبَادِيَةِ قَالَ «فَيَخْرُجُونَ كَاللُّؤْلُؤِ فِي رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِمُ يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ هُوَ لِأَنَّ عِتْقَاءَ اللهِ الَّذِينَ أَدْخَلَهُمُ اللهُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ ثُمَّ يَقُولُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ فَمَا رَأَيْتُمُوهُ فَهُوَ لَكُمْ. فَيَقُولُونَ رَبَّنَا أَعْطَيْنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ. فَيَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي أَفْضَلُ مِنْ هَذَا فَيَقُولُونَ يَا رَبَّنَا أَي شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا. فَيَقُولُ رِضَايَ فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا»<sup>(١)</sup>.

ومنها: شفاعة الشهداء: عن المقدم بن معد يكرب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللهِ سِتٌّ خِصَالٍ: يَغْفِرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دُفْعَةٍ مِنْ دَمِهِ، وَيُرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ، وَيُحَلَّى حُلَّةَ الْإِيمَانِ، وَيُزَوَّجُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُسَفَّعُ فِي سَبْعِينَ إِنْسَانًا مِنْ أَقَارِبِهِ»<sup>(٢)</sup>.

ومنها: شفاعة أولاد المؤمنين لأبائهم يوم القيامة: فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ

الله ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ هُمَا ثَلَاثَةٌ أَوْلَادٍ لَمْ يَبْلُغُوا الْحِجْتَ إِلَّا أَدْخَلَهُمُ اللهُ وَإِيَّاهُمْ

(١) رواه البخاري (٧٤٣٩)، مسلم (١٨٣).

(٢) الترمذي (١٦٦٣)، ابن ماجه (٢٧٩٩)، وصححه الألباني في المشكاة (٣٨٣٤).

بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ الْجَنَّةَ. وَقَالَ يُقَالُ لَهُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ. قَالَ فَيَقُولُونَ حَتَّى يَجِيءَ أَبَوَانَا - قَالَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - فَيَقُولُونَ مِثْلَ ذَلِكَ فَيُقَالُ لَهُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَبَوَاكُمْ» (١).

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لِيرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ فِي الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَنْتَى لِي هَذِهِ؟ فَيَقَالُ: بِاسْتِغْفَارٍ وَلَدَكَ لَكَ» (٢).

الأعمال التي تشفع لأصحابها يوم القيامة:

شفاعة الصيام والقرآن: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ «الصَّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ الصَّيَامُ أَيُّ رَبِّ مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ فَشَفَّعْنِي فِيهِ. وَيَقُولُ الْقُرْآنُ مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفَّعْنِي فِيهِ. قَالَ فَيُشَفَّعَانِ» (٣).

٣- سكنى المدينة والصبر على شدتها والموت بها:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ مَوْلَى الْمَهْرِيِّ أَنَّهُ جَاءَ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِيَأْتِيَ الْحَرَّةَ فَاسْتَشَارَهُ فِي الْجَلَاءِ مِنَ الْمَدِينَةِ وَشَكَا إِلَيْهِ أَسْعَارَهَا وَكَثْرَةَ عِيَالِهِ وَأَخْبَرَهُ أَنَّ لَا صَبْرَ لَهُ عَلَى جَهْدِ الْمَدِينَةِ وَلَا وَائِهَا. فَقَالَ لَهُ وَيْحَكَ لَا أَمْرُكَ بِذَلِكَ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا يَصْبِرُ أَحَدٌ عَلَى لَأْوَائِهَا فَيَمُوتَ إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا أَوْ شَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا كَانَ مُسْلِمًا» (٤).

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَمُوتَ بِالْمَدِينَةِ فَلْيَمُتْ فَإِنِّي أَشْفَعُ لِمَنْ يَمُوتُ بِهَا» (٥).

الصلاة على النبي ﷺ وطلب الوسيلة له:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ اللَّهُمَّ رَبِّ

(١) رواه أحمد ٢/ ٥١٠، والنسائي (٤/ ٢٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي.

(٢) رواه أحمد ٢/ ٥٠٩ وحسنه الألباني في الصحيحة (١٥٩٨).

(٣) رواه أحمد في مسنده ٢/ ١٧٤. والحاكم ١/ ٧٤٠ وحسنه الألباني في تمام المنة.

(٤) رواه مسلم (١٣٧٤).

(٥) أحمد (٢/ ١٠٤)، والترمذي (٣٩١٧)، وابن ماجه (٣١١٢) وصححه الألباني في صحيح

الترمذي (٣٠٧٦).



هَذِهِ الدَّعْوَةُ التَّامَّةُ وَالصَّلَاةُ الْقَائِمَةُ آتٍ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ وَابْعَثَهُ مَقَامًا مُحَمَّدًا الَّذِي وَعَدْتُهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(١)</sup>.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتُمْ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا ثُمَّ سَأَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ»<sup>(٢)</sup>.

٥- المصلون على الميت الموحد لله عزَّوجلَّ:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ مَيِّتٍ يُصَلَّى عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَلْعَنُونَ مِائَةً كُلُّهُمْ يَشْفَعُونَ لَهُ إِلَّا شَفَعُوا فِيهِ»<sup>(٣)</sup>.

وعنده من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا لَا يَشْرِكُونَ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلَّا شَفَعَهُمُ اللَّهُ فِيهِ»<sup>(٤)</sup>.

كثرة السجود لله: عَنْ زِيَادِ بْنِ أَبِي زِيَادٍ، مَوْلَى بَنِي مُحْزُومٍ، عَنْ خَادِمِ النَّبِيِّ ﷺ، رَجُلٍ أَوْ امْرَأَةٍ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ مِمَّا يَقُولُ لِلْخَادِمِ: «أَلَيْكَ حَاجَةٌ؟» قَالَ: حَتَّى كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ حَاجَتِي، قَالَ: «وَمَا حَاجَتُكَ؟» قَالَ: حَاجَتِي أَنْ تَشْفَعَ لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ: «وَمَنْ دَلَّكَ عَلَى هَذَا؟» قَالَ: رَبِّي عَزَّوَجَلَّ، قَالَ: «إِمَّا لَا فَأَعِنِّي بِكَثْرَةِ السُّجُودِ»<sup>(٥)</sup>.

عباد الله: وهناك أسباب مانعة من الشفاعة على المسلم اجتنابها والحذر منها، ومن ذلك: الشرك بالله عزَّوجلَّ والكفر به: الشرك أعظم ذنب عصي الله به، ولا يغفر الله سبحانه لصاحبه إلا بالتوبة، وقد دل على أن الشرك يمنع الشفاعة قوله تعالى: ﴿ءَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ

(١) رواه البخاري (٦١٤).

(٢) رواه مسلم (٣٨٤).

(٣) رواه مسلم (٩٤٧).

(٤) رواه مسلم (٩٤٨).

(٥) رواه أحمد (٥٠٠/٣)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢١٠٢).

ءِ الْهَكَّةَ إِنْ يُرْدِنِ الرَّحْمَنُ بَصِيرًا لَا تُغْنِي عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُفْقِدُونَ ﴿٢٣﴾ إِيَّايَ إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ [يس: ٢٣-٢٤].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ: «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوْلُ مِنْكَ، لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. خَالِصًا مِنْ قَبْلِ نَفْسِهِ» (١).

ومنهم: اللعن واللعانين بغير حق: عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ «إِنَّ اللَّعَّانِينَ لَا يَكُونُونَ شُهَدَاءَ وَلَا شَفَعَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (٢).

الظلم في الحكم والغلو في الدين والتشدد بها ليس فيه.

عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي لَنْ تَنَاهَا شَفَاعَتِي: إِمَامٌ ظَلُومٌ، وَكُلٌّ غَالٍ مَارِقٍ» (٣).

حكم الاستشفاع بالرسول ﷺ في الدنيا في حياته وبعد مماته.

إن طلب الشفاعة من الرسول ﷺ في أمور الدنيا حال حياته من الأمور الجائزة بل هو من الأمور التي حث عليها هو ﷺ؟ لأن فيها نفعاً للمسلمين، وكان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يتوسلون إلى الله عَزَّ وَجَلَّ بدعائه وشفاعته ﷺ، وأما طلب الشفاعة من الرسول ﷺ بعد موته فهو من الأمور المحدثثة المبنية على الهوى.

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ عَمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ إِذَا قَحَطُوا اسْتَسْقَى بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا. قَالَ فَيَسْقُونَ (٤). فَكَانُوا فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ يَتَوَسَّلُونَ بِدَعَائِهِ وَشَفَاعَتِهِ هُمْ كَمَا يَتَوَسَّلُ بِهِ النَّاسُ يَوْمَ

(١) رواه البخاري (٦٥٧٠).

(٢) رواه مسلم (٢٥٩٨).

(٣) رواه الطبراني في الكبير (٢٨١ / ٨). وحسنه الألباني في الصحيحة (٤٧٠).

(٤) رواه البخاري (١٠١٠).



الْقِيَامَةِ وَيَسْتَشْفِعُونَ بِهِ إِلَى رَبِّهِمْ فَيَأْذَنُ اللَّهُ لَهُ فِي الشَّفَاعَةِ فَيَشْفَعُ لَهُمْ، فَلَمَّا مَاتَ النَّبِيُّ ﷺ لَمْ يَكُونُوا يَدْعُونَهُ وَلَا يَسْتَعِينُونَ بِهِ وَلَا يَطْلُبُونَ مِنْهُ شَيْئًا لَا عِنْدَ قَبْرِهِ وَلَا بَعِيدًا مِنْ قَبْرِهِ؛ بَلْ وَلَا يُصَلُّونَ عِنْدَ قَبْرِهِ وَلَا قَبْرَ غَيْرِهِ لَكِنْ يُصَلُّونَ وَيُسَلِّمُونَ عَلَيْهِ وَيُطِيعُونَ أَمْرَهُ وَيَتَّبِعُونَ شَرِيعَتَهُ وَيَقُومُونَ بِمَا أَحَبَّهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ حَقِّ نَفْسِهِ وَحَقِّ رَسُولِهِ وَحَقِّ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ<sup>(١)</sup>.

والحمد لله رب العالمين.



(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١١ / ٤٩٩)..

## الجنة وصفات أهلها (١)

### الخطبة الأولى:

الحمد لله المبدئ المعيد، ذي العرش المجيد، الفعال لما يريد، أحمدته سبحانه وأشكره؛  
فبالشكر تدوم النعم وتزيد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا  
ونبينا محمداً عبده ورسوله أنذر القريب والبعيد، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله  
وأزواجه وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فأوصيكم أيها الناس ونفسي بتقوى الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾  
[البقرة: ٢٨١] اتقوا يوماً الوقوف فيه طويل والحساب فيه ثقل. ألا إن سلعة الله غالية ألا إن  
سلعة الله الجنة.

يا سلعة الرحمن لست رخيصةً	بل أنت غالية على الكسلان
يا سلعة الرحمن ليس ينالها	في الألف إلا واحد لا اثنان
يا سلعة الرحمن لولا أنها	حُجبت بكل مكاره الإنسان
ما كان عنها قط من متخلفٍ	وتعطلت دار الجزاء الثاني
فاجمع قواك لما هناك وغمض الـ	ـعينين واصبر ساعةً لزمان

فيا عباد الله: إن الله أمرنا بأوامر في كتابه العزيز ونهانا عن أمور ووعدنا إن نحن امتثلنا  
بالجنة، ومن خالف عذبه في ناره، نسأل الله العافية والسلامة منها، ولكي يحفزنا ربنا جل  
وعلا بالعمل بما أمر والانزجار عما عنه نهي وزجر، بين لنا الجزاء العظيم لمن سمع وأطاع

(١) عبدالرحمن السديس.



وبين لنا العذاب الأليم لمن خالف وعصى ، وقد تواترت الآيات والأحاديث عن رسول الله ﷺ في وصف الجنة التي بها يجازي الله جل وعلا من سار على أمره وحذر نبيه فمن ذلك قول الله جل وعلا في كتابه مرغباً لعباده المؤمنين في دخول جناته: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّٰ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مِّنْقَلِيلٍ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ ﴿الحجر: ٤٥-٤٨﴾ والنصب هو التعب: ﴿وَمَا هُمْ مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿الحجر: ٤٨﴾ ومن ذلك قوله جل وعلا: ﴿يَعْبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿الزخرف: ٦٨-٦٩﴾ فهؤلاء هم أهل الجنات ﴿أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿الزخرف: ٧٠﴾ أي تسرون ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا نَشْتَهِيهِ الْإِنْسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿الزخرف: ٧١﴾ فصحافهم التي فيها طعامهم من ذهب وأكوابهم التي بها يشربون من ذهب وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿الزخرف: ٧٢﴾ بسبب أعمالكم الصالحة في الدنيا نلتم هذا الجزاء العظيم ﴿لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿الزخرف: ٧٣﴾ ويقول جل شأنه: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ ءَامِنٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿الدخان: ٥١-٥٣﴾ لباسهم في الجنة الحرير ولذلك من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة<sup>(١)</sup> ومن لبس الذهب في الدنيا لم يلبسه في الآخرة<sup>(٢)</sup>، ﴿كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَّهٖمُ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضَلَّامِن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿الدخان: ٥٤-٥٧﴾ وأي فوز أعظم من أن يرحح المرء عن النار ويدخل الجنة ﴿فَمَن رُّحِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازٌ وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ ﴿آل عمران: ١٨٥﴾ وأي خسران أعظم من أن يدخل نار جهنم نسأل الله العافية ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخَسْرَانُ الْمَبِينُ ﴿الزمر: ١٥﴾، ومما جاء في كتاب الله في وصف الجنة قوله جل شأنه ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَآئِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي

(١) رواه البخاري (٥٨٣٢)، مسلم (٢٠٧٣).

(٢) مسند أحمد (٢٠٨/٢-٢٠٩).

وَجُوهَهُمْ نُضْرَةٌ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتْمُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُمْ ﴿المطففين: ٢٢-٢٧﴾ أي مزاج هذا الرحيق ﴿وَمِزَاجُهُ، مِنْ تَسْنِيمٍ﴾ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿المطففين: ٢٦-٢٨﴾، والآيات في كتاب الله كثيرة جدًا أكثر من أن تحصر في مقام واحد، وأما الأحاديث فقد صح عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أحاديث كثيرة منها ما جاء عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قال رسول الله ﷺ: «يأكل أهل الجنة فيها ويشربون ولا يتغوطون ولا يمتخطون ولا يبولون ولكن طعامهم ذلك جشاء كرشح المسك يلهمون التسبيح والتكبير كما يلهمون النفس»<sup>(١)</sup>.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علي قلب بشر، واقراءوا إن شئتم ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]»<sup>(٢)</sup>. و صح عن أبي هريرة أيضًا عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أول زمرة يدخلون الجنة علي صورة القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم علي أشد كوكب دري في السماء إضاءة لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يمتخطون أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الألوة - والألوة هو عود الطيب - أزواجهم الحور العين علي خلق رجل واحد علي صورة أبيهم آدم ستون ذراعًا في السماء»<sup>(٣)</sup>. وفي رواية أخرى لهذا الحديث: «آنتهم فيها الذهب ورشحهم فيها المسك ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقها من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم قلب رجل واحد يسبحون الله بكرة وعشيًا»<sup>(٤)</sup>. و صح عنه ﷺ قال: «سأل موسى عليه الصلاة والسلام ربه ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال: هو رجل يجيء بعدما أدخل أهل الجنة الجنة فيقال له: أدخل الجنة. فيقول: أي رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم؟. فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا؟. فيقول: رضيت ربي. فيقول: لك ذلك

(١) رواه مسلم (٢٨٣٥).

(٢) رواه البخاري (٣٢٤٤) مسلم (٢٨٢٤).

(٣) رواه البخاري (٣٣٢٧) مسلم (٢٨٣٤).

(٤) رواه البخاري (٣٢٤٥) مسلم (٢٨٣٤).



ومثله ومثله ومثله فيقول في الخامسة رضيت ربي. فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله ولك ما اشتهدت نفسك ولذت عينك فيقول: رضيت ربي. قال ربي فأعلاهم منزلة. قال: أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر»<sup>(١)</sup>.

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي لِأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةِ، رَجُلٌ يُخْرَجُ مِنَ النَّارِ حَبِوًّا، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ. فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ مَلَأَى فِرْجَعٍ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَجَدْتَهَا مَلَأَى فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ. فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ مَلَأَى فِرْجَعٍ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَجَدْتَهَا مَلَأَى فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعِشْرَ أَمْثَالِهَا. فَيَقُولُ: أَتَسْخَرُ بِي وَأَنْتَ الْمَلِكُ. قَالَ فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ضَحَكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ صَلَوَاتِ اللَّهِ وَسَلَامِهِ عَلَيْهِ، فَكَانَ يَقُولُ: ذَلِكَ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةٌ»<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ خَيْمَةً مِنْ لَوْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مَجُوفَةٌ طُولُهَا فِي السَّمَاءِ سِتُونَ مِائَةً لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُونَ فَلَا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا»<sup>(٣)</sup>.

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجْرَةً يَسِيرُ الرَّابِّكَ الْجَوَادُ الْمَضْمَرُ السَّرِيعُ مِائَةَ سَنَةٍ لَا يَقْطَعُهَا»<sup>(٤)</sup>.

وصح عن النبي ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لِيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الْكُوكَبُ الدَّرِي الْغَابِرُ فِي الْأَفْقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ

(١) رواه مسلم (١٨٩).

(٢) رواه البخاري (٧٥١١) مسلم (١٨٦).

(٣) رواه البخاري (٤٨٨٠) مسلم (٢٨٣٨).

(٤) رواه البخاري (٦٥٥٣) مسلم (٢٨٢٨).



تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم. قال: بلا والذي نفسي بيده، رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين»<sup>(١)</sup>.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «لقاب قوس في الجنة خير مما تطلع عليه الشمس أو تغرب»<sup>(٢)</sup>.

وصح عنه صلوات الله وسلامه عليه أنه قال: «إن في الجنة سوقاً يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثوا في وجوههم وثيابهم فيزدادون حسناً وجمالاً فيرجعون إلى أهلهم وقد ازدادوا حسناً وجمالاً فيقول لهم أهلهم: والله لقد ازددتم حسناً وجمالاً. فيقولون: وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً»<sup>(٣)</sup>. وعنه أيضاً عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: شهدت مع النبي ﷺ مجلساً وصف فيه الجنة حتى انتهى ثم قال في آخر حديثه: «فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ثم قرأ ﷺ: ﴿تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٦-١٧].»

والأحاديث يا عباد الله في وصف الجنة كثيرة جداً أكثر من أن تحصى، فنسأل الله العلي العظيم رب العرش الكريم أن يجعلنا وإياكم من أهلها وأن يوفقنا وإياكم بالعمل الصالح والعلم النافع إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

(١) رواه البخاري (٣٢٥٦) مسلم (٢٨٣٠).

(٢) رواه البخاري (٢٧٩٣) ولم أجده في مسلم.

(٣) رواه مسلم (٢٨٣٣).



الخطبة الثانية:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ تسليماً كثيراً.  
أما بعد:

فيا عباد الله: مما ورد أيضاً في وصف الجنة ما رواه أبو سعيد وأبو هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عن رسول الله ﷺ: «إذا دخل أهل الجنة الجنة ينادى منادى: إن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً وإن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً»<sup>(١)</sup>. وعن أبي هريرة أيضاً عن رسول الله ﷺ قال: «إن أدنى مقعد أحدكم من الجنة أن يقول له تمنى فيتمنى ويقول له: هل تمنيت؟ فيقول: نعم فيقول له: إن لك ما تمنيت ومثله معه»<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي سعيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ قال: «إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة. فيقولون: لبيك وسعديك والخير في يديك. فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا ربنا وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً. فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً»<sup>(٣)</sup>.

وعن جرير بن عبد الله البجلي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كنا عند عن رسول الله ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر وقال: «إنكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا القمر لا تضارون في رؤيته»<sup>(٤)</sup>.

وعن صهيب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم. فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم»<sup>(٥)</sup>. اللهم إنا نسألك

(١) رواه مسلم (٢٨٣٧).

(٢) رواه مسلم (١٨٢).

(٣) رواه البخاري (٦٥٤٩) مسلم (٢٨٢٩).

(٤) رواه البخاري (٧٤٣٤) مسلم (٦٣٣).

(٥) رواه مسلم (١٨١).



## الجنة وصفات أهلها

بأسمائك الحسنی وصفاتك العلی أن لا تحرمنا النظر إليك. اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل. اللهم إنا نسألك بأسمائك الحسنی وصفاتك العلی أن تعیننا على أسباب دخول الجنة. اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى.







## إنها النار (١)

### الخطبة الأولى:

الحمد لله رب العالمين، أعد النار بعدله للأشقياء الكافرين، وحذر من عذابها الأتقياء المؤمنين، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة خالصة إلى يوم الدين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أنذر أصحابه من النار وطلبهم أن يستعيذوا منها في الصلاة لرب العالمين، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فاتقوا الله أيها المسلمون حق التقوى ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢] إن القلوب بحاجة جد ماسة إلى أن نوردها المواعظ ونخوفها بما خوفها الله به وخوفها به رسوله ﷺ، فكم كان رسول الله يتعاهد أصحابه بالمواعظ التي توجل منها القلوب وتذرف منها العيون وترتعد منها الفرائص. عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: «بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَصْحَابِهِ شَيْءٌ فَخَطَبَ فَقَالَ: عُرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَلَوْ تَعَلَّمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا قَالَ فَمَا أَتَى عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمٌ أَشَدُّ مِنْهُ قَالَ غَطَّوْا رُءُوسَهُمْ وَهُمْ خَنِينٌ» (٢). فلم يتم النبي كلامه إلا والصحابة قد خفضوا رؤوسهم وأكبوا على وجوههم ولهم ضجيج وخنين بالبكاء.

أيها المسلمون: ما أحوج نفوسنا إلى المواعظ فهي بحاجة جد ماسة إلى أن نوردها المواعظ والنذر، ونذكرها بما ذكرها الله به وذكرها به رسوله.

أيها المسلمون: إنها النار، كم حذرنا المولى منها وأنذر، كم حذر عباده أشد التحذير، وأنذرهم غاية الإنذار من عذاب النار، ومن دار الخزي والبوار فقال تعالى:

(١) مندبل الفقيه.

(٢) رواه مسلم (٢٣٥٩).



﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ [الليل: ١٤] وقال: ﴿إِنَّهَا لِأَحَدَى الْكَبِيرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٣٥-٣٦] كم في كتاب الله من وصف للنار. لقد وصف الله في كتابه حرَّها ولظاها، ووصف طعامها وشرابها، ووصف أغلالها ونكالها، ووصف جحيمها وغساقها، ووصف أصفادها وسرايلها، ووصف حال أهلها، حتى إنَّ من يقرأ القرآن بقلب حاضر ويسمع وصف عذابها لكأنها أُقيم على شفيرها فهو يراها يحطم بعضها بعضًا، ولكأنها يرى أهلها وهم يتقلبون في دركاتهما، ويسحبون في أوديتها. كل ذلك من الله تحذير وإنذار وتخويف لنا من النار.

أيها المسلمون: لقد خوفنا رسول الله من النار وحذرنا منها وهو الشفيق على الأمة الحريص على نجاة العباد، فخوف وحذر أنذر فعن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «أَنْذَرْتُكُمْ النَّارَ أَنْذَرْتُكُمْ النَّارَ حَتَّى لَوْ كَانَ رَجُلٌ كَانَ فِي أَقْصَى السُّوقِ سَمِعَهُ وَسَمِعَ أَهْلَ السُّوقِ صَوْتَهُ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ»<sup>(١)</sup>.

أيها المسلمون: ذكر جهنم أطار نوم الخائفين، ونصب أقدام المتهجدين، وأسبل عبرات المشفقين، ونغص عيش الصالحين، أما اليوم فقد أصبح الحديث عن النار حديثًا لا تستشعره القلوب، وقل أن تذرف له العيون، حتى إنك إذا تحدثت عنها في مجلس قوم قالوا لا تعقد الحياة ودعنا نعيش وكأن النار لم تخلق لهم. أيها المسلمون: وليكن الحديث اليوم عن النار وأهوالها لعل القلوب القاسية تلين ولعل الغفلة عن قلوبنا تذهب فإن سألتهم عن النار فقد سألتهم عن دار مهولة، قعرها بعيد، وعذابها شديد، وماؤها صديد، وطعامها ضريع وزقوم، روى مسلم في صحيحه عن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ: «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يُجْرُونَهَا»<sup>(٢)</sup> ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿١١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿١٢﴾ وَجِئَءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَنْذَكُرُ الْإِنْسَانَ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾ [الفجر: ٢١-٢٣] إن بكى لا ينفعه البكاء وإن ندم لا ينفعه الندم.

(١) صححه الألباني في تخريج مشكاة المصابيح (٥٦١٥).

(٢) رواه مسلم (٢٨٤٢).

ما ظنكم يا عباد الله بحر نار أوقد عليها ألف عام حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف عام حتى أبيضت ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة لا يرى لها شئ ولا يضيء شررها.

ما ظنكم يا عباد الله بنار نارنا هذه التي نوقدها جزء واحد من سبعين جزءاً من نار جهنم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «ناركم جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم قيل يا رسول الله إن كانت لكافية قال فضلت عليهن بتسعة وستين جزءاً كلهن مثل حرها»<sup>(١)</sup>.

ما ظنكم يا عباد الله بنار غمسة واحدة فيها تنسى نعيم الدنيا كله عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ «يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبع في النار صبغة ثم يقال يا ابن آدم هل رأيت خيراً قط هل مر بك نعيم قط فيقول لا والله يا رب»<sup>(٢)</sup>.

ما ظنكم يا عباد الله بنار يسقط الحجر من شفيرها فلا يصل إلى قعرها إلا بعد سبعين خريفاً فعن أبي هريرة قال كنا مع رسول الله ﷺ إذ سمع وجبة فقال النبي ﷺ «تدرون ما هذا قال قلنا الله ورسوله أعلم قال هذا حجر رمي به في النار منذ سبعين خريفاً فهو يهوي في النار الآن حتى انتهى إلى قعرها»<sup>(٣)</sup>.

ما ظنك يا عبد الله بنار اشتكت إلى ربها من شدة حرها فقالت: يا رب أكل بعضي بعضاً فعن أبي هريرة رضي الله عنه يقول قال رسول الله ﷺ «اشتكت النار إلى ربها فقالت رب أكل بعضي بعضاً فأذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف فأشد ما تجدون من الحر وأشد ما تجدون من الزمهرير»<sup>(٤)</sup>. ما ظنكم -يا عباد الله- بنار يقول المصطفى -فيها رواه البزار وأبو يعلى- عن بعض أهوالها «لو كان في المسجد مائة ألف أو يزيدون ثم تنفس رجل من أهل النار لأحرقهم»<sup>(٥)</sup>.

(١) رواه البخاري (٣٢٦٥).

(٢) رواه مسلم (٢٨٠٧).

(٣) رواه مسلم (٢٨٤٤).

(٤) رواه البخاري (٣٢٦٠) ومسلم (٦١٧).

(٥) صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٥٠٩).



أيها المسلمون: هل يقوى أحد منا على حريق نار الدنيا؟ والجواب كلا. فإذا كان هذا الحال مع نار الدنيا فكيف الحال مع حريق نار الآخرة؟ وأين حريق من حريق في شدته أو مدته؟ فحريق الدنيا بنار يوقدها الخلق، وحريق الآخرة بنار يوقدها الخالق، حريق الدنيا لحظات وينتهي. وحريق الآخرة آباد لا يعلمها إلا الله، وفوق حريق الآخرة غضب الله وسخطه.

وإن سألتكم عن أبواب النار فلها سبعة أبواب ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٤] وإن سألتكم عن طعام أهلها فاسمعوا ما يقول ربها وخالقها والمتوعد بعذابها ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمَكْذِبُونَ ﴿٥١﴾ لَأَكُلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ﴾ [الواقعة: ٥١-٥٢]، ﴿فَاتِمُّهُمْ لَا يَكُونُ مِنْهَا فَمَا لَوْ أَنَّ مِنْهَا الْبُطُونُ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لِإِلَى الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٦٦-٦٨]، ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ مِن لَّحِيمٍ ﴿٥٤﴾ فَشَرِبُوا مِنْ شَرَبِ الْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَذَا تُرْفَعُ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الواقعة: ٥٤-٦١] ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيرِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلِي الْحَمِيمِ﴾ [الدخان: ٤٣-٤٦] فما هي شجرة الزقوم؟ يقول تعالى عنها: ﴿أَذَلِكْ خَيْرٌ لِّأُمَّمِ شَجَرَةَ الزُّقُومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رِئُوسُ الشَّيْطَانِ﴾ [الصافات: ٦٢-٦٥]، وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا، لأفسدت على أهل الدنيا معاشهم، فكيف بمن تكون طعامه؟»<sup>(١)</sup>. وليس الزقوم وحدها هي الطعام بل من طعامهم كما أخبر تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَحَجِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ [المزمل: ١٢-١٣] قال ابن عباس: «وطعاما ذا غصة قال شوك ينشب في الحلق لا يدخل ولا يخرج»، ومن طعامهم كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ ﴿٦﴾ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾ [الغاشية: ٦-٧] قال ابن عباس: «الضريع شجر في جهنم، ومن طعامهم القيقح والصديد الذي يسيل من جلود أهل النار ومن فروج الزانيات يأكلونه قبل أن تأكله النار ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسِيلِينَ﴾ [الحاقة: ٣٥-٣٦]»

(١) صحيح الجامع (٥٢٥٠).

والغسلين قال عنه ابن عباس: «هو صديد أهل النار». وإن سألتهم عن شراب أهل النار فاسمعوا إلى ما يقول تعالى: ﴿فَشَرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ اللَّعِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَرِبُونَ شُرْبَ أِهْمِيرٍ ﴿الواقعة: ٥٤-٥٥﴾ وَشُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿محمد: ١٥﴾ وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿الكهف: ٢٩﴾ فمن شدة حرارته أنهم إذا قربوه من وجوههم سقطت فروة لحم وجوههم من شدته وحرارته وإن شربوا منه قطع أمعائهم في بطونهم حتى تخرج من أدمعهم قال تعالى ﴿مَنْ وَرَّأَيْهِ جَهَنَّمَ وَنُفِئَ مِنْ مَاءٍ صَٰكِدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ، وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿إبراهيم: ١٦-١٧﴾

وإن سألتهم عن سلاسلها وأغلاها يقول تعالى مبيناً ومحدراً ومنذراً: ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿الحاقة: ٣٢﴾ وَيَقُولُ تَعَالَى: ﴿إِذِ الْأَعْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلْسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي اللَّحْمِ نُزَّرَ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿غافر: ٧١-٧٢﴾، يُعْرِفُ الْمَجْرَمُونَ بِسِمَتِهِمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ ﴿الرحمن: ٤١﴾ فتجمع ناصية رأسه إلى قدميه وراء ظهره ، ويقول تعالى ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَحِمِيمًا ﴿المزمل: ١٢﴾ وَالْأَنْكَالُ هِيَ الْقِيُودُ قَالَ أَبُو عَمْرٍاءُ الْجَوْنِيُّ: (قيود لا تحل والله أبداً) عن أبي سنان، قال: تلا الحسن: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا ﴿المزمل: ١٢﴾ قَالَ: (قيودا)، ثم قال: (أما وعزته ما قيدهم مخافة أن يعجزوه، ولكن قيدهم لترسى بهم النار).

وإن سألتهم عن لباس أهل النار فهو مصنوع من نار ﴿لَهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ﴿الزمر: ١٦﴾ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَآ أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سُمُورٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٌّ مِّنْ يَّحْمُورٍ ﴿٤٣﴾ لَا بَارِدٌ وَلَا كَرِيمٌ ﴿الواقعة: ٤١-٤٤﴾.

وإن سألتهم عن سعة النار فعن مجاهد قال قال ابن عباس: «أتدري ما سعة جهنم قلت لا قال أجل والله ما تدري أن بين شحمة أذن أحدهم وبين عاتقه مسيرة سبعين خريفاً تجري فيها أودية القيح والدم قلت أنهاراً قال لا بل أودية ثم قال أتدرون ما سعة جهنم قلت لا قال أجل والله ما تدري حدتني عائشة أنها سألت رسول الله ﷺ عن قوله: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا



قَبَضَتْهُ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴿ [الزمر: ٦٧] فَأَيْنَ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: هُمْ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ<sup>(١)</sup>.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ «إِنَّ غِلْظَ جِلْدِ الْكَافِرِ اثْنَانِ وَأَرْبَعُونَ ذِرَاعًا وَإِنَّ ضَرْسَهُ مِثْلُ أَحَدٍ وَإِنَّ مَجْلِسَهُ مِنْ جَهَنَّمَ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ»<sup>(٢)</sup>.

وَلَأَحْمَدُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَقْعَدُ الْكَافِرِ فِي النَّارِ مَسِيرَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ وَكُلُّ ضَرْسٍ مِثْلُ أَحَدٍ وَفَخِذُهُ مِثْلُ وَرِقَانٍ وَجِلْدُهُ سِوَى لَحْمِهِ وَعِظَامِهِ أَرْبَعُونَ ذِرَاعًا»<sup>(٣)</sup>.

وإن سألتهم عن حال أهل النار فحالهم شر حال وهوائهم أعظم هوان، وعذابهم أشد عذاب، ما ظنكم يا عباد الله بعذاب أهون أهله عذابًا من كان في أسفل قدميه جمرتان يغلي منها دماغه. وعن الثَّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَرَجُلٌ تَوَضَّعُ فِي أَحْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَتَانِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ»<sup>(٤)</sup>.

ما ظنكم يا عباد الله بعذاب أهون أهله عذابًا من له نعلان من نار يغلي منها دماغه ما يرى أن أحدًا أشد من عذابًا وإنه لأهونهم عذابًا عَنِ الثَّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا مَنْ لَهُ نَعْلَانِ وَشَرَاكِنِ مِنْ نَارٍ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ كَمَا يَغْلِي الْمَرْجُلُ مَا يَرَى أَنْ أَحَدًا أَشَدُّ مِنْهُ عَذَابًا وَإِنَّهُ لَأَهْوَنُهُمْ عَذَابًا»<sup>(٥)</sup>.

ما ظنكم يا عباد الله بقوم قاموا على أقدامهم خمسين ألف سنة ونزل عرقهم في الأرض سبعين ذراعًا ولم يأكلوا أكلاً ولم يشربوا شرابًا حتى تقطعت أعناقهم عطشًا، واحترقت أمعاؤهم واحشاؤهم جوعًا ثم انصرف بهم إلى النار فيسقون من عين أنية، فلو رأيتموهم وقد سكنوا دارًا ضيقة الأرجاء، مظلمة المسالك، مبهمه المهالك، قد شددت أقدامهم إلى النواصي،

(١) السلسلة الصحيحة (١٠٣/٢).

(٢) صحيح الترمذي (٢٥٧٧).

(٣) حسنه الألباني في صحيح الترغيب (٣٦٨٣).

(٤) رواه البخاري (٦٥٦١) ومسلم (٢١٣).

(٥) رواه مسلم (٢١٣).



واسودت وجوههم من كثرة المعاصي، يسبحون في النار على وجوههم ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وَجُوهِهِمْ عُمِيًّا وَبِكَمَا وَصَمَّا﴾ [الإسراء: ٩٧]، ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وَجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٤] عن أنس بن مالك أن رجلاً قال يا رسول الله كيف يُحْشَرُ الْكَافِرُ عَلَىٰ وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «أَلَيْسَ الَّذِي أَمْسَاهُ عَلَىٰ رِجْلَيْهِ فِي الدُّنْيَا قَادِرًا عَلَىٰ أَنْ يُمَشِّئَهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟» قَالَ قَتَادَةُ بَلَىٰ وَعِزَّةَ رَبِّنَا<sup>(١)</sup>.

﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وَجُوهِهِمْ دُوفُوًا مِّنْ سَفَرٍ﴾ [القمر: ٤٨] فيسحبون على وجوههم مغلولين، النار من فوقهم، والنار من تحتهم، والنار عن شمائلهم، والنار عن أيانهم، فغطاؤهم من نار، وفراشهم من نار، وشرابهم من نار، ولباسهم من نار، ومهادهم من نار، فهم بين مقطعات النيران وسراويل القطران، وجر السلاسل، يتجلجلون في أوديتها ودركاتها، ويضطربون بين غواشيتها، قد جعل الله جلد الواحد منهم مسيرة ثلاث ومقعده ما بين مكة والمدينة وضرسه مثل جبل أحد عن أبي هريرة قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ضُرْسُ الْكَافِرِ أَوْ نَابُ الْكَافِرِ مِثْلُ أَحَدٍ وَغَلَطُ جِلْدِهِ مَسِيرَةُ ثَلَاثٍ»<sup>(٢)</sup>.

تغلي بهم كغلي القدور، ويهتفون على أنفسهم بالويل، ويدعون عليها بالبثور ﴿لَا نَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَجَدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ [الفرقان: ١٤] فهل هناك خسارة أعظم من هذه الخسارة ﴿لَا جِرْمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ﴾ [هود: ٢٢] يخبر تعالى عن حالهم أنهم أخسر الناس صفقة في الدار الآخرة؛ لأنهم استبدلوا بالدركات عن الدرجات، واعتاضوا عن نعيم الجنان بحميم آن، وعن شرب الرحيق المختوم بسموم وحميم، وظل من محموم، وعن الحور العين بطعام من غسلين، وعن القصور العالية بالهاوية، وعن قرب الرحمن ورؤيته بغضب الديان وعقوبته، فلا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون.

(١) رواه البخاري (٤٧٦٠) ومسلم (٢٨٠٦).

(٢) رواه مسلم (٢٨٥١).

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

وبعد:

النار منزل أهل الكفر كلهم  
 جهنم ولظى من بعدها حطمة  
 وتحته ذاك جحيم ثم هاوية  
 فيها غلاظ شداد من ملائكة  
 لهم مقامع للتعذيب مرصدة  
 سوداء مظلمة شعشاء موحشة  
 طباقها سبعة مسودة الحفر  
 ثم السعير وكل الهول في سقر  
 تهوي بهم أبداً في حر مستعر  
 قلوبهم شدة أقسى من الحجر  
 وكل كسر لديهم غير منجبر  
 دهماء محرقه لواحاة البشر

أيها المسلمون: فلو رأيتم حال أهل النار وهم على تلك الحال لرأيتم حالاً مهينة، قد صب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود ﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ (١٩) يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَهُمْ مَقْلَعٌ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿الحج: ١٩-٢٣﴾ يتفجر الصديد من أفواههم وتسيل أعينهم وأهدابهم على خدودهم ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦] فعندها يحاولون الخروج منها فتتلفاهم الملائكة الغلاظ الشداد ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦] معهم مقامع من حديد ﴿وَهُمْ مَقْلَعٌ مِنْ حَدِيدٍ﴾ (٢١) كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿الحج: ٢١-٢٢﴾ ينادون الله تعالى ويقولون ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ (١٦) رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿[المؤمنون: ١٠٦-١٠٧] ويقول لهم: ﴿قَالَ أَحْسَبُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ﴾ (١٨) إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿[المؤمنون: ١٠٨-١٠٩] فإذا أيسوا لجأوا إلى مالك خازن النار فينادونه ألف عام يقولون: يا مالك قد أثقلنا الحديد، يا مالك قد حق علينا الوعيد، يا مالك قد نضجت منا الجلود، يا مالك قد تقطعت منا الكبود، يا مالك العدم خير من هذا الوجود، يا مالك أخرجنا

منها فإننا لا نعود، يا مالك ليقضي علينا ربك فيجيبهم بعد ألف عام ﴿إِنَّكُمْ مَكِيدُونَ﴾ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جَحَنَكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ ﴿[الزخرف: ٧٧-٧٨] أمانهم في النار الهلاك، وما لهم من أسر جهنم فكاك.

أيها المسلمون: ما حال دار أمني أهلها أن يموتوا، فكيف بكم لو رأيتموهم وقد اسودت وجوههم فهي أشد سوادًا من الجحيم، وعميت أبصارهم، وأبكمت ألسنتهم، وقصمت ظهورهم، ومزقت جلودهم، وغلت أيدهم إلى أعناقهم، وجمع بين نواصيهم وأقدامهم، وهم يمشون على وجوههم، ينادون الملائكة وخزنة جهنم يطلبون التخفيف من العذاب ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ﴾ ﴿غافر: ٤٩﴾ فيجيبونهم ﴿قَالُوا أَوْلَمْ تَأْتِكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فادْعُوا وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ ﴿غافر: ٥٠﴾ فتزداد حسرتهم، ويعظم مصابهم، وتنقطع أصواتهم فلا يسمع لهم إلا الأنين والشهيق والبكاء ويكون على تضييع أوقات الشباب، ويتأسفون أسفًا أعظم من المصاب، ولكن هيهات ذهب العمل وجاء الجزاء والعقاب، فيرسل البكاء عليهم فيكون دمعًا حتى تنقطع الدموع فيكون دمًا حتى يصبح في وجوههم مثل الأخاديد لو سيرت فيها السفن لجزت..

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُرْسَلُ الْبُكَاءُ عَلَىٰ أَهْلِ النَّارِ فَيَبْكُونَ حَتَّىٰ يَنْفَطِعَ الدَّمُوعُ ثُمَّ يَبْكُونَ الدَّمَّ حَتَّىٰ يَصِيرَ فِي وُجُوهِهِمْ كَهَيْئَةِ الْأَخْدُودِ لَوْ أُرْسِلَتْ فِيهَا الشُّفُنُ لَجَرَّتْ»<sup>(١)</sup>. ويزيد الله في حسرتهم أن يريهم أهل الجنة وهم ينعمون فيها فينادون أهل الجنة يطلبون ماءً أو طعامًا ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا لَئِن لَّا نَرَىٰ إِلَهًا حَرَمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٥٠﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتُهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴿[الأعراف: ٥٠-٥١] ويزيد عذابهم شدة تذكركم ما فاتهم بدخول النار، لقد فاتهم دخول الجنات، ورؤية وجه الرحمن، ورضوان الله تعالى. ويزيد حسرتهم أن العذاب الذي هم فيه سببه شهوة ذاهبة. ولذة فانية. لقد باعوا جنة عرضها السموات

(١) حسنه الألباني في صحيح الجامع (٨٠٨٣).



والأرض بثمان بخت. باعوا الجنة بشهوات تمتعوا بها في الدنيا ثم ذهب فكأنها وكأنهم ما كانوا ولا كانت، ثم لقوا عذاب طويلاً، وهواناً مقيماً. فيعاذوا بالله من نار هذه حالها، وعباداً بالله من عمل هذه عاقبته ﴿ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِلُهُمْ مِّن فَطْرَانٍ وَتَعَشَىٰ وَجُوهُهُمْ النَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ ۖ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾ [إبراهيم: ٤٩-٥٢]

ليس هذا تقنيّاً من رحمة الله، ولا لنيأس من روح الله، بل لتذكّر قوة الله، ونحذر سخط الله ونتقي عذاب الله، ونكف عن محارم الله، فإن أجسادنا على النار لا تقوى، وإن من يخوفك حتى يدركك الأمن خير لك ممن يؤمنك حتى يدركك الخوف.

أيها الناس: يقول تعالى: ﴿ تَبِعَ عِبَادِي أَتَىٰ أَنَا الْعَفْوَурُ الرَّحِيمِ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عِدَائِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ [الحجر: ٤٩-٥٠].

فليخش العبد ربه، فإن مقام الخوف والخشية من الله هو مقام العارفين، وبه ينالون جنة رب العالمين: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ [النازعات: ٤٠-٤١] جعلنا الله من أهلها، وأعادنا من النار وعذابها..

﴿ رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّكَ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ [الفرقان: ٦٥].



## الإيمان بالقضاء والقدر حقيقته وآثاره

### الخطبة الأولى:

الحمد لله الذي قدر الأمور وأمضاها وعلم أحوال الخلائق قبل خلقهم وقضاها وجازى كل نفس بعد ذلك على سخطها بما قدر أو رضاها.. كل شيء خلقه سبحانه بقدرٍ وقدر، ولا يقع شيءٌ في كونه إلا بعلمٍ منه ونظر، علم الأجل وقدر العمل وجعل الأمور دول، كل ذلك منه في الأزل سبحانه كم أحاط علمه وكم وسع حلمه وكم مضى حكمه!

وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له.. له لطائف الحكمة وخفيات القدر، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله وخيرته من كل البشر، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين وصحابته الميامين الغرر والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى -أيها المسلمون-، واعلموا أنكم إليه راجعون وعلى أعمالكم مجزيون، ومن عمل كساه الله رداءه.. إن خيراً فخييراً وإن شراً فشرّاً: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْقَوُهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٣].

أيها المسلمون: عقيدة تملأ قلب المسلم مضاءً ورضاءً، وعلمٌ يورث المؤمن إرادةً وعزمًا وارتقاءً، وإيمانٌ يدفعه للعمل ويحثه على طلب معالي الأمور، وتصوّرٌ يسئل من نفسه الخوف مع عوائق الطريق وبنائه مسائل من عرفها وأدرك حُكْمَهَا وحِكْمَهَا سهلت أمامه مصاعب الحياة وتخففت نفسه من أثقال المعاناة فاستلذ الصبر واستحلى المر، وانتظر من الله الأمل والفرج وعمل لتحقيق ذلك ولم يتواكل.. إنها -أيها المسلمون- عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر.



عباد الله: الإيمان بالله العظيم قضية كبرى ومسألة عظمى، وهي من أولى المسائل التي يجب على المسلم أن يستحضرها وينطوي عليها قلبه دومًا، والإيمان بنياناً له أركان.. التصديق بها والعمل بمقتضاها دليلٌ عليه وعنوانه، وفي الحديث الصحيح الذي رواه مسلم عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ سأل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الإيمان فقال: النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال: صدقت»<sup>(١)</sup>.

أيها المسلمون: الإيمان بالقضاء والقدر ركنٌ من أركان الإيمان وقاعدة أساس الإحسان كما ورد في أعظم حديث في الإسلام: القدر هو تقدير الله للكائنات حسب ما سبق به علم الله واقتضته حكمته، وهو ما سبق به العمل وجرى به القلم مما هو كائنٌ إلى الأبد، والإيمان به هو أن تؤمن أن الله جَلَّ جَلَالُهُ قدر مقادير الخلائق وما يكون من الأشياء والحوادث قبل أن تكون وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقاتٍ معلومةٍ على صفاتٍ مخصوصة؛ فعلمها سبحانه وكتبها بكل تفاصيلها ودقائقها وشاءها وخلقها؛ فهي كائنةٌ لا محالةٌ على التفصيل والدقة كما شاء سبحانه وما لم يشأ فإنه لا يكون، وهو قادر على كل شيء.. فإن شاءه وقع وإن لم يشأه لم يقع مع قدرته على إيقاعه.

أيها المؤمنون: القدر غيبٌ مبناه على التسليم، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَجِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ [القمر: ٤٩-٥٠]، وقال جل في علاه: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِالْقَدَرِ مَعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١]..

وفي صحيح مسلم: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «وإن أصابك شيءٌ فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل»<sup>(٢)</sup>، قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «كل شيءٍ بقدرٍ حتى وضعك يدك على خدك».

(١) رواه مسلم (٨).

(٢) رواه مسلم (٢٦٦٤).



أيها المسلمون: مذهب أهل السنة والجماعة هو ما دل عليه الكتاب والسنة وكان عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان، وهو أن الله تعالى خالق كل شيء وربّه ومليكه، وأنه سبحانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ولا يكون في الوجود شيء إلا بعلمه ومشئته وقدرته.. لا يمتنع عليه شيء، بل هو قادرٌ على كل شيء ويعلم سبحانه ما كان وما يكون، وقد قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم.. قدر آجالهم وأرزاقهم وأعمالهم، وكتب ذلك وكتب ما يصيرون إليه من سعادةٍ وشقاوة، والعباد مأمورون بما أمرهم الله به منهيون عما نهاهم عنه، ونؤمن بوعد الله ووعيده، ولا حجة لأحدٍ على الله في واجب تركه أو محرم فعله، بل لله الحجة البالغة: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢] ﴿إِلَى قَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ (٢٢) فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴿ [المرسلات: ٢٢-٢٣].

عباد الله: الإيمان بالقضاء والقدر يقوم على أربعة أركان مرتبطة ببعضها لا يقوم الإيمان إلا بتحقيقها، وهي: العلم والكتابة والمشئته والخلق..

فالعلم هو: الإيمان بأن الله تعالى عالمٌ بكل شيءٍ جملةً وتفصيلاً أولاً وأبداً؛ يعلم الموجود والمعدوم والممكن والمستحيل، لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢] ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال جل في علاه عن ذاته العلية: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

الثاني مما يشتمل عليه الإيمان بالقدر: الكتابة؛ وهي الإيمان بأن الله كتب ما سبق به علمه من مقادير الخلائق إلى يوم القيامة.. فكل ما كان وما هو كائنٌ مكتوبٌ في اللوح المحفوظ في أم الكتاب، قال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠]، وقال عز وجل: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس: ١٢].  
عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة»<sup>(١)</sup>.

(١) رواه مسلم (٢٦٥٣).



الأمر الثالث - أيها المسلمون - مما يشتمل عليه الإيمان بالقدر: المشيئة؛ وهي الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة.. فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه لا حركة ولا سكن ولا هداية ولا إضلال إلا بمشيئته جل في علاه ولا يمكن أن يقع في الكون حادثٌ صغيرٌ ولا كبيرٌ إلا بمشيئته سبحانه: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨]، ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩]..

قال رسول الله ﷺ: «إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء»<sup>(١)</sup>، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلْتُمْ وَلَكِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

الركن الرابع - أيها المسلمون - الخلق؛ وذلك يقتضي الإيمان بأن جميع الكائنات مخلوقة لله بذواتها وصفاتها وحركاتها، وبأن كل من سوى الله فهو مخلوق موجد من العدم.. قال الله عز وجل: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]، وعن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يصنع كل صانع وصنعه»<sup>(٢)</sup>.

أيها المسلمون: في الإيمان بالقضاء والقدر ثمرات تعود على المؤمن بالنفع العاجل والآجل والعبوديات والنفحات والمنازل التي تبلغه رضا الله وجنته..

فأول ذلك: أن المؤمن يؤدي عبادة الله تعالى بإيانه بالقضاء والقدر وبالإذعان لله والتسليم له، كما أنه باعثٌ على الإخلاص.. فإذا علم العبد أن كل شيء بقدر الله وأن الملك ملكه والخلق خلقه وكل شيء مقاليد بيده وأن الأمور لا تُنال إلا بتقدير الله وأن الناس لا يملكون شيئاً.. لم يعد يبالي بدم الناس ومدحهم في الحق ولم يسخط الله برضا الناس ولم يتزين لهم، بل يزداد إخلاصاً وقصدًا لله لا تأخذه في الله لومة لائمة، ويعلم أن كل شيء واقِعٌ تحت قهر الله وسلطانه محكومٌ بقدره، وفي حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن النبي ﷺ قال: «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك

(١) رواه مسلم (٢٦٥٤).

(٢) رواه البخاري في خلق أفعال العباد (ص/٤٦)، وابن أبي عاصم في السنة (رقم ٣٥٧، ٣٥٨)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (رقم ٩٤٢)، وابن منده في التوحيد (رقم ١١٣).



إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك.. رفعت الأفلام وجفت الصحف»<sup>(١)</sup>.

وهذا يزيد إيمان المؤمن، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [التغابن: ١١].. وفي قراءة: ﴿ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾..

قال علقمة: (هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من قبل الله فيسلم ويرضى، ومن رضي عن الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والرضا باب الله الأعظم وجنة الدنيا ومستراح العابدين وقرة عيون المشتاقين..).

إنه لا خروج للعبد عما قدر له، فلو رضي باختيار الله أصابه القدر وهو راضٍ محمودٌ ومشكورٌ ملطوفٌ به.. وإلا جرى عليه القدر وهو مذمومٌ مسخوطٌ..

وهذا يفسر لك سكون القلب وطمأنينة النفس وراحة البال وبرد اليقين؛ فترى المؤمن يستقبل المصائب والآلام بنفسٍ رضيةٍ ونفسٍ مطمئنةٍ وسكينةٍ عجيبةٍ، إن الإيمان بالقدر يفلح في تهدئة الأعصاب أكثر مما تفلح كل المسكنات والعقاقير الطبية.

والسكينة من مواهب الرحمن لا من كسب الإنسان، وهي الطمأنينة والوقار والسكون والأمن الذي ينزله الله في قلب المؤمن خاصةً في مواقف القلق والاضطراب، أما الطمأنينة فهي سكينةٌ معها أنس؛ فيا الله! كم في الإيمان بالقضاء والقدر من روح وسكينةٍ وراحةٍ وطمأنينةٍ!.

أيها المسلمون: ومن ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر أن يمتلئ القلب شجاعةً وإقدامًا؛ فلن تموت نفسٌ حتى تستكمل رزقها وأجلها، ولن يصيب الإنسان إلا ما كتب له.. فعلام الخوف والقلق؟ «واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك».

وكذلك القناعة وعزة النفس؛ فالرزق لا يجلبه حرص حريص ولا يمنعه حسد حاسد، وهذا يؤدي إلى القناعة والإجمال في الطلب وإلى التحرر من رق الخلق ومنتهم والحاجة إليهم والاكْتفاء من الدنيا بالبلاغ؛ فتعلو هممة المؤمن وتزكو نفسه ولا يحسد أحدًا على أعطائه

(١) صحيح الترمذي (٢٥١٦).



## الإيمان بالقضاء والقدر حقيقته وآثاره

الله إياه لعلمهم أن الله يعطي ويمنع ويخفف ويرفع، ومن حسد غيره فإنه معترض على قضاء الله وقسمه: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٥٤].

الإيمان بالقضاء والقدر يدعو للتفاؤل والإيمان بالنصر القادم والفرج العاجل،: «واعلم أن النصر مع الصبر.. وأن مع العسر يسراً»<sup>(١)</sup>؛ فلا يأس ولا قنوط: ﴿وَلَا تَأْسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْكٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

الإيمان بالقدر يجعل المؤمن صابراً قويا الاحتمال، وكل أحد لا بد له من الصبر.. فهو من جميل الخلال ومحمود الخصال ومن سمات الرجال، ومن لم يصبر صبر الكرام سلا سلو البهائم.. قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وجدنا خير عيشنا بالصبر»؛ لذا تجدد المؤمن بالقدر صبورا متجددا يتحمل المشاق ويتجاوز المصاعب والآلام.. بخلاف ضعيف الإيمان الذي لا يقوى على الاحتمال ولا يصبر على ما يعترضه فيجزع لأنفه الأسباب، بل ربما أدى به الجزع إلى الوسواس والأمراض النفسية والهرب إلى المخدرات والانتحار.

ولو آمن بالقضاء والقدر لرأيت قوة الرجاء وإحسان الظن بالله.. فإن الله تعالى لا يقضي قضاءً إلا وفيه تمام العدل وكمال الرحمة والحكمة؛ فلا يتهم ربه فيما يجري عليه من أفضيته وأقداره؛ وذلك يوجب له استواء الحالات عنده ورضاه بما يختاره له سيده ويتنظر الفرج ويرقبه، بل يخفف ذلك من حمل المشقة.. لا سيما مع قوة الرجاء فإن في حشو البلاء من روح الفرج ونسيمه وراحته ما هو خفي الألفاظ، بل هو فرجٌ معجل..

والتأمل في قدر الله يكشف للإنسان حكمة الله فيما يقدره من خيرٍ أو شر: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦]؛ فيفوض العبد أمره إلى من يعلم عواقب الأمور.

(١) السلسلة الصحيحة (٢٣٨٢).



أيها المسلمون: ومن آثار الإيمان بالقضاء والقدر: التوكل على الله، وهو نصف الدين ولب العبادة والتوكل.. هو توجه القلب إلى الله واستمداد المعونة منه والاعتقاد عليه وحده بعد بذل السبب..

التوكل يعني الثقة بالله والطمأنينة به والسكون إليه، وهو التعلق بالله في كل حال: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]، ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣].

التوكل لا يعني ترك الأسباب، بل يعني عدم تعلق القلب بها.. فإذا عزمت فتوكل على الله، والشريعة أمرت العامل بأن يكون قلبه منطويًا على انفراد التوكل، فإذا استضاء به أمده الله بالقوة والعزيمة والفهم والبصيرة والصبر والتوفيق وصرف عنه الآفات وأراه من حسن العواقب ما لم يكن ليصل إليه الإنسان لولا توفيق الله، وهذا يريح الإنسان من الأفكار والوساوس ويفرغ قلبه من التقديرات والتدبيرات التي يصعد منها في عقبة وينزل في أخرى، وعلى قدر تجريد التوحيد تكون صحة التوكل، ومن التفت إلى غير الله نقص توكله.. قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: (الثقة بالله تنافي الركود والعجز؛ فإن الواثق بالله يفعل ما أمره الله ويشق بالله في طلوع ثمرته وبركتها كغارس الشجرة وياذر الأرض، والثقة إنما تصح بعد بذل المجهود).

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم.. أقول قولي هذا وأستغفر الله تعالى لي ولكم.



### الخطبة الثانية:

الحمد لله.. الحمد لله الذي استأثر بالخلق والتدبير.. له ملك السموات وهو اللطيف الخبير، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله البشير النذير والسراج المنير.. صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين.

أما بعد:

أيها المسلمون: يقول الحق تبارك وتعالى عن ذاته العلية: ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: ١٣]، ويقول سبحانه: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٨]، ومن هنا كان كمال توحيد المؤمنين فأخبت قلوبهم لأحكام القضاء وهان عليهم الصبر على البلاء والشكر على السراء، وفوضوا أمرهم إلى الله وسألوه المغفرة والرحمة.

عباد الله: الإيمان بالقدر لا ينافي أن يكون للإنسان مشيئةً يحاسب عليها في أفعاله الاختيارية؛ فكل إنسان له قدرة وإرادة ومشية واختيار.. لا يجبره أحد على فعل خير أو فعل شر، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس: ٧-٨]، وقال سبحانه ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴿٣٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨-٢٩].

وأفعال العباد هي من الله خلقاً وإيجاداً وتقديراً وهي من العباد فعلاً وكسباً واختياراً؛ فالله هو الخالق.. فأفعالهم وهم الفاعلون لها.. قال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصفات: ٩٦]..

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: (هاهنا أمران: قضاء ومقضي؛ فالقضاء هو فعل الرب سبحانه والمقضي هو المفعول المنفصل عنه، فالقضاء كله خيرٌ وعدلٌ وحكمة، والمقضي منه ما هو مرضيٌ ومنه ما هو غير مرضي، مثال ذلك قتل النفس، فهما اعتباران؛ فمن حيث إنه قدر الله وعلمه وقضاؤه وكتبه، وشاءه وجعله أجلاً للمقتول ونهايةً لعمره فهو كذلك، ومن حيث إنه صدر من القاتل وباشره وكسبه وأقدم عليه باختياره وعصى الله بفعله فهو مسخوطٌ غير مرضي ولم يجبره أحد على هذه المعصية، ولا وجه للاحتجاج بالقدر هنا.. فإنه لا يدري أصلاً ما الذي كتبه الله وقدره؛ فهو محاسبٌ على فعله لا على ما قدره الله مما لا يعلم العبد عنه).



## الإيمان بالقضاء والقدر حقيقته وآثاره

عن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «جاء سُراقَةُ بن مالك بن جُعشم قال: يا رسولَ الله! بيِّنْ لنا ديننا كأننا خُلِقْنَا الآن. فيما العملُ اليومَ؟ أفيما جَفَّتْ به الأَقلامُ وجَرَّتْ به المقاديرُ، أم فيما نستقبلُ؟ قال: لا. بل فيما جَفَّتْ به الأَقلامُ وجَرَّتْ به المقاديرُ. قال: ففيمَ العملُ؟ فقال: اعملوا؛ فكلُّ ميسرٍ لما خلقَ له»، وفي رواية: «كل عاملٍ ميسرٌ لعمله»<sup>(١)</sup>.

فمن ذا الذي يريد أن يُيسره الله لليسرى؟ ومن ذا الذي يخاف أن ييسره للعسرى؟ ﴿فَأَمَّا

مَنْ أَعْطَى وَالْفَقْرَى ﴿٥﴾ وَصَدَقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴿٩﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ [الليل: ٥-١٠].

عليك بالصدق والأمانة، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، والبر والإنفاق، والإيمان والتقوى، فمن بادر إلى الخير وصدق مع الله في تحري الحق، وفقه الله لذلك، ولا يضل الله إلا الظالمين.

هذا، وصلوا وسلموا على الرحمة المهداة والنعمة المسداه محمد بن عبد الله رسول الله ومصطفاه، اللهم صل وسلم وزد وبارك على عبدك ورسولك سيدنا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين وصحابته أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.



(١) رواه مسلم (٢٦٤٨).





## الصبر على أقدار الله (١)

### الخطبة الأولى:

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الحمد في الآخرة والأولى، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله بعثه بالهدى، فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجعلنا على المحجة البيضاء، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله الأصفياء، وأصحابه الأتقياء، والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ وسار على نهجهم واقتفى.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله حق التقوى، فبالتقوى زيادة النعم، ودفع النقم.

أيها المسلمون: لقد قدر الله مقادير الخلائق وآجالهم، ونسخ آثارهم وأعمالهم، وقسم بينهم معاشهم وأموالهم، وخلق الموت والحياة ليبلوهم أيهم أحسن عملاً. والإيمان بقضاء الله وقدره ركن من أركان الإيمان، وما في الأرض من حركة أو سكون إلا بمشيئة الله وإرادته، وما في الكون كائن بتقدير الله وإيجاده. والدنيا طافحة بالأنكاد والأكدار، مطبوعة على المشاق والأهوال، والعوارض والمحن فيها هي كالحر والبرد لا بد للعبد منها، ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥]، والقواطع محن يتبين بها الصادق من الكاذب، ﴿أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢].

والنفس لا تزكو إلا بالتمحيص، والبلايا تُظهر الرجال، يقول ابن الجوزي: (من أراد أن تدوم له السلامة والعافية من غير بلاء فما عرف التكليف ولا أدرك التسليم).

(١) عبدالمحسن بن محمد القاسم.



ولا بد من حصول الألم لكل نفس، سواء آمنت أم كفرت، والحياة مبنية على المشاق وركوب الأخطار، ولا يطمع أحد أن يخلص من المحنة والألم، والمرء يتقلب في زمانه في تحول من النعم واستقبال للمحن.

آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ سجدت له الملائكة، ثم بعد بُرهة يُخرج من الجنة. وما الابتلاء إلا عكس المقاصد وخلاف الأمانى، والكل حتم يُتجرع مرارته، ولكن ما بين مقلِّ ومستكثر، يُبتلى المؤمن ليهذب لا ليعذب، فتن في السراء، ومحن في الضراء، ﴿وَبَلَوْنَهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨].

والمكروه قد يأتي بالمحبوب، والمرغوب قد يأتي بالمكروه، فلا تأمن أن توافيك المضرة من جانب المسرة، ولا تياس أن تأتيك المسرة من جانب المضرة، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦]. فوطن نفسك على المصائب قبل وقوعها، ليهن عليك وقوعها، ولا تجزع بالمصائب، فللبلايا أمد محدود عند الله، ولا تسخط بالمقال، فرب كلمة جرى بها اللسان هلك بها الإنسان، والمؤمن الحازم يثبت للعظام، ولا يتغير فؤاده ولا ينطق بالشكوى لسانه، وخفف المصاب على نفسك بوعد الأجر وتسهيل الأمر، لتذهب المحن بلا شكوى، وما زال العقلاء يظهرون التجلد عند المصاب لئلا يتحملوا مع النوائب شماتة الأعداء، والمصيبة إن بدت لعدوِّ سرٍّ واستبشر بها، وكتمان المصائب والأوجاع من شيم النبلاء، فصابر هجير البلاء، فما أسرع زواله، وغاية الأمر صبر أيام قلائل، وما هلك الهالكون إلا من نفاذ الجلد، والصابرون مجزيون بخير الثواب، ﴿وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٦]، وأجورهم مضاعفة، ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾ [القصص: ٥٤]. بل وبغير حساب، والله معهم، والنصر والفرج معلق بصبرهم، وما منعك ربك أيها المبتلى إلا لتعطى، ولا ابتلاك إلا لتعافى، ولا امتحنك إلا لتصفى، يبتلى بالنعمة، وينعم بالبلاء، فلا تضيع زمانك بهمك بما ضمن لك من الرزق، فما دام الأجل باقياً كان الرزق آتياً، قال تعالى:



﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]، وإذا أغلق عليك بحكمته طريقاً من طرقه فتح لك برحمته طريقاً أنفع لك منه.

بالابتلاء يُرفع شأن الأخيار، ويعظم أجر الأبرار، يقول سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قلت: يا رسول الله، أي الناس أشد بلاءً؟ قال: «الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأُمثَلُ فالأُمثَلُ، يتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه، وإن كان في دينه رقة خفف عنه، وما يزال البلاء بالمؤمن حتى يمشي على الأرض وليس عليه خطيئة»<sup>(١)</sup>.

وطريق الابتلاء معبر شاق، تعب فيه آدم، ورمي في النار الخليل، وأُضجع للذبح إسماعيل، وألقي في بطن الحوت يونس، وقاسى الضر أيوب، ويبيع بثمن بخس يوسف، وألقي في الجب إفكاً، وفي السجن ظلماً، وعالج أنواع الأذى نبينا محمد ﷺ، وأنت على سنة الابتلاء سائر، والدنيا لم تصفُ لأحد، ولو نال منها ما عساه أن ينال، يقول المصطفى ﷺ: «من يرد الله به خيراً يُصب منه»<sup>(٢)</sup>.

قال بعض أهل العلم: من خلقه الله للجنة لم تنزل تأتيه المكاره، والمصيبة حقاً إنما هي المصيبة في الدين، وما سواها من المصائب فهي عافية، فيها رفع الدرجات، وحط السيئات، وكل نعمة لا تُقرب من الله فهي بلية، والمصاب من حُرْم الثواب، فلا تأس على ما فاتك من الدنيا، فنوازلهما أحداث، وأحاديثها غموم، وطوارقها هموم، الناس معذبون فيها على قدر همهم بها، الفرح بها هو عين المحزون عليه، آلامها متولدة من لذاتها، وأحزانها من أفراحها، يقول أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «من هوان الدنيا على الله أنه لا يُعصى إلا فيها، ولا ينال ما عنده إلا بتركها».

فتشاغل بها هو أنفع لك من حصول ما فاتك، من رفع خلل، أو اعتذار عن زلل، أو وقوف على الباب إلى رب الأرباب، وتلمح سرعة زوال بليتك تن، فلولا كرب الشدة ما رُجيت سعة الراحة، وأجمع اليأس مما في أيدي الناس تكن أغناهم، ولا تقنط فتُخذل، وتذكر

(١) صحيح الترغيب (٣٤٠٢).

(٢) رواه البخاري (٥٦٤٥).



كثرة نعم الله عليك، وادفع الحزن بالرضا بمحتوم القضا، فطول الليل وإن تناهى فالصبح له انفلاج، وآخر المهم أول الفرج، والدهر لا يبقى على حال، بل كل أمر بعده أمر، وما من شدة إلا ستهون، ولا تياس وإن تضايقت الكروب، فلن يغلب عسر يسرين، واضرع إلى الله يزهو نحوك الفرج، وما تجرع كأس الصبر معتصم بالله إلا أتاه المخرج، يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ لما فقد ولدًا وطال عليه الأمد، لم يياس من الفرج، ولما أخذ ولده الآخر لم ينقطع أمله من الواحد الأحد، بل قال: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾ [يوسف: ٨٣].

وربنا وحده له الحمد، وإليه المشتكى، فإذا تكالبت عليك الأيام، وأغلقت في وجهك المسالك والدروب، فلا ترجُ إلا الله في رفع مصيبتك ودفع بليتك، وإذا ليلة اختلط ظلامها، وأرخت الليل سربال سترها، قلب وجهك في ظلمات الليل في السماء، وارفع أكف الضراعة، وناد الكريم أن يفرج كربك، ويسهل أمرك، وإذا قوي الرجاء، وجمع القلب في الدعاء لم يرد النداء، ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [النمل: ٦٢]، وتوكل على القدير، والجا إليه بقلب خاشع ذليل يفتح لك الباب، يقول الفضيل بن عياض: (لو يئست من الخلق لا تريد منهم شيئاً لأعطاك مولاك كل ما تريد).

إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ترك هاجر وابنه إسماعيل بواد لا زرع فيه ولا ماء، فإذا هو نبي يأمر أهله بالصلاة والزكاة، ومضى يونس مجرداً في العراء، ومن فوض أمره إلى مولاه حاز مناه، وأكثر من دعوة ذي النون: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، يقول العلماء: ما دعا بها مكروب إلا فرج الله كربته، يقول ابن القيم: (وقد جرب أن من قال: ﴿إِنِّي مَسْنِي الضُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]، سبع مرات كشف الله ضره)، فألق كنفك بين يدي الله، وعلق رجاءك به، وسلم الأمر للرحيم، واسأله الفرج، واقطع العلائق عن الخلائق، وتحج أوقات الإجابة، كالسجود وآخر الليل، وإياك أن تستطيل زمن البلاء، وتضجر من كثرة الدعاء، فإنك مبتلى بالبلاء، متعبد بالصبر والدعاء، ولا تياس من روح الله وإن طال البلاء، فالفرج قريب، وسل فاتح الأبواب فهو الكريم، ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ١٧]، وهو الفعال لما يريد.



بلغ زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ من الكبر عتيا، ثم وُهب بسيد من فضلاء البشر وأنبيائهم، وإبراهيم بشر بولد وامرأته تقول بعد يأس من حالها: ﴿ءَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ [هود: ٧٢]، وإن استبطأت الرزق فأكثر من التوبة والاستغفار، فإن الزلل يوجب العقوبة، وإذا لم تر للإجابة أثرًا فتفقد أمرك، فربما لم تصدق توبتك فصححها، ثم أقبل على الدعاء، فلا أعظم جودًا ولا أسمح يداً من الجواد، وتفقد ذوي المسكنة، فالصدقة ترفع وتدفع البلاء، وإذا كشفت عنك المحنة فأكثر من الحمد والثناء، واعلم أن الاغترار بالسلامة من أعظم المحن، فإن العقوبة قد تتأخر، والعاقل من تلمح العواقب، فأيقن دومًا بقدر الله وخلقه وتدبيره، واصبر على بلائه وحكمه، واستسلم لأمره.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني الله وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.



### الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه، وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً مزيداً.

أما بعد:

أيها المسلمون: الأحوال لا تثبت على حال، والسعيد من لازم التقوى، إن استغنى زانته، وإن افتقر أغنته، وإن ابتلي جملته، فلازم التقوى في كل حال، فإنك لا ترى في الضيق إلا السعة، ولا في المرض إلا العافية، ولا في الفقر إلى الغنى، والمقدور لا حيلة في دفعه، وما لم يُقدَّر لا حيلة في تحصيله، والرضا والتوكل يكتنفان المقدور، والله هو المتفرد بالاختيار والتدبير، وتدبيره لعبده خير من تدبير العبد لنفسه، وهو أرحم به منه بنفسه، يقول داود بن سليمان رَحِمَهُ اللهُ: (يستدل على تقوى المؤمن بثلاث: حسن التوكل فيما لم ينل، وحسن الرضا فيما قد نال، وحسن الصبر فيما قد فات)، ومن رضي باختيار الله أصابه القدر وهو محمود مشكور ملطوف به، وإلا جرى عليه القدر وهو مذموم غير ملطوف به، ومع هذا فلا خروج عما قَدَّرَ عليك.

قيل لبعض الحكماء: ما الغنى؟ قال: قلة تمنيك، ورضاك بما يكفيك.

هل التسخط على الأقدار يرد المصائب؟ كلا، بل لا يزيد على أن يحرم صاحبه الثواب وينيله العقاب.

فانظر يا عبد الله إلى ما خبأ الله لك فإن خلف المحنة منحة، والعطايا في طيات البلايا. يقول شريح رَحِمَهُ اللهُ: (ما أصيب عبد بمصيبة إلا كان له فيها ثلاث نعم: أنها لم تكن في دينه، وأنها لم تكن أعظم مما كانت، وأن الله رزقه الصبر عليها إذ صبر).

ثم صلوا وسلموا عباد الله على خير خلق الله محمد بن عبد الله، فقد أمركم بالصلاة والسلام على نبيه، فقال في محكم التنزيل: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].



## القدر سر الله تعالى في خلقه (١)

### الخطبة الأولى:

الحمد لله الحكيم الخبير، العليم القدير؛ خلق الخلق بقدرته، وسيّرهم بحكمته، وأمضى فيهم حكمه، نعمده ونشكره ونتوب إليه ونستغفره؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له؛ خلق فسوى، وقدر فهدى، وخلق كل شيء فقدره تقديراً، وكل شيء عنده بمقدار.

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله؛ رسخ في أمته الإيمان بالقضاء والقدر، ودعا إلى العمل، ونبذ العجز والكسل، وقال: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ»، فقالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا نَتَكَلَّمُ عَلَى كِتَابِنَا، وَنَدْعُ الْعَمَلَ؟ قَالَ: «اعْمَلُوا؛ فَكُلُّ مَيْسَرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ، أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَيَسِّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ فَيَسِّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ...» (٢) صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه؛ فإنكم تطوون هذا العام الهجري من أعماركم، وقد استودعتموه أعمالكم، فأحسنوا ختامه بالتوبة من الذنوب: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [طه: ٨٢].

أيها الناس: إن تقلبات الأيام، وتصرم الأعمار، واختلاف الليل والنهار، داعية لنا لتتفكر في عظمة ربنا وقدرته سبحانه وتعالى، لتتفكر في علمه وحكمته، لتتفكر في قضائه وقدره، فكم لله تعالى من أفعال في خلقه! وكم قضى في الأرض من أفضية! وكم قدر من مقادير! فمن يحصي ذلك ومن يعده؟ لا أحد إلا الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ أَلْفُ لَيْلٍ لِّعِجْزِهِ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤].

(١) إبراهيم بن محمد الحقييل.

(٢) رواه البخاري (٤٩٤٩).



ما بين يوم ويوم، وشهر وشهر، وعام وآخر، كم من حيّ مات! وكم من صحيح سقم! وكم من عزيز ذلّ! وكم من مكرم أهين! وكم من غني افتقر! وكم من سعيد بئس! وغير ذلك كثير وكثير لا يُعدّ ولا يُحصى؛ أفعالٌ للربّ جَلِيلَةٌ كثيرةٌ في خلقه، ما ظن أصحابها أنها تصيبهم فأصابتهم.

ليتفكر كل واحد منا في نفسه، وليتأمل أفضية الله تعالى عليه خلال عام كامل، كم فرح وكم حزن! وكم خاف وكم استبشر! وكم قنط وكم طمع! كل ذلك وقع ولا يزال يقع لكل واحد منا.

أقدار قدرها الربّ جَلِيلًا، لم يردها قوي بقوته، ولا قدير بقدرته، ولا زعيم بسلطته، ولا قائد بجنده، ولم يفلت منها حذرٌ بحذره، ولم يراوغ عنها ذكي بعقله؛ إن هي إلا غيب مخبوء، وقدر محتوم، يصيب من أمر به، بغض النظر عن عمره ومكانته.

إنَّ القَدَرَ أمرٌ عجيبٌ! وهو دليل قدرة الله تعالى، فمن أنكره فقد عطّل الله تعالى من صفة القدرة، وهو سر الله تعالى في خلقه كما قال أئمة الهدى، ولقد عدّ النبي ﷺ الإيمان به رُكْنَ الإيمان السادس: «وَتُؤْمِنُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»<sup>(١)</sup>.

أيها الناس.. لقد دل القدر على علم الله تعالى للغيب والشهادة، وللممكن والمحال، وللموجود والمعدوم، ولما كان وما يكون، ولا شيء محال أمام قدرته سبحانه وتعالى، ولكن مشيئته جعلته محالا؛ فهو بكل شيء عليم، وقد أحاط بكل شيء علما، ولا يكون شيء إلا بعلمه: ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: ٩]، هذا في الموجود، وفي المعدوم قال سبحانه: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا هُوَ عَنْهُمْ﴾ [الأنعام: ٢٨]، فهذا علمه بأهل النار وهم لا يردون إلى الدنيا، فهو خبر بما لا يقع، فسبحان العليم الخبير!

والخلق كل الخلق لعجزهم لا يعلمون الغيب ولو كان موجودا، ولا يتصورون العلم به؛ لأنه فوق مدركاتهم، فكيف إذن بالمعدوم وبالمحال؟

وهذا القدر المحكم العجيب قد كتبه الله تعالى في اللوح المحفوظ قبل الخلق، فكل شيء مدون: ﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ [الإسراء: ٥٨]، ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾

(١) رواه مسلم (٨).

[يس: ١٢]، ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠].

وأحداث الكون، وأفعال العباد ما كبر منها أو صغر مسجلة في اللوح المحفوظ قبل وقوعها ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ﴾ [القمر: ٥٢-٥٣]، أي: مسطر في اللوح المحفوظ ﴿وَمَا يَعْرُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [يونس: ٦١].

وفي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»<sup>(١)</sup>

وما كتبه الله تعالى في اللوح المحفوظ فهو ثابت لا يجري عليه نحو ولا تغيير، وإنما المحو والتغيير في صحف الملائكة، قال الله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٣٩].

والله تعالى شاء لهذا المقدر المكتوب أن يكون، ولو لم يشأه سبحانه لما كان؛ لأن كل شيء تحت مشيئته عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، وفي القرآن تقرير أن علة عدم وقوع ما لم يقع ولن يقع هي أن الله تعالى لم يشأه، ولو شاء لوقع؛ ففي شرك المشركين: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا﴾ [الأنعام: ١٠٧]، وفي أفعالهم: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا﴾ [الأنعام: ١٣٧]، وفي اختلاف كلمة الناس: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [المائدة: ٤٨]، وفي اقتتالهم: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَتَلُوا وَلَكِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]. فالله تعالى قادر على فعل ذلك الذي لم يقع؛ لكنه لم يشأه سبحانه. ومشية الخلق تحت مشيئة الله تبارك وتعالى ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩].

وهذا المقدور الذي كان؛ إنما كان بسبب إيجاد الله تعالى له وخلق إياه، والخلق من أفعال الرب سبحانه، وكل مخلوق فالله سبحانه هو خالقه ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾

(١) رواه مسلم (٢٦٥٣).



[الفرقان: ٢]، ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦]؛ ولذا كان من صفاته سبحانه: الخلاق وهو المبالغة في الخلق: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [الحجر: ٨٦]، وهذه الآية تشير إلى أنه لا يمكن أن يتصف الخلاق بكونه خلاقاً إلا وهو عليم بكل شيء، لا يخفى عليه شيء؛ إذ الجاهل بالشيء لا يمكنه أن يخلقه، وكثيراً ما يقترن الخلق بالعلم: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٩]، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

فما من أمر وقع، ولا مخلوق خلق، إلا والله تعالى قد علم ذلك قبل وقوعه، وكتبه منذ الأزل، وشاءه سبحانه، وأجراه على وفق علمه ومشيبته؛ ولذا كان من أسمائه الحسنى: القادر والتقدير والمقتدر، وكانت القدرة من صفاته العلى.

وإن شئتم أن تمتلئ قلوبكم بالإيمان واليقين، وتعظيم الله تعالى، والتسليم، فتفكروا فيما يجري في الأرض من أحداث ومقادير، في ضخامتها، وكثرتها، وتنوعها، في البر والبحر، على الإنسان والحيوان والنبات والجماد، ثم قارنوا ذلك بقول الله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَأْسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]. وقال النبي ﷺ: «كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ، حَتَّى الْعَجْزِ وَالْكَيْسِ، أَوْ الْكَيْسِ وَالْعَجْزِ»<sup>(١)</sup>.

ولله تعالى تقدير في السنة ينسخ من اللوح المحفوظ إلى كتب الملائكة الموكلين بأوامر الرب جل وعلا، وهذا التقدير في ليلة القدر: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْمُبْرَكَةِ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾<sup>(٢)</sup> فيها يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٣-٤]، وتساق المقادير إلى مواقيتها في كل يوم، وهو ما ترونه من حوادث العالم ومستجداته، وما يجري على الأفراد والدول والأمم في كل يوم، وفيه قول الله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩].

إن الإيمان بالقدر راحة في الدنيا والآخرة، به الخلوص من الشرك والإلحاد، والنجاة من الحيرة والاضطراب، ولقد جُنَّ قديماً وحديثاً أولو عقولٍ بفقدهم الإيمان بالقدر، وألحد في

(١) رواه مسلم (٢٦٥٥).

البحث عنه كثير من أذكىاء البشر؛ لأنهم ما عرفوا قدرة الله تعالى في أفعاله، ولا أدركوا حكمته سبحانه في أقداره، وأشغلوا عقولهم في كشف أسراره في خلقه، ومحاولة معرفة كينيته وكنهه، وأنى لهم ذلك؟!.

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ: (مِنَ السُّنَّةِ اللَّازِمَةِ...: الْإِيْمَانُ بِالْقَدْرِ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ، وَالتَّصْدِيقُ بِالْأَحَادِيثِ فِيهِ... لَا يُقَالُ لَمْ وَلَا كَيْفَ... وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ تَفْسِيرَ الْحَدِيثِ وَيَبْلُغُهُ عَقْلُهُ فَقَدْ كُفِيَ ذَلِكَ وَأَحْكَمَ لَهُ، فَعَلِيهِ الْإِيْمَانُ بِهِ وَالتَّسْلِيمَ لَهُ).

وقال الإمام الطحاوي رَحِمَهُ اللهُ: (وَأَصْلُ الْقَدْرِ سِرُّ اللَّهِ تَعَالَى فِي خَلْقِهِ، لَمْ يَطَّلِعْ عَلَى ذَلِكَ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَالتَّعَمُّقُ وَالنَّظَرُ فِي ذَلِكَ ذَرِيعَةُ الْخِذْلَانِ، وَسَلْمُ الْحِرْمَانِ، وَدَرَجَةُ الطُّغْيَانِ، فَالْحَدَرَ كُلَّ الْحَدَرَ مِنْ ذَلِكَ نَظَرًا وَفِكْرًا وَوَسْوَسَةً؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى طَوَى عِلْمَ الْقَدْرِ عَنَّا، وَمَهَا هُمْ عَن مَرَامِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]، فَمَنْ سَأَلَ: لَمْ فَعَلَ؟ فَقَدْ رَدَّ حُكْمَ الْكِتَابِ، وَمَنْ رَدَّ حُكْمَ الْكِتَابِ، كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ).

إن الإيمان بالقدر سبب لثبات الإيمان، ورسوخ اليقين، ومتانة الدين؛ فلا يتغير حال صاحبه في الرخاء والسراء عن حاله في الشدة والضراء؛ لأن الإيمان بالقدر يزيل من قلبه الأشر والهلوع؛ فإن بسط عليه لم يأمن وييطر، وإن ضيق عليه لم ييأس ويأس: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾﴾ [المعارج: ١٩-٢٣].

والمؤمن بالقدر حسن التعامل مع الله تعالى، كثير اللجوء إليه، عظيم الخوف منه، والرجاء فيه؛ لعلمه أن النفع والضرر بيد الله تعالى، وأن الخلق -مهما بلغت قوتهم- لا ينفعون ولا يضررون إلا بأمره سبحانه.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام: ١٧].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...



### الخطبة الثانية:

الحمد لله حمدا طيبا كثيرا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى، نحمده ونشكره ونتوب إليه ونستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].

أيها المسلمون: ما أحوجنا إلى الإيثار واليقين، والرضا والتسليم بمقادير رب العالمين! فإن ذلك يورث هداية القلب وطمانينته، وهناء العيش وطيبه، وراحة البال واستقامته، ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١١].

ما أحوجنا إلى الإيثار بالقدر، والتسليم لأقضية الله تعالى فينا! في زمن مخوف مرعب، تعصف أحداثه ومفاجآته بالدول والأمم، وتقلب أحوال البشر، فتتقلب معها قلوب غير الموقنين، فيفقدون إيمانهم؛ ذلك أن الإيثار بالقدر يمثل حقيقة الإيثار؛ كما جاء في حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ حَقِيقَةً، وَمَا بَلَغَ عَبْدٌ حَقِيقَةَ الْإِيْمَانِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئْهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ» (١).

وقال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَا يُؤْمِنُ الْعَبْدُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ، يَعْلَمُ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئْهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، وَلَئِنْ أَعْضَى عَلَى جَمْرَةٍ حَتَّى تُطْفَأَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقُولَ لِأَمْرِ قَضَاءُ اللَّهِ: لَيْتَهُ لَمْ يَكُنْ».

عباد الله: ينبغي أن يكون المؤمن أكثر طمانينة من غيره عند حلول الغير وحدوث الأحداث وتقلبات الحال، ينبغي أن لا يعلق قلبه ولا رزقه ولا غناه ولا سعادته بأحد غير الله تعالى؛ لأنه يدرك أن أقداره مكتوبة قبل أن يُخلق.

(١) صحيح الجامع (٢١٥٠).



فلنرسخ الإيمان بالقدر في قلوبنا، وقلوب من هم تحت أيدينا، ولنغرس هذا الأصل المتين من الدين في قلوب الناس؛ حتى يواجهوا ما يتوقع من أحداث كبرى قادمة بإيمان لا يتزعزع، ويقبلوا ألم المقدور بالرضا والقبول؛ رجاء ثواب الله تعالى؛ فإن الدنيا إن ضاع شيء منها على المؤمن فلقد أبقى الله تعالى له أكثر مما ضاع، والعوض عنده سبحانه، وإن فقد الدنيا كلها فلا يفقد معها دينه الذي به صلاح آخرته، وفيها دوام معيشتة: ﴿فَمَا مَتَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨].

هذا وصلوا وسلموا...





التوحيد أولاً<sup>(١)</sup>

## الخطبة الأولى:

الحمد لله الذي تفرد في أزليته بعز كبريائه، وتوحد في صمديته بدوام بقائه، ونور بتوحيده قلوب أوليائه، وطيب أسرار المؤمنين بطيب ثنائه، وأسبغ على السائلين جزيل عطائه، وأمن خوف الخائفين بحسن رجائه، أشهد أن لا إله إلا هو وحده لا شريك له، أحاط بكل شيء فلا يعزب عن علمه مثقال ذرة في أرضه وسماؤه، وأشهد أن سيدنا وحيبنا وشفيعنا محمداً عبد الله ورسوله، صفيه من خلقه وخيرته من أنبيائه، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، صلى الله وسلّم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن سار على نهجه واهتدى بهديه واقتفى أثره إلى يوم الدين..

هو المختار من خير البرايا هو الهادي البشير هو الرسول  
عليه من المهيمن كل وقت صلاة دائماً فيها القبول

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُونُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَدٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

(١) لم تتمكن من معرفة صاحب الخطبة، وهي من أفضل الخطب في هذا الباب.



أما بعد:

أيها المسلمون: لقد خلق الله عباده، وسخر لهم ما في السماوات وما في الأرض، وأسبغ عليهم نعمه ظاهرةً وباطنة، ليُفردوه سبحانه بالعبادة، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

ولقد بقي الناس بعد آدم عشرة قرونٍ يعبدون الله وحده لا يشركون به شيئاً، ثم إن الشيطان زين لبعض الخلق عبادة الأصنام فعبدوها، فأرسل الله الرسل، وأنزل معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط، وليرجعوا إلى عبادة الله وحده.

لقد جاء محمد عليه الصلاة والسلام فجدد الملة الحنيفية، وصدع بكلمة الحق مدوية في المشارق والمغارب، قائلاً للناس: «كلمة واحدة تملكون بها العرب، وتدين لكم بها العجم: لا إله إلا الله محمد رسول الله». إنها كلمة التوحيد، أصل الدين وقاعدته. لأجلها نصبت الموازين، ونشرت الدواوين، وقام سوق الجنة والنار، وانقسم الناس فيها إلى فريقين مؤمنين وكفار، ومتقين وفجار. إنها حق الله على العباد، وفي سبيلها تجرد سيوف الجهاد.

فإن أولى ما ينبغي أن يعطى من أهمية العلم والعمل هو أمر توحيد الله عزَّ وجلَّ وإفراجه بالعبادة، ولقد كانت عناية القرآن بتوحيد الله عظيمة فهو القضية الكبرى، ومهمة الرسل الأولى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦]. ﴿ وَسَأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٤٥]. فالقرآن كله حديثٌ عن التوحيد، وبيان حقيقته والدعوة إليه، وتعليق النجاة والسعادة في الدارين عليه.

وكل نبي يقول لقومه: ﴿ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ [الأعراف: ٥٩]. ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

ومن صفات عباد الرحمن: ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ﴾ [الفرقان: ٦٨]. ومن نعوت أهل الإيمان الموعودين بالتمكين في الأرض: ﴿ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾ [النور: ٥٥].



بل لقد خاطب الله أنبياءه ورسله بنذ الشرك والبراءة من أهله والإعراض عنه وعنهم فقال عز وتبارك: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ فِي شَيْءٍ وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [الحج: ٢٦]. وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٥﴾ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥-٦٦]. ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَتَابٌ ﴿٣٦﴾﴾ [الرعد: ٣٦]. ﴿أَنِيعَ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٠٦].

قال أهل العلم رَحْمَهُمُ اللَّهُ تعليقا على هذه الآيات وأمثالها: فإذا كان يُنهى عن الشرك من لا يمكن أن يباشره فكيف بمن عداه؟؟ ولذا خاف الخليل عَلَيْهِ السَّلَام من الشرك، فدعا رَبَّهُ وهو يبنى الكعبة: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]، وإذا كان الخليل عَلَيْهِ السَّلَام يخشى على نفسه من الشرك غيره أولى. قال إبراهيم التيمي: (ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم<sup>(١)</sup>!).

إن التوحيد: توحيد في الاعتقاد، وتوحيد في العبادة، وتوحيد في التشريع. توحيدٌ تُنقى به القلوب والضمائر من الاعتقاد في ألوهية أحد غير الله، وتُنقى به الجوارح والشعائر من أن تُصرف لأحد غير الله، وتُنقى به الأحكام والشرائع من أن تتلقاها من أحدٍ دون الله عَزَّوَجَلَّ، فاختصاص الله بالحكم دون شريك كاختصاصه بالعبادة في جميع أنواعها: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]. فمن نازع الله في الحكم فقد نازعه حقا من حقوق العبادة: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [يوسف: ٤٠].

فالتوحيد هو أول الدين وآخره، وظاهره وباطنه، وقطب رحاه، وذروة سنامه، في خاص الأمر وعامه، ولقد قامت عليه الأدلة، ونادت عليه الشواهد، وأوضحته الآيات، وأثبتته البراهين:

فيا عجباً كيف يُعصَى الإله	أم كيف يجحدُ الجاحدُ
وفي كل شيءٍ له آيةٌ	تدلُّ على أنه الواحدُ

التوحيد نُصبت عليه القبله، وأُسست عليه الملة، ووجبت به الذمة، وعُصمت به

(١) انظر الدرر السنينة (١٥ / ٣٣٠).



الأنفُس، وانفصلت به دار الكفر عن دار الإسلام، وانقسم به الناس إلى سعيدٍ وشقيٍّ ومهتدٍ وغوي.

وإن من رافة الكريم الرحيم بخلقه أن جعل فطرهم موافقة لما خلقهم له، فكلُّ مولودٍ يُولد على فطرة إفراد الله بالعبادة، وأنه المعبودُ وحده دون من سواه، قال عزَّ وجلَّ: ﴿فَطَرَتَ اللَّهُ إِلَيَّ فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠].

والشيطان يسعى لإفسادِ فطر الخلق ليحرم العباد من رضا ربهم عنهم، ومن النعيم المقيم المعد لهم في جنات عدن، قال ﷺ: «قال الله عزَّ وجلَّ: إني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً»<sup>(١)</sup>.

يدعو إبليس الخلق إلى الوقوع في أعظم ذنب يعصى الله به، سئل النبي: أيُّ الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك»<sup>(٢)</sup> فعبد كثير من الناس غير الله، كما قال سبحانه: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [هود: ١٧].

ومن آثار عدم الإيمان أن كل عمل يُعمل وإن كان صالحاً فإنه لا يثاب عليه لفقدان أصل الدين، قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: يا رسول الله، إن ابن جُعدان كان في الجاهلية يصل الرَّحِمَ ويُطعم المسكين، فهل ذاك نافعه؟ قال: «لا ينفعه؛ إنه لم يقل يوماً: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين»<sup>(٣)</sup>.

وهذا الذنب سببٌ لسخط الله وحلول الذلَّة والمسكنة لمن فعله، قال عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَاهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الأعراف: ١٥٢]. وصاحبُه يتقلب في كروبٍ وهمومٍ وأحزان، قال جلُّ شأنه: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ، يُغْوِئْ صَدْرَهُ، ضَلِيلًا حَرَجًا، كَأَنَّمَا يَصَّعْدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]. ويمنعه من دخول الجنة ويُخلِّده في النار،

(١) رواه مسلم (٢٨٦٥).

(٢) رواه البخاري (٤٤٧٧)، ومسلم (٨٦).

(٣) رواه مسلم (٢١٤).

قال جلّ شأنه: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ﴾ [المائدة: ٧٢].

ولثلا يقع العبادة في شرك الشيطان ويُسخطوا ربهم ويُخلّدوا في النار أرسل الله لكل أمة رسولا يُحذّرهم من دعوة الشيطان، ويأمرهم بعبادة الرحمن، وأنزل الكتب، ودعا إليه في أكثر آيات القرآن، وجميع ما في القرآن دال عليه، وأول أمر في كتاب الله هو الأمر به، قال جلّ وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١] أي: وحدوا ربكم، وأول نهي يتلوه قارئ القرآن هو النهي عن ضده، ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢].

وأعظم سورة في كتاب الله ما اشتملت على التوحيد: سورة الفاتحة التي فيها: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، وسورة الإخلاص التي تعدل ثلث القرآن: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، وأعظم آية في كتاب الله آية الكرسي: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

ولقد مكث النبي بعد بعثته يدعو إلى توحيد الله عشر سنين، لا يدعو إلى شيء سواه، ثم تتابعت عليه الشرائع، فكان يدعو إليها مع التوحيد إلى مماته، وكان يقول في صباحه ومساءه: «أصبحنا على فطرة الإسلام، وعلى كلمة الإخلاص، وعلى دين نبينا محمد، وعلى ملة أبينا إبراهيم حنيفا مسلما وما كان من المشركين»<sup>(١)</sup>.

وكان يستفتح يومه بالتوحيد، فيقرأ في ركعتي الفجر بسورتي الكافرون والإخلاص<sup>(٢)</sup>، ويختمه به، فيقرأ في الشفع والوتر بالكافرون والإخلاص<sup>(٣)</sup>.

أتى أعرابي إلى النبي فقال: دُلّني على عمل إذا عملته دخلت الجنة؟ قال: «تعبد الله ولا تُشرك به شيئا، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدّي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان»<sup>(٤)</sup>.

(١) صحيح الجامع (٤٦٧٤).

(٢) صحيح ابن حبان (٢٤٥٩).

(٣) صحيح ابن حبان (٢٤٣٦).

(٤) رواه البخاري (١٣٩٧) ومسلم (١٤).



وكان يأمر أصحابه أن يُبايعوه على عبادة الله وحده، قال عوف بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ؟» قُلْنَا: فَعَلَامَ تُبَايِعُكَ؟ قَالَ: «عَلَى أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَالصَّلَاةِ الْخَمْسِ»<sup>(١)</sup>.

وَإِذَا بَعَثَ الدَّعَاةَ إِلَى الْأَمْصَارِ يَأْمُرُهُمْ أَنْ يَبْدُؤُوا بِالْدَّعْوَةِ إِلَى التَّوْحِيدِ، بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ وَقَالَ لَهُ: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةً أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ»<sup>(٢)</sup>.

وَإِذَا جَاءَهُ وَفَدُّ مِنَ الْوُفُودِ عَلَّمَهُمُ التَّوْحِيدَ، فَحِينَ أَتَاهُ وَفَدَّ عَبْدَ الْقَيْسِ قَالَ لَهُمْ: «أَلَا تَدْرُونَ مَا الْإِيْمَانُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ» الْحَدِيثُ<sup>(٣)</sup>.

وَلَقَدْ خَافَ الرِّسْلَ عَلَى أِبْنَائِهِمْ اتِّبَاعَ الشَّيْطَانِ بِالشَّرْكِ وَعِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، قَالَ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَأَجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]. وَالنَّبِيُّ خَافَهُ عَلَى أُمَّتِهِ، فَقَالَ: «أَخَوْفُ مَا أَخَافَ عَلَيْكُمْ الشَّرْكَ الْأَصْغَرَ»، فَسُئِلَ عَنْهُ، فَقَالَ: «الرِّيَاءُ»<sup>(٤)</sup>.

وَهُوَ مِنْ حَقِّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ، قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يَا مُعَاذُ، أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ؟» قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا»<sup>(٥)</sup>.

وَيُقَرَّبُ الْعَبْدَ مِنَ الْجَنَّةِ وَيُبَاعِدُهُ مِنَ النَّارِ، جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي بِمَا يُقَرِّبُنِي مِنَ الْجَنَّةِ وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ، فَنظَرَ النَّبِيُّ فِي أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ: «لَقَدْ وَفَّقَ» أَوْ: «لَقَدْ هُدِيَ»، قَالَ: «كَيْفَ قُلْتَ؟»، قَالَ: فَأَعَادَ، فَقَالَ النَّبِيُّ: «تَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ»<sup>(٦)</sup>.

(١) رواه مسلم (١٠٤٣).

(٢) رواه البخاري (١٤٥٨) ومسلم (١٩).

(٣) رواه البخاري (٨٧).

(٤) السلسلة الصحيحة (٩٥١).

(٥) رواه البخاري (٧٣٧٣) ومسلم (٣٠).

(٦) رواه البخاري (١٣٩٦) ومسلم (١٣).



ولا سعادة في الدنيا والآخرة إلا به، قال ﷺ: «قولوا: لا إله إلا الله تُفلِحوا»<sup>(١)</sup>.  
ومن كانت خاتمته عليه دخل الجنة، قال ﷺ: «من كان آخر كلامه: لا إله إلا الله عند  
الموت دخل الجنة»<sup>(٢)</sup>. ومن مات عليه دخل الجنة ونجا من النار، قال ﷺ: «من لقي الله لا  
يُشرك به شيئاً دخل الجنة، ومن لقيه يُشرك به دخل النار»<sup>(٣)</sup>.

(١) الصحيح المسند للوادعي (٥١٦).

(٢) صحيح الجامع (٥١٥٠).

(٣) رواه مسلم (٩٣).



## الخطبة الثانية:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه، وبعد:

أيها المسلمون:

إن الله لم يخلق الخلق ليتقوى بهم من ضعف، ولا ليعتز بهم من ذلة، ولا ليستكثر بهم من قلة. فهو المنعم المتفضل، ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ <sup>(١)</sup> إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد ﴿فاطر: ١٥-١٦﴾ سبحانه هو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير، خلقهم لعبادته وطاعته، ليعبدوه ولا يشركوا به شيئاً.

وإن التوحيد أعظم ما تزكو به النفوس، ولا يتحقق إلا بالكفر بجميع ما يُعبد من دون الله، وهو معنى الشهادة، قال ﷺ: «من قال: لا إله إلا الله وكفر بما يُعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله» <sup>(١)</sup>.

ومن حقق التوحيد فرجت كروبته، ونال رضا ربه، وقُبلت أعماله، وضُوعفت أجورُه، وكانت حياته طيبةً، وغُفرت ذنوبُه، ودخل الجنة بغير حسابٍ ولا عذابٍ. ولا نعمة أعظم من نعمة الدين والثبات عليه.

وإن أعمال الموحدين تتفاضل بتفاضل ما في القلوب من الإيمان والإخلاص، وأعز ما يملك المسلم هو توحيد ربه، وأهم ما عليه حفاظه عليه من البطلان أو القوادح أو النواقص الواردة عليه، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: (التوحيد الطَّف شيءٌ وأنزهُه وأنظفه وأصفاه، فأدنى شيءٍ يحدسه ويُدنسه ويؤثر فيه، فهو كأبيض ثوبٍ يُؤثر فيه أدنى أثر، وكالمرأة الصافية جداً أدنى شيءٍ يُؤثر فيها) <sup>(٢)</sup>.

ليس للقلوب سرور وليس للصدور انشراح إلا في توحيد العبادة، وإخلاص المحبة، وتمام الذل والخضوع، وصرف البصر والبصيرة عن الالتفات إلى ما سوى الله ذي الجلال والإكرام.

(١) رواه مسلم (٢٣).

(٢) الفوائد لابن القيم (١٩٤).

فيه يكون الولاء والبراء، والحب والبغض، والمودة والعداء. يضعف كل رباط إلا رباط العقيدة، وتضمحل كل وشيجة إلا وشائج الحب في الله. رابطة الإيمان يتهاوى دونها كل صلة بعرق أو تراب أو لون.

أيها الأحبة: وإن توحيد الاعتقاد يتبعه توحيد العمل والاستقامة في الاتباع، لا تقوم العقيدة بصفائها إلا حين نقارنها بالعمل الصالح، وإسلام الوجه لله والإحسان في العمل.

﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان: ٢٢].  
 ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النساء: ١٢٥].

عباد الله: من أهم المهام وأوجب الواجبات تعليم الأبناء أصل دينهم وسؤالهم الدائم عنه هو نهج الرسل، يعقوب عَلَيْهِ السَّلَام وهو في نزاع الروح يسأل أبناءه عن توحيدهم، ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣]. ونبينا محمد يسأل جارية صغيرة: «أين الله؟» قالت: في السماء<sup>(١)</sup>.

ومدارسة كتب الاعتقاد السليمة وملازمة حلق أهل العلم من أسباب الثبات على الدين، لأن فيها معرفة كلام الله ورسوله، واللذين فيها العصمة، كما قال ﷺ: «وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به، كتاب الله وستي»<sup>(٢)</sup>.

إن من أجل الأعمال وأعظمها عند الله تعالى دعوة الناس إلى التوحيد وغرسه في نفوسهم؛ ومن لطيف ما يُشار إليه في هذا المقام: قصة هدهد سليمان، الذي كان سبباً في هداية أمة من الأمم، وهو طائر صغير قد لا يؤبه له، ولقد نوه الله بذكره وخلد قصته في القرآن مع قصة نبيه سليمان، لشرف خبره وعظيم أثره، حيث جاء بالنبأ اليقين: ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٢٣] أي: مما يحتاجه الملوك من العظمة والفخامة، ولكنه رأى أمراً عجباً فاستنكره قائلاً: ﴿وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنُ لَهُمْ الشَّيْطَانُ

(١) رواه مسلم (٥٣٧).

(٢) رواه مسلم (١٢١٨).



أَعْمَلُهُمْ وَقَوْمَهَا.. لَا يَهْتَدُونَ ﴿ [النمل: ٢٤] ثم أثبت صدق النبأ، وأوصل رسالة سليمان إلى بلقيس في بلاد سبأ، فكان سبباً في هدايتهم أجمعين، وإسلامهم لله رب العالمين.

إن الموحّد لله تكون مشاعر قلبه وخلجات ضميره مرتبطة بربه مؤتمرة بأوامره، منتهية عن نواهيه، يحل ما أحل الله ويحرم ما حرم الله، يقف عند حدوده منتصب القامة مرتفع الهامة، لا يركع ولا يسجد ولا ينحني إلا لله رب العالمين، لا يخاف إلا الله، ولا يرجو سواه، ولا يطمع فيما عند الخلق، ولا يتدلل لهم رغبةً أو رهبةً، فهو أهنأ الناس حياة، وأصلحهم بالأ، وأرغدhem عيشاً، وأكثرهم طمأنينة وأمنًا: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

نسأل الله تعالى التوفيق لتوحيده، وذكره وشكره وحسن عبادته، والثبات على طريقه، والديمومة على مرضاته.



## أهمية التوحيد وخطورة الشرك<sup>(١)</sup>

### الخطبة الأولى:

الحمد لله الذي أراد فقدر، وملك فقهر، وخلق فأمر، عبد فأثاب وشكر، وعُصي فأمهل وغفر، جعل مصير الكافرين إلى سقر، والمتقين في جنات ونهر، في مقعد صدق عند مليك مقتدر..

أحمده سبحانه وأشكره على سابغ نواله، وجميل أفضاله، فله الحكمة البالغة، والنعمة السابغة، والآلاء المتتابعة، وأشهد أن لا إله إلا هو وحده لا شريك له، إلهًا واحدًا أحدًا، لم يتخذ صاحبةً ولا ولدًا، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وصفيه وخليله، بعثه ربه حين لا علم للباطل دافع، ولا منازٍ للحق ساطع، فبلغ ونصح، ودعا للتوحيد فأفصح، ﷺ تسليمًا كثيرًا.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِءَ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

عباد الله: إن أوجب الواجبات على العبد معرفة توحيد الله عزَّوَجَلَّ ومعرفة ما يضاده من الشرك، ذلك أن التوحيد هو القاعدة والأصل والأساس لدين الإسلام الذي لا يقبل الله عملاً إلا به، ويغفر لمن أتى به إن شاء، ولا يغفر لمن ناقض التوحيد، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِءَ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

(١) عبد الرحمن بن علي العسكري.



ولهذا لما اشتملت كلمة الإخلاص على إقرار التوحيد ونفي الشرك كانت أفضل الكلام وأعظمه، من قالها مستيقناً بها كان أسعد الناس بشفاعته النبي ﷺ، كما جاء عن أبي هريرة أنه قال: قلت يا رسول الله! من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: «لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك، لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله، خالصاً من قلبه أو نفسه»<sup>(١)</sup>. ومن كانت آخر كلامه من الدنيا دخل الجنة، قال ﷺ: «من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة»<sup>(٢)</sup>.

فلا يستقيم الأمر إلا بالتوحيد، ولا يستقيم التوحيد إلا بمعرفة الشرك ثم الحذر منه، وهذا القرآن كله أمر بالتوحيد ومحذر من الشرك، ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]. معرفة التوحيد والتمسك به ومعرفة الشرك والحذر منه مصلحتها راجعة إلى العبد لا إلى غيره، هو المنتفع بالتوحيد كما أنه المتضرر بالشرك، ﴿إِن تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَأِنَّكَ اللَّهُ لَغَفِيٌ حَمِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٨]، ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّكَ اللَّهُ عَنِّي وَعَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧].

لا نجاة أيها الناس ولا فوز إلا بالتمسك بسبيل الله تعالى، ﴿وَأَن هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

عباد الله: لم يأت نبي من الأنبياء إلا وأمر قومه بإخلاص التوحيد لله ونهاهم عن أن يشركوا معه غيره، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، ولقد كتب الله على من خالف هذا النهج وأشرك معه غيره أن كانت عقوبته أفظع عقوبة وأعظمها، ﴿إِنَّهُ: مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنَ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

(١) رواه البخاري (٩٩).

(٢) صحيح الجامع (٥١٥٠).

عباد الله: هذا إمام الحنفاء إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي ضَحَّى بحياته من أجل إقامة التوحيد وقضى عمره في دعوة الناس إلى الملة الحنيفة السمحة، خليل الرحمن الذي كان أمةً وحده، كما قال الله عنه: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَوْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل: ١٢٠] ها هو يخاف الشرك على نفسه وعلى ذريته، فيسأل ربه قائلاً: ﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

إن أعظم الناس منزلة وأعلاهم درجة عند الله هم أنبياء الله ورسوله؛ ولهذا اختارهم لحمل أفضل أمر في هذا الكون وهو الدعوة إلى الله، غير أن أعمالهم لا تنفعهم شيئاً إذا أخلوا بجناب التوحيد، ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٥].

ولقد اقتضت حكمة الله أن الأرض لا تخلو أبداً من موحدٍ إلى أن تقوم الساعة، «لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله»<sup>(١)</sup>، فإذا خلت الأرض من موحدين آن للوضع حينئذ أن يتغير وللساعة أن تقوم، يقول الرسول ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله، الله»<sup>(٢)</sup>.

أيها الناس: رأيتم هذه السماوات كيف قامت بدون عماد؟ رأيتم هذه الأرض كيف بسطت ورسّت بهذه الأوتاد؟ رأيتم هذه الجبال ورسوخها وعظمتها ما مالت ولا سقطت منذ أن خلقها الله، كل هذه المخلوقات العظيمة يكاد يختل نظامها، وتهتز أركانها، ويتزلزل بنايها؛ من الإشراف بالله تعالى، واقرؤوا إن شئتم قول الله سبحانه وتأمّلوه: ﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴾ [مريم: ٩٠]، أمور فظيعة تقع، ما سببها؟ ﴿ أَنْ دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ۗ ﴿١١﴾ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴾ [مريم: ٩١-٩٢]، حين وُصِفَ الله عَزَّوَجَلَّ بالحاجة إلى الولد، وهل يحتاج إلى الولد إلا الضعيف؟!

(١) صحيح الترمذي (٢٢٢٩).

(٢) رواه مسلم (١٤٨).



أنى يستقيم نظام الكون إلا بإله واحد؟ ﴿أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ﴾ (٣١) لَوْ  
كَانَ فِيهِمَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴿[الأنبياء: ٢١-٢٢]. ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَسْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن  
زَالَتَا إِن مَّسَكَهُمَا مِن أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر: ٤١]..

عباد الله: لما كان الأمر بهذا الصورة جاء الإسلام مانعاً من كل ما يكون سبباً للإشراك  
بالله، لا نتوكل إلا على الله، لا نذبح إلا له، لا ننذر إلا له، لا ندعو إلا إياه، لا نطلب العون إلا  
منه، من حلف بغير الله فقد أشرك، ولذا لما سمع الرسول ﷺ رجلاً يحلف بأبيه قال ﷺ: «إن  
الله ينهاكم أن تحلفوا بأبائكم، من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت»<sup>(١)</sup>. وروى الترمذي  
وأبو داود والحاكم وصححه: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»<sup>(٢)</sup>.

فاتقوا الله عباد الله وأطيعوه، وراقبوه في كل ما تأتون وما تدرؤن.  
بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفَعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم،  
أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم من كل ذنب فاستغفروه، إن ربي غفور رحيم.

(١) رواه البخاري (٦٦٤٦) ومسلم (١٦٤٦).

(٢) مسند أحمد (٨/٢٢٢) وصححه أحمد شاكر.



### الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي وعد الموحدّين بالجنة، وتوعّد المشركين بالنار، أحمده سبحانه لا إله غيره ولا رب سواه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، همى جناب التوحيد عن كل ما يخل به ويشينه، صلى الله عليه وعلى آله وصحابه وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

يا أيها الناس: إن شر البلية ضلال بعد هدى، وعمى بعد بصيرة، وغبي بعد رشد، ولقد خلق الله الخلق يميلون بفطرتهم إلى التوحيد دين الفطرة، فانحازت الشياطين بفريقٍ منهم وحوّلوهم عن السداد، وانحرفوا بهم عن طريق الرشاد، يقول الله سبحانه في الحديث القدسي: «خلقت عبادي حنفاء، فاجتالتهم الشياطين»<sup>(١)</sup>.

وإن من الباطل الذي زينته الشياطين وأوقعوا فيه ذوي العقول الضعيفة من الإنس الغلوة في الصالحين والأولياء في قالب محبتهم والسير على منهاجهم أو التبرك بأثارهم.

عباد الله: إن للشيطان خطوات، وإن الشرك لا يقع في الأرض جملةً واحدةً، بل تقع ذرائعه إليه أولاً، ويستسهل الجهال الوسائل الموصلة إليه فيزينها الشيطان على صورة قربات إلى الله، وهكذا حتى يسقط الناس في وحل الشرك وهم لا يشعرون، وانظروا إلى قوم نوح، حين جاء يدعوهم إلى عبادة الله وترك ما يعبدونه من الأصنام: ﴿وَقَالُوا لَا نَدْرَأُ ءِالِهَتَكُمْ وَلَا نَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣] قال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسمّوها بأسمائهم، ففعلوا، ولم تُعبد، حتى إذا هلك أولئك ونسي العلمُ عبَدت»<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه مسلم (٢٨٦٥).

(٢) رواه البخاري (٤٩٤٠).



قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: (وإنما صور أوائلهم الصور ليستأنسوا بهم ويتذكروا أفعالهم الصالحة فيجتهدوا كاجتهادهم، ثم خلفهم قوم جهلوا مرادهم فوسوس لهم الشيطان أن أسلافهم كانوا يعبدون هذه الصور ويعظمونها)<sup>(١)</sup>.

عباد الله: لقد حذر النبي ﷺ قبل موته من أمورٍ هي ذريعة للشرك ووسيلة إليه؛ خشية أن تقع في أمته، كالغلو فيه فضلاً عن غيره من الصالحين، فقد روى ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ قال: «لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله»<sup>(٢)</sup>.

كما حذر لما نزل برسول الله ﷺ المرض جعل يطرح خميصةً على وجهه ويقول: «لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك»<sup>(٣)</sup>، بل لقد حذر النبي ﷺ من الغلو بجميع أنواعه فقال: «إياكم والغلو، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو»<sup>(٤)</sup>.

وإن من ذرائع الشرك والوسائل المفضية إليه: ما يقع من مخالفات بعض الجهال في السعي لحل المشكلات والتداوي من الأمراض، بوسائل غير صحيحة شرعاً ولا عقلاً؛ كل ذلك سعياً للدواء وطمعاً في الشفاء، كتعليق التوائم والحروز، والذهاب إلى العرافين والسحرة والمشعوذين.

عباد الله: ما من أحدٍ إلا وهو عرضة للبلاء والمرض، وقد تُهيننا عن فعل ما يضر ولا ينفع، فقد روى الحاكم وابن حبان عن عقبة بن عامر الجهني أن رسول الله ﷺ أقبل إليه رهط، فبايع تسعة وأمسك عن واحد، فقالوا: يا رسول الله، بايعت تسعة وتركت هذا! قال: «إن عليه تميمة»، فأدخل يده فقطعها، فبايعه ﷺ، ثم قال ﷺ: «من علق تميمة فقد أشرك»<sup>(٥)</sup>.

(١) تفسير القرطبي (١٨ / ٣٠٨).

(٢) رواه البخاري (٣٤٤٥).

(٣) رواه البخاري (١٣٩٠) ومسلم (٥٢٩).

(٤) مسند أحمد (٨٥ / ٥) وصححه أحمد شاكر.

(٥) ابن حبان (٦٠٨٦) الحاكم (٨٢٨٩) وصححه الألباني.



فأي فائدة تحصل من خيوط تربط أو خرزٍ يجمع أو حلقة توضع في اليد أو الرجل أو حجب أو حروفٍ مقطعة؟! وهل أحدٌ يشفي سوى الله؟ كلا؛ كما قال إمام الحنفاء وأبو الأنبياء: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠]. إنما ذلك شرك وضلال ناشئ عن فساد في الفطرة والعقول.

عباد الله: لقد جُبل الإنسان على الذهاب إلى أصحاب العلاج والأطباء، غير أن الدواء من الطيب والشفاء من القريب المجيب سبحانه، فينبغي أن يكون التوكل واعتماد القلب على الله لا على الوسيلة المتمثلة في الطيب أو الدواء.

ومن صور الشرك ووسائله إتيان الكهنة والعرافين وسؤالهم عن أمور الغيب، والغيب لا يعلمه إلا الله، قال ﷺ: «من أتى عرافاً فسأله عن شيء فصدقه بما يقول لم تقبل له صلاة أربعين يوماً»<sup>(١)</sup>، وقال صلوات ربي وسلامه عليه: «من أتى كاهناً أو عرافاً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد»<sup>(٢)</sup>.

ويا لله كم نُكب التوحيد من عرافٍ شاع أمره بين الناس، وكم من الناس اليوم يترددون على السحرة والعرافين، ويسألونهم عن ما لا يعلمون، ويطلبون منهم ما لا يملكون، ويلجؤون إليهم فيما ليس يقدرّون، ولما ناظر بعض أهل العلم عرافاً من العرافين، فقال له العالم: إني أريد أن أسألك سؤالاً، فقال العراف: ما هو؟ فقال العالم: واعجباً إنك كنت عرافاً تعلم الغيب، فكيف لم تدر ما هو السؤال قبل أن أسألك إياه؟! ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥].

ومن ذلك: التشاؤم بالأيام والشهور أو التشاؤم من المرضى أو الطيور، وفي الصحيحين قال عليه الصلاة والسلام: «لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر»<sup>(٣)</sup>، وفي مسند الإمام

(١) رواه مسلم (٢٢٣٠).

(٢) صحيح الترغيب والترهيب (٣٠٤٧).

(٣) رواه البخاري (٥٧٥٧) ومسلم (٢٢٢٠).



أحمد: «من رَدَّتْهُ الطيرة عن حاجته فقد أشرك»<sup>(١)</sup>، إلى غير ذلك من أمور هي عند بعض الناس صغيرة، ولكنها عند الله كبيرة.

يقول عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إنما تُنْقَضُ عُرَى الإسلام عروة عروة، إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية»<sup>(٢)</sup>، ويقول حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخالفة أن يدركني»<sup>(٣)</sup>.

ومن هنا كان لا بد من معرفة خطورة الشرك، كما قال الشاعر:  
عرفتُ الشرَّ لا للشرِّ لكن لتوقِّيهِ      ومن لا يعرفُ الشرَّ من الخير يقع فيه

فاتقوا الله عباد الله: وأخلصوا له العبادة، واجتنبوا كل وسيلة قد تقدح في إيمانكم وتوحيدكم، وتفضي إلى الإشراف بالله، واعلموا أن وراءكم جنةً وناراً، وأن أفضل الأعمال الموصلة إلى الجنة توحيد الله، وأن أشنع الأعمال الموصلة إلى النار الإشراف بالله، يقول الرسول ﷺ: «من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، ومن لقي الله يشرك به شيئاً دخل النار»<sup>(٤)</sup>.  
هذا وصلوا وسلّموا على نبي الهدى، وإمام الورى، محمد ﷺ...



(١) صحيح الجامع (٦٢٦٤).

(٢) ذكره ابن تيمية رحمه الله تبارك وتعالى في مواضع من كتبه، منهاج السنة (٢/٣٩٨-٤/٥٩٠) مجموع الفتاوى (١٠/٣٠١-١٥/٥٤).

(٣) رواه البخاري (٣٦٠٦) ومسلم (١٨٤٧).

(٤) رواه مسلم (٩٣).

## نواقض التوحيد ونواقصه (١)

## الخطبة الأولى:

الحمد لله الذي أراد فقدر، وملك فقهر، وخلق فأمر، عبد فأثاب وشكر، وعُصي فأمهل وغفر، جعل مصير الكافرين إلى سقر، والمتقين في جنات ونهر، في مقعد صدق عند مليك مقتدر..

أحمده سبحانه وأشكره على سابغ نواله، وجميل أفضاله، فله الحكمة البالغة، والنعمة السابغة، والآلاء المتتابعة، لا نحصي ثناءً عليه هو كما أثنى على نفسه، هل تعلم له سمياً؟! وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إلهًا واحدًا أحدًا، لم يتخذ صاحبةً ولا ولدًا، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وصفيه وخليله، بعثه ربه حين لا علمٌ للباطل دافع، ولا منازرٌ للحق ساطع، فبلغ ونصح، ودعا للتوحيد فأفصح، ﷺ تسليماً كثيراً..

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن يكن من شيءٍ أولى بالنصح به والابتداء فإنه التقوى؛ لأن تقوى الله سبحانه هي الطريق الموصل إلى المقامات العلية، والأحوال الزكية، وبها تقطع حمة الخطايا، فهي النجاة غداً، والمناجاة أبداً، والعاقبة للتقوى.

(١) بلال بن عبد الصابر قديري.



عباد الله: يوقن العاقل الحصيف أن الابتلاء بالأمراض والأسقام، والعلل في الأبدان، سنة ربانية في بني البشر، إذ هي من مقتضيات الحكمة الإلهية: ﴿وَتَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥]. ثم إن البشر قاطبة مجتمعون إجماعاً لا خلاف فيه أن الصحة تاج فوق رؤوس الأصحاء لا يراه إلا المرضى، والمتأمل سيجد الأمراض والأسقام بشتى الأنواع والمظاهر تسري في بني آدم، لا يخلو منها عصر، ولا ينفك منها مصر ولا يكاد، إلا من رحم الله. ويكفي المسلم أنها مكفرات للخطايا رافعة للدرجات، ولكن ثمة أمراضاً أخرى ليست بمكفرات، بل هي مهلكات موبقات، أصابت في أعقاب الزمن ألوفاً من بني الإسلام بل يزيدون، فأهلكت أمماً وأعقت أماً. لا ينفع مع ذا الداء دواء طيب، ولا مصل عقار، ويا له من مرض مخوف، يفتك بأخرة العبد ودينه، ويوبقه بما كسبت يده. إن هذا الداء العياء، ليبدو ظاهراً بجلاء، متكرراً باستعلاء، في صور متعددة، وفي بقاع شتى من ديار الإسلام، من عكوف ألوفاً حول القبور، يدعون بها، أو عندها، أو قل: يدعونها، ومن ثم يقربون لها أو عندها النذور، ويفدون إليها للموالد والأعياد، فيا لله ما أشده من مرض أهلك وأوبق الكثيرين!

أيها المسلمون: إن الشرك بالله في شتى المظاهر والصور، مناقض للباب الرسالات السماوية من لدن آدم إلى محمد -صلى الله عليهم وسلم-، إذ توحدت على كلمة التوحيد دعوتهم وكلمتهم: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]. وعلى كلمة التوحيد: «لا إله إلا الله» شيد المصطفى ﷺ دعوته، وأقام ملته، فالسيرة النبوية من أولها إلى آخرها مكّيتها ومدنيها، حضرها وسفرها، سلمها وحرها، كانت دعوة إلى التوحيد، لم تخل فترة من حياته من إعلان التوحيد والدعوة إليه: «يا أيها الناس، قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا»<sup>(١)</sup>. وكلمة التوحيد «لا إله إلا الله» هي الحادي الذي لا يملُّ نداءه، ولا يتلاشى صده، ولا ينفك عنها المرء حتى يرحل عن دنياه، ألم تسمع قول النبي ﷺ: «من كان آخر كلامه من الدنيا: لا إله إلا الله دخل الجنة»<sup>(٢)</sup>، ولكن مجرد النطق بـ«لا إله إلا

(١) رواه أحمد (٢٣١٩٩) وابن حبان (٦٥٦٢).

(٢) رواه أبو داود (٣١١٦) وصححه الألباني.



الله» عاريًا عن شروطٍ ومستلزماتٍ لا يصح إلا بها هو السبب في أدواء القبورية وأضرارهم. «لا إله إلا الله» علامة الدخول في التوحيد، لا تنفع قائلها إلا باجتماع شروطٍ سبعة: العلم بها المنافي للجهل، واليقين بفحواها المنافي للشك بمحتواها، والإخلاص في قولها المنافي للرياء والشرك، ومن ثم الانقياد لحقوقها منافيًا للترك، والقبول لها قلبًا وقلبًا منافيًا للكذب، ويجبها ولا يقدم عليها غيرها منافيًا للبغيض، نظم الحافظ الحكمي شروطها السبعة في قوله:

العلم واليقين والقبول      والانقياد فادر ما أقول  
والصدق الإخلاص والمحبة      وفقك الله لما أحبه

عباد الله: هذا الموضوع تعدّد أفراده وتتنوع متعلقاته، ويطول شرحها، ولكن حسبنا ذكر المهمات، وقديماً قيل: «اللييب بالإشارة يفهم»، وحسبك من القلادة ما أحاط بالعنق، ومن السوار ما أحاط بالمعصم.

إن الأمة أجمعت على أن العبادة حق الله ومستحقه، لا يجوز صرف شيءٍ منها لغير الله، و«الدعاء هو العبادة» كما صح عن رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>.

وربنا - جل وعز - يقول في محكم التنزيل: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦]. والظالمون هم المشركون.

فماذا عسانا أن نسمّي قول ناسٍ: (يا رسول الله المدد المدد)، (يا رسول الله عليك المعتمد)؟!

أو أن يُنادى بعض الأموات عند الكروب والمحن: (يا جيلاني، يا رفاعي، يا شاذلي)؟!

وربنا جل وعلا حكم في المسألة، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٤].

وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ (١٣) <sup>﴿١٣﴾</sup> إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣-١٤].

(١) رواه أبو داود (١٤٧٩) وصححه الألباني.



## نواقض التوحيد ونواقصه

إن العكوف على قبور الأموات وسؤالهم من دون الله، لم يكن إلا سبباً من أسباب البلاء والنكبات التي حلت في ديار المسلمين، خذ على ذلك مثالاً: فحين هجم التتار على ديار المسلمين وقتلوا منهم مئات الآلاف، وأهلكوا الحرث والنسل، كان ضعف التوحيد في القلوب قد بلغ مداه، والتعلق بغير الله وصل منتهاه، حتى لقد قال بعضهم من الهلع:

يا خائفين من التتر لو ذوا بقبر أبي عمر

عوذوا بقبر أبي عمر ينجيكم من الضرر!!

﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥]. إن الجهل بالله جعل

فثاماً ينحازون إلى القبور، ويتضرعون عند عتباتها، ويلجؤون إليها لتفريج الكرب، وكثر المروجون لها والداعون إليها من القبوريين والمخرفين، ممن يخترعون حكايات سمجة عن القبر وصاحب القبر وكراماته زعموا، ويطوفون بالقبر كما يطاف بالكعبة المعظمة، ويدفعون الأموال الطائلة على تلك الأضرحة، حتى ليجتمع في صناديق بعض القبورين أموال تعد بالملايين، يتقاسمها الخدم والسدنة والحجّاب، الذين جعلوا هذه الأضرحة مجالاً لأكل أموال الناس بالباطل، والاسترزاق من الجهال والمغفلين، ولقد أحسن حافظ إبراهيم حيث قال:

أَحْيَاؤُنَا لَا يُرْزَقُونَ بِدَرَاهِمٍ      وبألف ألف تُزْرَقُ الأَمْوَاتُ  
مَنْ لِي بِحِطِّ النَّائِمِينَ بِحُفْرَةٍ      قَامَتْ عَلَى أَحْجَارِهَا الصَّلَوَاتُ  
يَسْعَى الأَنَامُ لَهَا، وَيَجْرِي حَوْلَهَا      بَحْرُ النُّذُورِ وتُقْرَأُ الآيَاتُ  
ويقال: هَذَا القُطْبُ بابُ المِصْطَفَى      وَوَسِيلَةُ تُقْضَى بِهَا الحَاجَاتُ

إن بناء المساجد على القبور، أو إدخال القبور إلى المساجد مدعاة لتعظيمها وعبادتها من دون الله، ورسول الله ﷺ يقول: «لا تتخذوا قبوري عيداً»<sup>(١)</sup>، فقبر غيره أولى بأن لا يتخذ عيداً، فأبي مسجد كان به قبرٌ ينظر إلى الأقدم فيبقى، وإلى المحدث منها فيهدم أو ينبش. وكان آخر عهده ﷺ قبل موته أن قال: «لعن الله اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبور أنبيائهم

(١) رواه أبو داود (٢٠٤٢) وأحمد (٨٧٩٠) وصححه الألباني.



مساجد»<sup>(١)</sup>، يحذر من مثل ما صنعوا، والأحاديث الصحاح دلت على معان هي تحريم الصلاة إلى القبور، أو السجود عليها، أو بناء المساجد عليها؛ لأن ذلك مدعاة للتعظيم: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

ومن المضحكات المبكيات: أنه صار لكل ضريح زوار وأنصار يزعمون أنه أسرع إجابة وأقدر على قضاء الحوائج من غيره، وتقوم على إثر ذلك مفاخرات بين أولئك الجهال، وهذا معلوم معروف في بعض بلاد الإسلام التي تكثر فيها هذه الأضرحة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ومن طريف ما يحكى أن أحد الظرفاء جلس ذات يوم في مزار ومشهد، فجاء من يطلب من صاحب القبر النجدة لامرأته التي تلد ولادة متعسرة ثم انصرف، فجاء آخر يطلب النجاح لابنه في الامتحان، فقال الرجل الطريف: إن صاحب القبر ليس هنا، حيث ذهب لتوليد امرأة حامل فلعله أن يعود من قريب فانتظره.

أيها الناس: صوراً أخرى لتلك الشرور وعظائم الأمور التي تطفح بها جنبات هذه الأضرحة، وهو: ما يعرف بالموالد، فيقام للولي كل عام احتفال يسمى مولداً، وقد يكون للولي الواحد عدة موالد، وكل جماعة تقيم لشيخها مولداً، وهل تصدقون إن قلت لكم: يبلغ عدد الزائرين لمولد البدوي كل عام مليونين فقط؟! وقل مثل ذلك عن مشهد الأنبياء، ويحصل في موالدهم من الفجور ما الله به عليم، حتى إن الناس وجدوا حول قبر الأنبياء ألف وعاء خمير فارغ، وما يحكى عن الفواحش فكثير لا يحصى، وليس هذا فحسب بل أعظم من هذا هولاً يحصل في موالد متعددة وفي أرجاء شتى، فأين أهل الاحتساب من هذه القبور والأضرحة؟! يهدمونها ليهدموا معها بنياناً من الوهم قائماً، فعن أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب: «ألا أبعثك على ما بعثني به رسول الله ﷺ: أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته؟»<sup>(٢)</sup>، وتاريخ المسلمين بمثل هذا مليء، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ فِي

(١) رواه البخاري (١٣٩٠) ومسلم (٥٢٩).

(٢) رواه مسلم (٩٦٩).



حوادث سنة (٢٣٦هـ) في البداية والنهاية<sup>(١)</sup>: (فيها أمر المتوكل بهدم قبر الحسين بن علي ابن أبي طالب وما حوله من المنازل والدور، ونودي في الناس: من وجد هنا بعد ثلاثة أيام ذهبنا به إلى المطبق) أي: السجن. ولا غرو في ذلك ولا عجب؛ إذ إن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فعل مثل ذلك بالشجرة التي بايع الناس النبي ﷺ تحتها بالحديبية عام خمس من الهجرة، فلما بلغ عمر أن ناساً يذهبون إليها ويصلون عندها أمر بها فقطعت، فرضوان الله على عمر.

ومن ذلك: ما قاله أبو شامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (ولقد أعجبني ما صنعه الشيخ أبو إسحاق الجبائي، أحد الصالحين ببلاد إفريقيا، في المائة الرابعة، كان لديهم عين تسمى: عين العافية، هكذا سماها الناس، قد فتنوا بها، يأتونها من الآفاق من به مرض متعسر، ومن يريد نكاحاً، أو ولداً وتعذر عليه، يقول: امضوا بنا إلى العافية، قال أبو عبد الله: فإننا في السحر قبل الفجر ذات ليلة إذا سمعت أذان أبي إسحاق نحوها، فخرجت فوجدته قد هدمها، وأذن الصبح عليها، ثم قال: اللهم إني هدمتها لك، فلا ترفع لها رأساً).

أيها الناس: إن الداعي إلى هذا التعظيم والانكباب والانبطاح على القبور والمقابر، إنما هو صور من الكرامات المزعومة اختلقوها، ثم غرهم الشيطان فزعموا أن الولي خير من النبي، فقال قائلهم:

مقام النبوة في برزخ فؤيق الرسول ودون الولي

وما علم هؤلاء الأغرار أن نبياً واحداً خير من الأولياء جميعاً، كيف لا: والله أعلم حيث يجعل رسالته؟! ومن أولئك الضالين المضلين: «الحلاج» الذي كان يدفن شيئاً من الحلوى والخبز والشواء في الصحراء، ثم يدعو أتباعه للخروج معه إلى البرية على وجه السياحة، ثم إذا جاؤوا المكان قال بعض المقربين العالمين بالحيلة: نشتهي كذا وكذا، فيبتعد عنهم ويصلي بالموضع المدفون فيه ركعتين ويأتيهم به، حتى عظم أمره واستفحل خطره حتى قتل.

ف«لا إله إلا الله» أين عقول وألباب هؤلاء الأتباع للمرتزقة حول المشاهد والأضرحة؟! ولتكتمل الصورة ليُعلم أنه لا يزال بين ظهرائي الناس أولياء مزعمون يُلتجأ إليهم عند

(١) البداية والنهاية (١٠/٣١٥).



المهمات، فيفتنون الناس بالتهايم والحروز تعلق بالأبناء والنساء، تدفع العين أو تجلب الخير أو تدفع الشر، والله يقول: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ يَضْرِبْ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ١٧]. وقد رأى النبي ﷺ رجلاً في يده حلقة من صفر، فقال: «ما هذا؟» قال: من الواهنة، قال: «انزعها؛ فإنها لا تزيدك إلا وهناً، فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبداً»<sup>(١)</sup>، وعنه ﷺ أيضاً أنه قال: «من تعلق تيممةً فلا أتم الله له»<sup>(٢)</sup>، وقال: «من تعلق شيئاً وكل إليه»<sup>(٣)</sup>، ومن هنا فإن مجالس تحضير الأرواح وقراءة الكف والفتجان التي تكشف ما سيجده عن قريب أو بعيد، ما هي إلا ضلالة من الإثم مروعة، قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]. وقال عليه الصلاة والسلام: «من أتى كاهناً أو عرافاً فصدقه فيما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد»<sup>(٤)</sup>، وهؤلاء المفتونون بمستقبل الأبراج الذين يزعمون السعادة كامنة في برج الجدي، والغنى مستقراً لأصحاب برج العقرب، وأما أصحاب برج الجوزاء فيا لتعاسة الحظ وخيبة الأمل، ما هؤلاء من الضلال ببعيد: ﴿أَمْ لَهُمْ سُمٌّ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلَيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَنٍ مُّبِينٍ﴾ [الطور: ٣٨]. ومن مكتشفات القرن العشرين ومخترعاته: أبواب ضلالة، فتحت مصارعها، لا تباع بالأموال وإنما تبذل بالمجان، وتعرض على الناس في بيوتهم صباحاً ومساءً، في عروض بهلوانية والعباب سحرية، وخُذع من أكلٍ للزجاج والتهام للهب وبقير للبطون بالأسنة، وصور أخرى من هذه المخادعات، أضلت وأغوت الكثيرين، ألا فالحذر الحذر من هذه السحريات وإن غُيِّرت مسمياتها. هذه صورٌ لنواقض التوحيد ونواقصه، والرجاء باقٍ والأمل في رحمة الله أن تزال من ديار المسلمين عاجلاً غير آجل، عن قريب لا من بعيد، إنه ولي ذلك والقادر عليه. قد قلت ما قلت، إن صواباً فمن الله، وإن خطأً فمن نفسي والشيطان.

(١) رواه أحمد (٢٠٠١٤).

(٢) رواه أحمد (١٧٤٤٠) وابن حبان (٦٠٨٦).

(٣) رواه الترمذي (٢٠٧٢) وحسنه الألباني.

(٤) رواه ابن ماجه (٦٣٩) وأحمد (٩٥٣٢) وصححه الألباني.



### الخطبة الثانية:

الحمد لله، أنزل كتبه وبعث رسله إعدارًا وإنذارًا، ونحمده ونستغفره إنه كان غفارًا، ونثني عليه بما هو أهله ونشكره، أسبغ علينا نعمه مدرارًا، ونشهد أن لا إله إلا الله شهادة من يرجون لله وقارًا، ونشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، نصب به الدليل، وأنار به السبيل، فتبدلت الظلمات أنوارًا، صلى الله عليه وعلى أصحابه كانوا على الهدى أعلامًا وعلى الحق منارًا، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، مهاجرين وأنصارًا، والتابعين ومن تبعهم بإحسان ما أعقب ليلٌ نهارًا. أما بعد: فلعل قائلًا أن يقول: ما الداعي لمثل هذا الحديث ونحن نرتوي في هذه البلاد من معين التوحيد ونستضيء بأنواره؟! ولكنه إعدارٌ وإنذارٌ لكل من علم شيئًا من هذا أو شاهده أن لا ينكر؛ لأن السكوت على من وقع في ناقصٍ للتوحيد رضاءٌ له بنار جهنم، وذلك لأن الله تعالى قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦]. إن هذا الكلام يقال والعيون منصبة على معين السنة النبوية التي ورد فيها عن الحبيب ﷺ قوله: «لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوسٍ عند ذي الخلصة»<sup>(١)</sup>، وذو الخلصة: طاغية دوس وصنمهم الذي كانوا يعبدونه في الجاهلية بتبالة، وهي قرية بين الطائف واليمن.

عباد الله: إن مما ينبغي علينا فعله: أن نبذل الغالي والنفيس في سبيل حماية التوحيد وترسيخه في القلوب، كما أرادت الشريعة أن تحميه، وألا نؤثر عليه شيئًا من المغانم الدنيوية الفانية، فإن النبي ﷺ قد خيرته قريش بين أن يعطى السيادة والملك والمال وما شاء من نعيم الدنيا على أن يدع دعوة التوحيد، فهل أطاعهم في ذلك؟ هل أجابهم إلى شيء مما أرادوه؟! ولذا لما غزا الإمام محمود الغزوني رَحِمَهُ اللَّهُ بلاد الهند، وقدم على صنم عظيم لهم يقال له: سونيات، يحجون له من أطراف الهند، وتقرب إليه القرابين، وتذبح عنده الذبائح، ويؤتى إليه بالنذور، وأنواع الأموال، ويتمسحون به كما يرون يتمسحون بالبقرة اليوم، فأراد محمود الغزوني أن يحرق الصنم ويكسره، فبذل له أصحاب الصنم أموالًا عظيمة وثروة طائلة على

(١) رواه البخاري (٧١١٦) ومسلم (٢٩٠٦).



أن يتركه لهم، فقال له بعض جند المسلمين: خذ المال، وانتفع به وانفع به المسلمين، واترك لهم الصنم. قال: (سأستخير الله، وأنظر في أمري. فلما أصبح جاء إليه فهدمه وقال: لأن يقال يوم القيامة: هذا محمود الذي كسر الصنم، أحب إليّ من أن يقال: هذا محمود الذي أخذ المال!) فلما كسره وجد عنده وتحتة كنوزاً عظيمةً تعدل أضعافاً مضاعفة ما بذلوه له، وهكذا تمضي سنة الله، فمن ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه.

عباد الله: إن ربنا سبحانه وتعالى عظيم، وإنه ينبغي لنا أن نحتاط في عباراتنا، ونحن نتكلم في حق الله سبحانه وتعالى، لا نسب الدهر، ولا نسب الريح؛ لأن الله يصرف الدهر، والزمان، وهو خالق الريح، ومصرفها.

اللهم إنا نعوذ بك من مضلات الفتن، ما ظهر منها وما بطن، اللهم أحيينا مسلمين، وتوفنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين. اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئاً ونحن نعلم، ونعوذ بك اللهم لما لا نعلم.

اللهم اجعل آخر كلامنا من الدنيا شهادة أن «لا إله إلا الله».







## التحذير من أصناف الشرك<sup>(١)</sup>

### الخطبة الأولى:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه ونتوب إليه، ونستغفره ونثني عليه الخير كله، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد الأحد، الفرد الصمد، المعبود بحق سبحانه، لا ند له ولا شريك ولا ولد، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، خير من قام بحق ربه عليه، فعبد ربه حتى أتاه اليقين.

اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، الذين عرفوا ما لربهم من الحق، فقاموا به خير قيام، ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين.

أما بعد:

عباد الله: اتقوا الله في الورود والصدور، وراقبوه فيما بطن من الأمور وظهر، واعبدوه حق عبادته في الأصال والبكر، واشكروا نعمه فقد تكفل بالزيد لمن شكر، وخافوا مقامه واحذروا بطشه كل الحذر، ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تُمُونُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

أيها المسلمون: اقدروا الله حق قدره، وانظروا في دلائل عظمته، وتفكروا في آياته وآلائه وملكه وسلطانه، وعجائب خلقه وإبداعه؛ لتزدادوا به إيمانًا، وتخروا له إذعانًا وخضوعًا.

يقول تبارك وتعالى في كتابه المبين: ﴿وَفِي الْأَرْضِ ءَايَاتٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٢٠]، ويقول جل وعلا: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾

(١) لم تتمكن من معرفة صاحب الخطبة، وهي من أفضل الخطب في هذا الباب.



[آل عمران: ١٩٠]، خلق هائل عجيب، وكونٌ عظيم مهيب، شرق وغرب، وسلم وحرب، ويابس ورطب، وأجاج وعذب، وشموس وأقمار، ورياح وأمطار، وليل ونهار، وحبّ ونبات، وجمع وأشبات، وأحياء وأموات، وآيات في إثرها آيات، فسبحانه من إله عظيم، أوضح دلالاته للمتفكرين، وأبدى شواهدة للناظرين، وبين آياته للغافلين، وقطع عذر المعاندين، وأدحض حجج الجاحدين، ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤].

يقول عبد الله بن مسعود: «ما بين السماء الدنيا والتي تليها مسيرة خمسمائة عام، وبين كل سماءين مسيرة خمسمائة عام، وبين السماء السابعة وبين الكرسي خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، والله عزَّ وجلَّ فوق العرش، وهو يعلم ما أنتم عليه» أخرجه الدارمي.

ويقول النبي عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام: «ما السموات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة في فلاة من الأرض، وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة»<sup>(١)</sup>. وروى ابن جرير في تفسيره بسنده عن ابن عباس أنه قال: «ما السموات السبع والأرضون السبع في يد الله إلا كخردلة في يد أحدكم».

أيها المسلمون: وإن من دلائل عظمة المولى وقدرته جل وعلا ما أخرجه الشيخان من حديث عبد الله بن مسعود قال: جاء خبرٌ من اليهود إلى رسول الله فقال: إنه إذا كان يوم القيامة جعل الله السموات على إصبع، والأرضين على إصبع، والماء والثرى على إصبع، والخلائق على إصبع، ثم يهزهن ثم يقول: «أنا الملك، أنا الملك»، يقول عبد الله بن مسعود: فلقد رأيت النبي يضحك حتى بدت نواجذه تعجباً وتصديقاً لقوله، ثم قال النبي: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَتَّى قَدَرَهُ، وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ، سُبْحَانَهُ، وَنَعَلَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧] (٢).

وقال: «أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله تعالى من حملة العرش، إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام» (٣).

(١) السلسلة الصحيحة (١٠٩).

(٢) رواه البخاري (٧٥١٣) ومسلم (٢٧٨٦).

(٣) صحيح أبي داود (٤٧٢٧).



وأخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة أن النبي قال: «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاءاً لقوله، كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فُزِعَ عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال: الحق وهو العلي الكبير»<sup>(١)</sup>. فسبحان ذي الجبروت والملكوت، والكبرياء والعظمة لا إله إلا هو الحي الذي لا يموت.

أيها المسلمون: تلك بعض النصوص التي تدل على آيات الله الظاهرة، وقدرته القاهرة، وعظمته الباهرة، فهل قدرنا الله حق قدره؟! هل عظمناه حق تعظيمه؟! هل قمنا بحقه جل وعلا علينا، ونحن خلقه وعبده؟!.

يقول معاذ بن جبل: كنت ردف رسول الله على حمار يقال له: عُفَيْر، فقال: «يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله؟» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «فإن حق الله على العباد أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله عَزَّوَجَلَّ أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً»<sup>(٢)</sup>.

أيها المسلمون: إن من أظلم الظلم وأعظم الإثم الإشراف بالله، وصراف خالص حقه لغيره، وعدل غيره به، ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]، ويقول جل وعلا: ﴿فَأَجْتَكِبُوا الْرِجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنَبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣٠-٣١].

عباد الله: احذروا الشرك وطبائعه، ووسائله وذرائعه، واعلموا أن العلم به طريق الخلاص منه، يقول حذيفة بن اليمان: «كان الناس يسألون رسول الله عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني. متفق عليه».

أيها المسلمون: إن مما يؤسف له وقوع بعض المسلمين من قصر في باب العلم باعهم، وقل في شرع نبيهم محمد نظرهم واطلاعهم، ووقوعهم فيما يناقض أصل التوحيد المقصود، أو كماله

(١) رواه البخاري (٤٨٠٠).

(٢) رواه البخاري (٦٥٠٠) ومسلم (٣٠).



المنشود، مما يوجب التنويه والتنبيه على مسائل وأحكام في توحيد العبادة والطاعة للملك العلام، جاءت براهين القرآن الساطعة، وحجج السنة القاطعة ببيانها أيها بيان، وإيضاحها بما يروي الظمآن، ويغيث اللفهان، ويهدي الحيران، ويظهر أولياء الرحمن على أولياء الشيطان، ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣].

أيها المسلمون: إن من تحقيق التوحيد الاحتراز من الشرك بالله في الألفاظ والمباني، حتى ولو لم يُقصد قبيح المعاني، والحلف بغير الله شرك أصغر، وصاحبه على إثم وخطر، وإذا قام بقلب الخالف أن المحلوف به يستحق التعظيم كما يستحق الله صار شركاً أكبر، يقول رسول الهدى: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»<sup>(١)</sup>، وقال ﷺ: «لا تحلفوا بأبائكم ولا بأمهاتكم ولا بالأنداد، ولا تحلفوا إلا بالله، ولا تحلفوا بالله إلا وأنت صادقون»<sup>(٢)</sup>.

فلا يجوز الحلف بنبي أو ولي أو جني أو الكعبة أو الشرف أو الحياة، ولا يجوز الحلف إلا بالله أو أسمائه أو صفاته، ومن حلف بغير الله وجب عليه التوبة وعدم العودة.

أيها المسلمون: اجتنبوا الألفاظ الشركية المستشعنة، والكلمات المنهية المستبشعة، المقتضية مساواة الخالق بالمخلوق، كقول: ما شاء الله وشئت، ومالي إلا الله وأنت، وتوكلت على الله وعليك، وما جاء في معناها. فقد جاء أن رجلاً قال للنبي: ما شاء الله وشئت فقال: «أجعلتني لله نداً؟! بل ما شاء الله وحده»<sup>(٣)</sup>.

عباد الله: توسلوا إلى الله بأسمائه الحسنی وصفات العلى، توسلوا إليه بإظهار حاجتكم وضعفكم وافتقاركم إليه جل وعلا، توسلوا إليه بالعمل الصالح الحميد، وأعظمه تجريد التوحيد من ألوان الشرك والتنديد. توسلوا إليه بالتوسلات المشروعة، وإياكم والألفاظ المبتدعة والتوسلات المخترعة، التي هي من ذرائع الإشراف برب الأملاك والأفلاك، كالتوسل بجاه النبي أو حرمة أو بركته أو حقه، أو حق الأولياء، أو غير ذلك من التوسل الممنوع والدعاء غير المشروع.

(١) صححه الألباني في إرواء الغليل (٢٥٦١).

(٢) صحيح أبي داود (٣٢٤٨).

(٣) السلسلة الصحيحة (١٣٩).



أيها المسلمون: احذروا ما يفعلُه الطغام وبعض العوام من التعلق بالتائم والعزائم، فيلبسون الحلق والخيوط، وينظمون الودعات، ويعلقون الحروز والعظام والخرزات، ويحملون أنياب الذئب وجلود الحيوانات، يعلقونها على الرقاب والدواب والأبواب، معتقدين دفعها الضراء وبوائق اللألواء، ورفعها البأساء وطوارق البلاء، ومنعها عين العائنين وحسد الحاسدين، وكل ذلك من الإشراف الموقع في الردى والهلاك؛ لأن الذي يجب أن يلجأ إليه، وأن تنزل المهات والملمات عليه، إنما هو الله جل في علاه: ﴿وَإِن يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام: ١٧-١٨].

أيها المسلمون: إن تلك الخرافات والمعلقات لا تعصم من الآفات، ولا تحمي من الأمراض والبليات، والواجب نبذها ونزعها وطرحها وقطعها، قال عليه الصلاة والسلام: «من تعلق تيممة فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له»<sup>(١)</sup>، وله أيضاً أن رسول الله أقبل إليه رهط فبايع تسعة وأمسك عن واحد، فقالوا: يا رسول الله، بايعت تسعة وتركت هذا! فقال: «إن عليه تيممة»، فأدخل يده فقطعها فبايعه بأبي هو وأمي صلوات الله وسلامه عليه، وقال: «من علق تيممة فقد أشرك»<sup>(٢)</sup>.

وروي أن حذيفة بن اليمان رأى رجلاً وفي يده خيط من الحمى رُقي له فيه، فقطعه حذيفة وقال: «لومت وهو عليك ما صليت عليك»، وتلا قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦].

أيها المسلمون: إياكم والذهاب إلى السحرة والكهان والمشعوذين والرَّمَّالين والعرافين والمنجمين، وأهل الأبراج وقراءة الكف والفتجان والحازرين، الذين يدعون علم المغيبات، والكشف على المضمرات، فإنهم أهل غش وتدليس، وخداع وتلبيس، ونمنات وتمنات، وخرافات وخزعبلات، واستعانة بالجن واستغاثات، وحجب تحوي حروفاً وأرقاماً

(١) ابن حبان (٦٠٨٦) وقال ابن باز: (ثابت).

(٢) السلسلة الصحيحة (٤٩٢).



وإشارات، بل إنهم يطلبون ممن يأتيهم ذبح حيوانات بألوان وصفات، يلطخون بدمها الأجساد والحيطان والعتبات، وهم في ذلك يتقربون للجان، ويعبدون الشيطان، ويشركون بالرحمن، وقد قال: «لعن الله من ذبح لغير الله»<sup>(١)</sup>.

ومن تليسههم وتدليسهم إعطاؤهم من يأتي إليهم أشياء تدفن وتغرق، وأخرى تسجر وتحرق، إلى غير ذلك من دخائلهم الكدرة، ودفائنهم القذرة، فاحذروا عباد الله إتيانهم أو سؤالهم أو تصديقهم، فقد قال الصادق المصدوق: «من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة»<sup>(٢)</sup>، وقال عليه الصلاة والسلام: «من أتى كاهناً أو عرافاً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد»<sup>(٣)</sup>.

وعن عمران بن حصين مرفوعاً: «ليس منا من تطير أو تُطير له، أو تكهن أو تُكهن له، أو سحر أو سُحر له»<sup>(٤)</sup>.

أيها المسلمون: حافظوا على صفاء التوحيد من الكدر، وكونوا من لوثات الشرك على حذر، واعلموا أنه لا يجوز التبرك بشجرٍ أو قيرٍ أو حجرٍ، أو بقعة أو غارٍ أو عينٍ أو أثرٍ، فعن أبي واقد الليثي أنهم خرجوا من مكة مع رسول الله إلى حنين، وكان للكفار سدرية يعكفون عندها، ويعلقون بها أسلحتهم - أي تبركاً بها - يقال لها: ذات أنواط، فمروا بسدرية خضراء عظيمة، فقالوا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط؟ فقال رسول الله: «قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، «إنها لسنن، لتركبن سنن من كان قبلكم سنة سنة»<sup>(٥)</sup>.

أيها المسلمون: اعلموا أنه لا يجوز التبرك بقبر النبي محمد، ولا مكان ولادته، ولا غيره من الأنبياء، ولا يجوز التبرك بذوات الصالحين وآثارهم وثيابهم ومواطن عبادتهم، ولا يجوز

(١) رواه مسلم (١٩٧٨).

(٢) رواه مسلم (٢٢٣٠).

(٣) صححه موقوفاً في صحيح الترغيب (٣٠٤٨).

(٤) مجموع فتاوى ابن باز (٨/١٦١) إسناده جيد.

(٥) حسنه الألباني في تحريج كتاب السنة (٧٦).



التبرك بجدران المساجد أو تراها أو أبوابها بتقبيلها أو التمسح بها، حتى ولو كان المسجد الحرام أو مسجد المصطفى، ويُشرع تقبيل الحجر الأسود، ويُشرع مسح الركنين اليمانيين الحجر الأسود والركن اليماني، لقول ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «لم أر النبي ﷺ يمسح من البيت إلا الركنين اليمانيين» متفق عليه.

ولا يُقصد بذلك التبرك بهما، وإنما يقصد التعبد والاتباع، كما قال عمر بن الخطاب: «والله إني لأقبلك، وإني أعلم أنك حجر، وأنت لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله قبلك ما قبلك».

وبالجملة فلا يجوز التبرك بشيء إلا بدليل من كتاب الله أو سنة رسوله يدل على جواز التبرك به.

أيها المسلمون: إن من الإشراك الموقع في الردى والهلاك الاستغاثة بالأموات ودعاءهم ونداءهم وسؤالهم قضاء الحاجات، وتفريج الشدائد والكربات، والتقرب لهم بالذبح والنذور، وبالطواف على القبور، وبتقبيل الأعتاب والجدران والستور، وبالعكوف عندها وجعل السدنة والحجاب عليها، إلى غير ذلك مما هو من عمل عباد الأوثان وأولياء الشيطان، وهو من الشرك الأكبر، المحبط للعمل المصادم لكتاب الله وسنة سيد البشر، يقول جل وعلا:

﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾ [الأحقاف: ٥-٦]، ويقول تبارك وتعالى:

﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ [فاطر: ١٣-١٤].

أيها المسلمون: إن الغلو في قبور الأنبياء والصالحين باتخاذ المساجد والقباب عليها وتزيينها وجعل الستور عليها من كبائر الذنوب ووسائل الشرك؛ لما ينتج عن ذلك من تصيرها أوثاناً تعبد من دون الله.



وفي البخاري أن عائشة وعبد الله بن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قالا: لما نزل برسول الله الموت طفق يطرح خميصة على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك: «لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحذر ما صنعوا<sup>(١)</sup>، وقال عليه الصلاة والسلام: «إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد»<sup>(٢)</sup>.

أيها المسلمون: إن البناء على القبور وتخصيصها وتخصيصها والكتابة عليها أمر غير مشروع، وفي ديننا مرفوض وممنوع، فعن جابر قال: «نهى رسول الله أن يُخصص القبر، وأن يُقعد عليه، وأن يبنى عليه». رواه مسلم. وزاد الترمذي وغيره بإسناد صحيح: «وأن يُكتب عليه». وفي صحيح مسلم: أن علي بن أبي طالب قال لأبي هياج الأسدي: «ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله؟! أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته».

عباد الله: إن قصد عبادة الله عند قبر نبي أو ولي وسيلة من وسائل الشرك، ومن اتخاذها مساجد، حتى ولو لم يبن عليها مسجد، ولذا لا يُشرع الدعاء عند القبور ولا عند قبر النبي، وليس ذلك من مواطن الإجابة، فقد روى أبو يعلى والحافظ الضياء في المختارة أن علي بن الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا رأى رجلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي، فيدخل فيها فيدعو، فنهاه وقال: «ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله؟! «لا تتخذوا قبوري عيداً، ولا بيوتكم قبوراً، وصلوا علي فإن تسليمكم يبلغني أين كنتم»<sup>(٣)</sup>.

جعلني الله وإياكم من الهداة المهتدين، المتبعين لسنة سيد المرسلين، أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب وخطيئة، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

(١) رواه البخاري (٤٣٥) ومسلم (٥٣١).

(٢) صححه الألباني في تحذير الساجد (٢٦).

(٣) قوى إسناده الألباني في أحكام الجنائز (٢٨٠).



### الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشأنه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وإخوانه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: عباد الله، اتقوا الله حق التقوى، وراقبوه في السر والنجوى، ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ  
ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

أيها المسلمون: إن من تعظيم الله تحكيم شريعته على عبادته، والواجب على المسلمين وأئمتهم وقادتهم الخضوع لشرع الله، والاستسلام لحكمه، ومحاربة ما يخالفه من المبادئ والمذاهب الهدامة الوضعية، من شيوعية واشتراكية، وعلمانية وقومية، وغيرها من المذاهب، وإن الإشراف بالله في حكمه كالإشراف به في عبادته، ومن جحد أحقية حكم الله ورسوله، أو اعتقد أن حكم غير الله أحسن من حكم الله ورسوله، أو اعتقد أنه مثله، أو اعتقد جواز الحكم بما يخالف حكم الله ورسوله، فقد كفر بما أنزل على محمد، وخرج من ملة الإسلام، يقول جل وعلا: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَكَلًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠]، ويقول جل وعلا: ﴿وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

أيها المسلمون: ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله؟ ألم يحين أن تطمئن قلوبهم بصدق التوكل على الله؟ إن الدين الإسلامي جاء ليحرر الإنسان من أن تستعبده الأهواء والهواجس والمخاوف والتعلق بغير الله تعالى رغبة أو رهبة، خوفًا أو طمعًا، جزعًا أو هلعًا، فكل ذلك معارض للإيمان بالله، مضاد للإخلاص لله، خارج عن مفهوم العبودية لله.

وإن التشاؤم بالأيام والشهور، والتطير بالسوانح والبوارح من الطيور، من أعمال الجاهلية، التي جاءت بإبطائها الشريعة الإسلامية، وليس التشاؤم بالذي يغير القدر، ولا شهر صفر بالذي يأتي بالشر والضرر، وفي البخاري أن رسول الله قال: «لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر».



فاتقوا الله عباد الله، وعلقوا القلوب بالكها، وعلقوا القلوب بالكها، وحاربوا الخرافة بجميع أشكالها.

وصلوا وسلموا على خير البرية، وأزكى البشرية، فقد أمركم الله بذلك، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

